



## هدم المنازل جريمة حرب جديدة

- سفينة السلاح.. محاولة لإنقاذ شارون
- مناظرات إسرائيلية/ فلسطينية حول عملية التسوية
- الصراع الديني/ العلماني في إسرائيل وإيران
- مؤتمر هرتزليا الثاني: رؤى لمستقبل إسرائيل







## مختارات إسرائيلية

Israel Digest

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

إبراهيم نافع

مدير المركز

د. عبد المنعم سعيد

رئيس التحرير

د. عماد جاد

نائب مدير التحرير

أيمن عبد الوهاب

المدير الفني

السيد عزمي

الإخراج الفني

حاتم القويضي

وحدة الترجمة

أحمد الحملي

د. جمال الرفاعي

د. يحيى عبد الله

عادل مصطفى

محب شريف

محمد إسماعيل

منير محمود

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت: ٥٧٨٦٣٠٠ / ٥٧٨٦١٠٠ / ٥٧٨٦٢٠٠

مطابع الأهرام بكونينش النيل

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية

السنة الثامنة. العدد ٨٦. فبراير ٢٠٠٢

- المقدمة : القضية ليست عودة الجنرال ..... د. عماد جاد ٢
- أولا : الدراسات
١. فيروس الكراهية : المقارنة بكارثة الإبادة في الفكر المتطرف ..... أولك نتسر ٢
٢. المثالية ( الطوبائية ) بالزي العسكري ..... زئيف دوري ١١
٣. الخيار النووي لإسرائيل (١) ..... مناحم بريش ١٦
- ثانياً : وثائق ومناظرات
١. مؤتمر هرتزليا الثاني .. إعداد : سامح محمود ٢٠
٢. استئناف العملية السياسية ..... يوسي ألفير ٢٨
- ثالثاً : الأرشيف
١. ضيوف على دولة اليهود ..... ييجال ماشيياح ٢٢
٢. الخط الأصفر ..... جدعون ليفي ٢٦
- رابعاً : ترجمات عبرية
١. المسار الفلسطيني :
١. شارون ضد مبادرات الوفاق ..... هآرتس (مقال افتتاحي) ٢٩
٢. جريمة ضد أبرياء ..... جدعون ليفي ٤٠
٣. توقيت سين وعدم تمسيق ..... زئيف شيف ٤١
٤. عبء قطاع غزة ..... هآرتس (مقال افتتاحي) ٤١
٥. من حسن الحظ أن يوش ليس كليفتون ..... يوسف حاريف ٤٢
- سفينة الأسلحة :
١. سفينة إنتقاذ شارون ..... شالوم يروشليمي ٤٣
٢. أربع ملاحظات على الوضع ..... يوثيل ماركوس ٤٤
٣. إيران وسفينة الأسلحة ..... زئيف شيف ٤٥
٤. التهديد الإيراني ..... يوآف ليمور ٤٥
- الرأي العام في إسرائيل :
١. الحرب الإعلامية ستحسم لصالحنا في النهاية ..... حوشيه شمعون ٤٨
٢. الإرهاب الإسلامي .. طريق ترابطنا مع القوى الآسيوية ..... عوزي هاس ٤٩
٣. نحتاج لزعيم ليكودي ..... اليعازر بن كسييت ٥١
٤. المشكلة ليست حضارات .. بل دين إسلامي ..... دانتي عاميت ٥٢
- حوارات واستطلاعات :
١. حديث خاص مع إيلي يشاي ..... دان شيلون ٥٣
٢. أنه يفسد لنا الصراع : حوار مع ساري نسييه ..... فيريد ليفي بيرزيلي ٥٧
٣. مقياس السلام لشهر ديسمبر ٢٠٠١ ..... إفرام يعر وتمر هيرمان ٦٢
- خامساً : رؤية عربية
١. سفينة الأسلحة والكفاح الفلسطيني المشروع ..... هاني عياد ٦٧
٢. الصراع الديني . العلماني في إسرائيل وإيران ..... تميم هاني خلاف ٧٠
٣. الموساد وبين لادن ..... محمد البحيري ٧٤
٤. مستقبل الهجرة إلى إسرائيل وخطة المليون مهاجر الجديدة! ..... أحمد السمان ٨٠

# القضية ليست عودة الجنرال!

في مواجهة العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني وزيادة حدة عمليات القتل والإرهاب التي تمارسها قوات الاحتلال، وسياسة حصار السلطة الوطنية وقتل كوادرها، تكرر السلطة الوطنية الفلسطينية مطالبتها ل واشنطون بسرعة إرسال مبعوثها الخاص الجنرال أنتوني زيني من أجل متابعة مهمته بالتوصل إلى اتفاقات أمنية محددة تمهد الطريق أمام الانتقال إلى المرحلة التالية الخاصة بالبحث عن نقطة بداية لإعادة استئناف العملية السياسية.

وبدا واضحا من خطاب السلطة الوطنية الفلسطينية، أن أشياء كثيرة سوف تتغير إلى الأحسن في حال عودة الجنرال إلى استئناف مهمته التي بادرت الإدارة الأمريكية بتعليقها نتيجة ما أعلنته من أن الرئيس ياسر عرفات لا يفعل ما يوسع من أجل وقف "العمليات الإرهابية". وفي المقابل تمسكت الإدارة الأمريكية بعدم إعادة الجنرال إلى المنطقة مجددا إلا بعد أن تبرهن السلطة الوطنية على قيامها بكل ما يلزم لوقف "الأعمال الإرهابية". وكان هذا الجدل يجري في وقت كانت الطائرات الحربية أمريكية الصنع من طراز إف ١٦، والهليكوبتر من طراز أباتشي، تواصل عمليات القصف والتدمير في كافة أنحاء الأراضي الفلسطينية، وكان التقدير الأمريكي أن ما تقوم به هذه الطائرات، وما تخلفه الدبابات على الأرض من دمار وهدم لمنازل المدنيين، إنما يدخل تحت بند "الدفاع عن النفس" تقوم به القوات الإسرائيلية- والتي هي قوات احتلال- ضد مدنيين فلسطينيين يناضلون من أجل تحرير ترابهم الوطني وإقامة دولتهم المستقلة، أي أنهم يمارسون ما شرعه ميثاق الأمم المتحدة، ذلك الميثاق الذي كانت واشنطون على رأس الدول التي تولت وأشرفت على وضعه بعد الحرب العالمية الثانية.

من هنا يبدو واضحا أن ثمة خلا هيكليا يطول جوهر صيغة التسوية التي وضعت في مدريد وما زال العمل يجري وفقا لأسسها، وأن هذه الصيغة لم تعد صالحة للعمل، ومن ثم لابد من إدخال تعديلات عليها عبر إعادة الاعتبار لفكرة المقاومة المسلحة والانطلاق من أنها حق مشروع لشعب يناضل من أجل تحرير ترابه الوطني. فإعادة الاعتبار لقيمة المقاومة المسلحة ستكون كفيلة بدفع واشنطون إلى "الهرولة" للمنطقة بوسيط على غرار زيني أو أعلى منه، فالقضية ليست في عودة الجنرال زيني إلى المنطقة، وإنما هي في تهيئة الظروف والشروط التي تجعل عودته ملحة في واشنطون قبل فلسطين، وأيضا تلك الظروف التي تجبر الإدارة الأمريكية على إعادة تقويم موقفها وإصلاح الخلل البين في رؤيتها، وأيضا التي توصل رسالة واضحة للرأي العام الإسرائيلي مؤداها أن "خيار شارون" سيحرم المواطن الإسرائيلي من أي شعور بالأمن... إذا ما توافرت هذه الشروط، فسيأتي الجنرال أو من هو أعلى منه رتبة، من تلقاء نفسه وبرؤية مغايرة وتكون المهمة الأولى الموكلة له هي توقيع اتفاق لوقف المواجهات واستئناف المفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية سياسية محددة المعالم...

د. عماد جاد



## فيروس الكراهية المقارنة بكارثة الإبادة في الفكر المتطرف

أولك نتسر

بينما يتلقى مكافأة مواصلته طريق النازيين» (بيان الليكود ١١/١٢/١٩٩٤).

٥ - «غير مسموح للمستشار الألماني أن يأتي إلى مدينة القدس المقدسة ويدنسها» - أعضاء حركة (بيتار) الشبابية، في مظاهرة احتجاج علي زيارة المستشار هلموت كول إلى إسرائيل.

٦ - جيولا كوهين كتبت أن الأموال التي تعرضها الولايات المتحدة علي إسرائيل بشأن مؤتمر السلام الدولي في مدريد هي فخ لليهود، مثل غرف الإعدام بالفاز التي نشرها النازيون في تربلينكا (يديعوت أحرونوت، أبريل ١٩٩١).

### ◆ التحليل المبدئي:

١ - كل هذه الأمثلة جاءت في معرض تبرير أصحابها رفضهم أي أعمال أو نوايا باتجاه السلام، وأيضاً لشرح أسبابهم في رفض أي حلول وسط مع «الأعداء»، عن طريق مقارنة أعدائنا بالنازيين ومقارنة «حسني الطوية» بالمتعاونين أو بهؤلاء الذين خضعوا أو استجابوا للخديعة.

٢ - جميع هذه النماذج المقتبسة لا تتضمن التعامل معنا أو مع أنفسنا باعتبارنا الطرف المسيطر الحاكم، ذلك الذي يستحوذ علي القوة السياسية والعسكرية. فبقياس القوة الطبيعية، وعلاقة القوى علي الساحة وإمكانات الفعل والمسؤولية الأخلاقية، يجب أن نقف في هذه المقارنة في موضع النازيين وليس اليهود الذين كانوا تحت الاحتلال وكانوا بدون أي حماية.

وقد عبر البروفيسور يهودا ألكينا، رئيس معهد تاريخ

أولاً، نسوق عدة نماذج لاستخدام الكارثة في الحوار السياسي الموضوعي. بعضها يظهر بالفعل في الجزء الأول كأمثلة لعرض التعصب (فيروس الكراهية):

١ - «لو علمت أن هتلر يختبئ في مبنى بصحبة ٤٠ طفلاً ألم تكن تفجره؟» - مناحم بيجين يرد علي دعاوي تتصل بقصف سكان مدنيين في لبنان (١٩٨٢).

٢ - «في تقديري فقط هناك اثنان أو اثنان ونصف مليون يهودي سيلقون حتفهم. لكن الكارثة القادمة ستكون رهيبة بمفهوم اساسي واحد: أن اليهود ساعدوا وجاهدوا قدر استطاعتهم وتقاظروا في الهواء لجلبها». (مائير عوزيتل، معاريف، مارس ١٩٨٩).

٣ - .. أنت تسألني ماذا حدث لأوروبا في اعتقادي؟، أن مؤلف «الزمن الأصفر» ليس لديه منظور صحيح لما هو سيئ أنه ما يمكن أن يحدث لنا، أنه الخطر القائم، فهو لم ير شيئاً .. (نائب وزير الزراعة ميخال دكل، أحد كبار منفذي سياسة الاستيطان، في مقابلة جاءت بعد تصريحاته بشأن عمليات التطهير العرقي أو الترانسفير، أكتوبر ١٩٨٧). والكاتب دفيد جروسمان هو مؤلف رواية «كتاب القواعد الداخلية» عن انطباعات الطفولة في القدس في كنف أبوين هاربين من كارثة الإبادة وهو أيضاً مؤلف «الزمن الأصفر» (كوتيرت ديشيت ٢٧/٤/١٩٨٧)، وهو الكتاب الشامل والأكثر عمقاً عن واقع الضم، بما في ذلك الكثير جداً عن التعامل بتطرف، وقسوة وظلم، من زاوية أقرب معارضي «اليسار الصهيوني».

٤ - «ليس علي رابين أن يتحدث باسم ضحايا الكارثة

العلوم والنظريات في جامعة تل أبيب ومدير معهد فان لير في القدس، عن الاستغلال والاستخدام الموجه من جانبنا لكارثة الإبادة، وكتب النص التالي، ليس لأحد الحق في التعبير عن رأيه بصفة عامة فيما يتصل بهذا الموضوع الذي باتت الأفكار القائمة في إطاره في حكم البقرة المقدسة لمرد أنه يهودي رغم أنه لم يكن بالضرورة من ضحايا هذه الكارثة. وقد أقدم ألكينا علي قول ذلك باعتبار أنه سبق وأوضح أنه هو شخصياً قد تجاوز تجربة أوشفيتز بعدما عايشها وكشف عن بشاعاتها (هاآرتس - أكتوبر ١٩٨٨):

في الآونة الأخيرة أخذت قناعتني تزداد، أن الإحباط الشخصي كعامل سياسي اجتماعي يحرك المجتمع الإسرائيلي في علاقته بالفلسطينيين ماهو إلا فرع عميق يتغذي علي تأويل معين لدروس ونتائج الكارثة وعلي الاستعداد لتصديق أن العالم كله ضدنا وأنتا الضحية الأبدية. إنني أعتبر هذه العقيدة العتيقة، التي يشترك في اعتناقها اليوم كثيرون، هي الانتصار التراجيدي المتناقض لهتلر.

ومن أوشفيتز خرج شعبان - بالمعني الرمزي -، أقلية تدعي «لن يتكرر هذا أبداً»، وأغلبية مضطربة ومرعوبة تدعي «لن يتكرر هذا لنا مرة أخرى».

أولا وجدت في كلام بروفيسور ألكينا مصادقة علي الدعوة التي أوضحتها وبررتها في السابق بالنسبة للإرهاب. يدعون أن واقع الإرهاب يجب أن يؤدي إلي تقوية الخط السياسي لليمين وأنه «ليس هناك ما تفعله ضد هذا»، كذلك يقول بروفيسور ألكينا أن الانطباع وما يحدث في الواقع نفسه، سيكون تهديداً مروعاً كالإرهاب أو حتي كالكارثة، لا يحدد بالمرّة النتائج التي يتوصل إليها الناس أعقاب ذلك. والحقيقة هي، بالضبط كما كتب ألكينا، أن «المخاوف في القائمة بعمق» لدى الإسرائيليين في هذه الأيام لا تتغذي مباشرة من واقع الكارثة بل من «التفسير أو التأويل المعين لدروس الكارثة»، بينما الواقع يحتمل تأويلات أخرى. يعتبر ألكينا التأويل السائد والتأويل الآخر مختلفين بشكل استقطابي، لدرجة أنهما تنتجان بيننا «شعبين» وهذا الخلاف يوازي بالضبط الخلاف الأساسي الموجود بين المتطرفين وغير المتطرفين. ألكينا يميز دروس الكارثة لدي أناس مثله ومثلنا، أنهم الأقلية، كهؤلاء الذين يقولون «هذا لن يحدث أبداً مرة أخرى»، والأغلبية هم الذين يقولون «هذا لن يحدث أبداً لنا مرة أخرى» ويقصدون أن هذا لن يحدث أبداً لنا طالما سنكون الضحية.

الفارق بين المتطرفين، المتعصبين وغير المتعصبين هو الهوية. كنت قبل عدة سنوات قد شاهدت فيلماً تليفزيونياً حول زيارة تلاميذ من المرحلة الثانوية في إسرائيل إلي أوشفيتز. عندما خرجوا ومرافقوهم من

هناك أجروا مقابلة أمام الكاميرا - كما لو كانت مقصودة - برز خلالها تصریحان يمثلان فارق الهوية الذي أشرنا إليه آنفاً. فقد سألوا شابة من التلميذات، كانت قد خرجت من المكان وهي باكية، لماذا تتخرط في البكاء بهذا الشكل، فقالت «لا أتصور أننا يمكن أن نفعل مثل هذه الفظائع مع بشر مثلنا».. هذه الهوية التي تحدثت بها الطالبة شملت الإنسانية كافة التي أفرزت الأفعال الشنيعة في أوشفيتز وطبقاً لنظرية الكراهية فيمكن افتراض أنها تتمتع بحصانة ضدها.. بعد ذلك أجروا مقابلة مع أحد المرافقين الذي مثل بتصريحاته الاستغلال السيء للكارثة وأنه عضو الكنيسة داف شيلنيسكي. وهو بطبيعة الحال، تحدث من خلال الهوية اليهودية. وأذكر الجملة التي قالها، «أ يجب أن نخجل نحن؟ بل يجب عليهم أن يخجلوا هم!».

والمثال الحي أكثر من غيره بحوزتي يتمثل في جملة «هذا لن يحدث لنا مرة أخرى» (أن نكون ضحية) المتصلة بمؤتمر دولي عقد في يوليو ١٩٩٢ في القدس وبحكم صلتني وانتسابي لكارثة الإبادة أتيح لي الاشتراك فيه أنه مؤتمر «الأطفال المختبئين». وكان الرئيس الإسرائيلي للمؤتمر عميد (احتياط) يوسي بيلد، قد كتب في الدعوة: «الطبيعي حقاً أن يعقد المؤتمر في القدس. هنا لن يجبر العالم أي طفل يهودي علي إخفاء هويته الحقيقية.. هنا يعيشون علناً لأنهم في حماية من أي عمل شنيع، حاضراً ومستقبلاً».

إذن ففي القدس لن يجبر العالم أي طفل يهودي علي إخفاء هويته وهنا فهم محميون من أي أعمال قضيعة. في الحاضر والمستقبل، قد ترتكب ضدهم. والعبرة القائلة بضرورة بذل الجهد والعمل من أجل أن يكون أطفال اليهود في القدس محصنين أمام أي أعمال تنكيل وملاحقة قد يتعرضون لها في الحاضر والمستقبل، حيث إنسانيتهم ومكانتهم الأخلاقية لن تكون مضمونة رغم عبر ودروس الكارثة، هذه المقولة ما هي إلا ضرب من ضروب العمى وعدم الإدراك. والزعم بأن مجرد القوة الجسمانية الطبيعية، وأن الشرطة والجيش والمحققين في غرف التحقيقات في القدس هم يهود وبالتالي فإن ذلك هو ضمان حماية تحمي الأطفال اليهود، وليس أي نجاح تعليمي، روحاني، ديني أو غير ذلك، هي أيضاً نوع من العمى وعدم الإدراك. وإذا كانت العبرة من كارثة الإبادة هي «علينا أن نكون أقوياء» ولا شئ آخر، فالمقارنة أن مؤيدي النازيين والمتعاطفين مع الجدد منهم يشجعون ويتبنون هم أيضاً نفس هذه العبرة. وبذلك تقوى المقولة المتناقضة والخاطئة -في اعتقادي- التي قال بها البروفيسور الكينا، والذي اعتبر ذلك «النصر التراجيدي المنطوي علي تناقض لهتلر».. لكن نظرية الكراهية تقوي وتدعم استنتاجه بأن كارثة



الإبادة في خدمة التعصب تتحول من ميراث تربوي تعليمي إلي عبء كارثي.

#### ♦ خلاصة: ما الذي يمكن عمله مع الكارثة

أ. يهودا الكينا اقترح ما لا يجب عمله:

لا أري خطراً أكبر علي مستقبل دولة إسرائيل من حقيقة، أن كارثة الإبادة قد أدخلت بطريقة منهجية وبقوة إلي وعي كل المجتمع الإسرائيلي، سواء للقسم الأكبر الذي لم يعاصر الكارثة أو بالنسبة لجيل الأبناء الذين ولدوا ونشأوا هنا. للمرة الأولى أفهم خطورة أفعالنا، علي مدي عشرات السنين أرسلنا طفلاً بعد آخر في إسرائيل للزيارة مرة بعد أخرى إلي «التذكارات الأبدية». ما الذي أردنا أن يفعل أطفال أبرياء بهذا الشعور؟ أنجعلهم منفعلين العقل وأيضاً متصلبي القلب، ودون أي تفسير لهذا الشعور؟ - تذكر! من أجل ماذا؟ ما الذي يجب علي الطفل أن يفعل بهذه الذكريات؟ أن تمرير عديد وعديد من صور البشاعة لتنتطبع في الأذهان باعتبارها قراءة لكراهية متواصلة أمر خطير ويجب أن نتنبه له.

#### ب - التنازل عن التعقيدات:

العقدة في تعريف التحليل النفسي الكلاسيكي، هي حدث مروع تلاشي وينبثق مرة أخرى لو أن شيئاً ما ظهر وكان ذا صلة بنفس الحدث. لنفرض، أن الطفل كان بصحبة أبيه عندما تعرض أبوه لأزمة قلبية ومات في حجرة كانت فيها زهور عباد الشمس. قد لا يتذكر الطفل الحدث بعد ذلك لكن منذ ذلك الحين، ربما عندما يري عباد الشمس فإنه سيبيدي رد فعل مفزعاً. أما عقدنا القومية ذات الصلة بكارثة الإبادة النازية فإنها ليست ذكري شعورية، بل ذكرى تم اكتسابها وتعلمها، وعلي ذلك فهي تمثل ذكرى عامة مشتركة وليست مكبوتة: فالشخصية القومية الجماعية تغذي العقدة كتبرير لقصف المدنيين في لبنان. ولكي نقول أنها عقده مبررة في نظرنا نستدعي هتلر، وهي بهذا المعني حجة قائمة علي فكرة العقدة التي تجمدت بمرور الزمن. وقد رد عاموس عوز علي بيجين في هذه الحالة من خلال مقالة كان عنوانها «هتلر قد مات، يا رئيس الحكومة». لكن الحالة الأوضح من بين الحالات المعروفة عندي ذات الصلة «بفترة الفوضى» التي سبقت الانتفاضة، عندما فرض الجيش حصاراً علي احدي القرى وكالعادة جمعوا كل الرجال في مكان واحد وحققوا معهم. هؤلاء الذين تم التحقيق معهم لم يطلق سراحهم بل جرى وقفهم مع الآخرين في مكان منفرد، علي خلفية أن يتمكن المحققون من التفريق بين من جرى التحقيق معهم بعد والذين لم يحققوا معهم، لأنه كما هو معروف يوجد لدي اليهود مشكلات تحديد شخصية العرب طبقاً لأسمائهم وقسماتهم. وعندئذ لمعت فكرة لدى أحدهم بوضع علامة علي هؤلاء الذين اجتازوا التحقيق الأول عن طريق كتابة أسمائهم وعلامة مميزة

علي اليد. كان هذا عاملاً مهماً في تقصير عملية تحديد الهوية بشكل كبير. وانكشف الأمر علي نطاق واسع وانفجرت فضيحة إعلامية قصيرة الأمد لكنها قوية: يكتبون للناس علي أيديهم، لكنهم لا يلقون من صلة ذلك بالكارثة؟ الكتابة علي اليد للعرب كانت أمراً متوقفاً لمعالجة الاضطرابات الأخيرة. لقد قضوا ليلة باردة في العراء وكتبوا علي أيديهم بكل ما تحمله هذه القطة من دلالات والسبب فيما أعتقد عقدة الكارثة اليهودية.

في حالة أخرى، تصدي أعضاء «راتس» وجماعات يسارية أخرى لمنع إقامة بناية تنظيمية في بتاح تكفاه لعمال من المناطق. أرادوا إعداد مظلة لهم، ودورة مياه وصنابير للشرب في مساحة محددة، حتي لا يكبدوا عمالهم مشقة الانظار تحت أشعة الشمس علي جانب الطريق دون أي ظروف صحية مناسبة. لا نريد معتقلات عندنا - هكذا قال المعارضون. وكتبوا كذلك علي بيانهم «اليوم معتقلات - وغدا معسكرات لجميع»، وأضافوا إليهم نجمة داوود وبداخلها كلمات «عامل أجنبي»، الأمر الذي يذكر بنجمة داوود الصفراء. أعاد ذلك إلي الذاكرة كارثة النازي ومازال العمال تحت الشمس وبدون دورة مياه علي جانب الطريق.

وفتح المظلات من قبل أعضاء كتلة «موليدت» في الكنيست، والعبرة من اتفاق ميونخ كما عرضها «المعسكر القومي»، من الأنسب اعتبارها ردود أفعال صادرة عن عقدة: فقد صدق شخص ما ذات مرة أن العدو لن يخرج للحرب، وبعد ذلك اتضح أن نفس العدو خرق الاتفاق وشن الحرب. منذ ذلك الحين، فإنه في كل مرة يجري التحدث عن سلام مع عدو أيا كان فإن من يقولون بذلك يتعرضون لهجوم لاذع: المعارضون يعرفون سلفاً أن العدو سيخرق الاتفاق وسيشن الحرب. أما علي أرض الواقع ولكي تصبح هذه المخاطر حقيقة - فالعدو مجبر علي أن يكون قويا بما يكفي ويجب علينا كطرف ثان أن نعطي ثقة أكثر مما يستحق، ولا نهتم بضمانات تمنعه من خرق الاتفاق. وفي اعتقادي، فإن هذين الشرطين غير موجودين في اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية: فالفلسطينيون ضعفاء جداً مقابل إسرائيل، وإسرائيل شديدة الارتياح ومعنية وقلقة بشأن ضمانات أمنها. ولكن أيضاً من الذي يعتقد شيئاً آخر؟ ذلك هو موضوع النقاش حول علاقات القوى وحول الضمانات مقابل أخطار محتملة، فلا تأتي العبرة من اتفاق ميونخ عن طريق مقارنة أتوماتيكية لأي اتفاق مع عدو باتفاق مع هتلر.

الفلسطينيون هم عدو متطرف وبشع لإسرائيل وفي كل يوم يمر من سياسة الضم والاستيلاء نمدهم بأسباب جيدة للكراهية والأعمال الانتقامية. وبالتأكيد هناك أمور كثيرة مشتركة لكراهية إسرائيل من قبل العرب والنازيين. لكنهم بشر في الواقع وليسوا كما

يراهم المتعصبون، وهم ضعفاء ومحكومون بواسطتنا والجللاء عنهم مرهون برغبتنا. ورغم أن المتعصبين الكارهين لا يحبون الإقرار بذلك في سياق تنازلات للعدو، فقد أخرجتنا الصهيونية نهائياً من زاوية الصحة الأخلاقية للشعب اليهودي كأقلية مطاردة.

وإذا كانت هناك عبرة حقيقة من اتفاقية ميونخ ومن الادعاءات المنسوبة لتشمبرلين، ربما تكون عدم إعطاء ثقة للمتشددين المتعصبين، كهؤلاء الذين لغة خطابهم وسلوكهم تجاه أعدائهم بل وأعدائهم المنتصرين إلي كراهية بل وعدم إنسانية: وعبرة اتفاق ميونخ تلك لم يتعلمها «اليسار الصهيوني» بالنسبة للضعف الذي أبداه تجاه المتعصبين بيننا الذين استغلوا ذلك ويواصلون استغلال موقفه الضعيف. والكراهية من أي طرف كان مبنية علي نظرة الطرف الآخر كمصدر حقد وخطر فحسب (عرفات العدو الأكثر بشاعة منذ هتلر، حكومة فيشي.. وهكذا) وعلي ذلك تفرض الكراهية وسيلة الحرب وليس السلام. فالسلام مرتبط بالثقة في أن العدو لن يستغل بشكل سيئ التخلي عن استخدام القوة من جانبنا. إن عبرة ميونخ كما أقترح أنه من الأجنبي والأفضل للجميع أن يتعلم تشخيص سمات الكراهية (من السهل التشخيص، حسب درجة الوحشية) وعندما نشخص ونحدد ضرورة أن تكون لنا وقفة مع المتعصبين، لابد أن ندرك أنه كلما كانوا يشعرون أنهم أقوياء ولا يخشون من نتائج محاربتنا فإنهم سيقاقلوننا. لقد أكد تشمبرلين عدم وجود أي احتمال في توقف المتعصبين المنظمين ذوى القوة عن مكافحتنا لو أننا قدمنا لهم تنازلات. كما وليس هناك احتمال أن يتأثروا من علاقتنا الطيبة بهم. فلو استشعروا أننا ضعفاء فإنهم سيفسرون ذلك علي أنه خوف أو تراجع من جانبنا وباعتباره دعوة للهجوم علينا بدرجة أشد.

عبرة ميونخ لا تلزم بعدم تقديم تنازلات أبداً للعدو، بل أن تقلق إنه إذا كان العدو متعصباً أو كارهاً لنا فإنه لن يستطيع - حتى لو أراد - أن يستثمر التنازل المقدم إليه ليهاجمنا. وبالتوازي وكذلك في مرحلة تالية، فإنه عن طريق الاتفاق وفي ظل ظروف سليمة، يمكن أن تتطور عملية قبول متبادل بيننا.

من بين الأمثلة التي أوردناها، ما قام به أعضاء حركة بيتار، «يحظر علي المستشار الألماني أن يأتي إلي مداخل مدينة القدس المقدسة ويدنسها» يبدو أن تعبير «نازي» هو تعبير عنصري خالص حيث «نقاء العرق» يعكس عنصرية خالصة وتعصب لا حد له، لكن إذا أردنا أن ننسب ذلك إلي الكارثة فيمكن أن نعتبره رد فعل لعقدة. وإذا لم تكن عنصرية، فحقيقة أن شخصاً ما هو ألماني لا تمثل إتهاماً حيث لا يمكن إدانة شخص بسبب أصله العرقي، إلا إذا أردنا أن نفذي هذه العقدة.

◆ نعم للمقارنة: أشكال السلوك في إطار أربعة

## أضلاع .. الجلاد - الضحية - المنقذ - المراقب

حالة أو وضع البشر المتداخلين في علاقات كما كانت في أوان الكارثة. علاقات الجلاد، الضحية، المنقذين القليلين والمراقبين الكثيرين من الخارج، هي حالة عالمية طالما هناك أقليات وكراهية: فكارثة الإبادة هي هدف لمقارنة أخلاقية وفي مثل هذه المقارنة يجب أن نقارن أنماط التفكير والتعبير الموضوعية المتفردة. فالظروف السياسية وعلاقات القوي يمكن أن تكون مختلفة تماماً بينما أهداف مقارنتنا - كبشر - يمكن ألا تتغير أبداً فإذا ما أقدمنا علي المقارنة بين هؤلاء الذين عاشوا وعملوا في ظل الكارثة وبيننا، فاللياقة تفرض علينا أن نحكم عليهم وعلي أفعالهم ونقارنها بأنفسنا وبأفعالنا، وفقاً لوضعهم ووضع الواحد منا علي نفس الرقعة رباعية الأضلاع التي خطها التاريخ.

إنني افترض أن القراء غير المصابين بفيروس الكراهية لا حاجة عندهم للتدليل علي حقيقة أن هناك أناساً لدينا أقرب في موقعهم من نفس الزاوية في الرقعة الرباعية التي يقف فيها النازيون، أي في الزاوية القومية - التعصبية - العنصرية التي يقف فيها الجلاد، نعم أنهم يكثرون من مضاهاة أنفسهم، أتوماتيكياً، بالضحية، وعدونا بالنازيين، ومعارضيتهم بالخونة. في هذا السياق لدي إثبات واحد، له أثره القوي بالنسبة لي، علي أن هذا التعميم تم بالطريقة الصحيحة، وأن مقارنة أنماط التجاهل والتخفي، التفكير والتعبير التي تستهدف مكانة الصور الإنسانية باقتراب إحداها من زوايا الرقعة المربعة هي المقارنة الصحيحة والمطلوبة. أحد التعارفات المؤثرة لي في السنوات الأخيرة حدثت بعد مقال نشرته تحت عنوان «حليقوا الرأس لدينا» والذي حلت فيه مقاطع نشرت آنذاك في جريدة ربيعام زيتفي، «موليدت» عن مظاهرة سلمية اشترك فيها عدة منظمات سلام من خارج البلاد، وقام المشاركون فيها بتشبيك الأيدي حول أسوار المدينة العتيقة.

وفي أعقاب المقال الذي نشرته حول ذلك تعرفت علي يسرائيل إيليت، الذي تعرض لأقسي ما يمكن أن يتحمله إنسان من فظاعات الكارثة، معسكرات الاعتقال وحملات الموت، وإضافة إلي ذلك تعامل مع التساؤل الدائم، ما الذي ساعده وساعد أناساً آخرين ليحافظوا علي صورة - الإنسان بداخلهم؟ يسرائيل الذي كتب عن ذلك في كتابه «لم يحدث شيء»، قال إنه ببساطة عرف كل أنماط التفكير والتعبير الخاصة بالوطن من هناك، من النمسا الفاشية، تذكر متي بدأ ذلك بالتحديد... نفس الصور ونفس الأسلوب الذي يشي بنفس العقلية ويدرك إلي أين يقود كل هذا إذا لم نوقفه الآن. ذلك هو نموذج لمقارنة صحيحة وموضوعية في اعتقادي.

◆ لا لمقارنة أعمال اليهود بأعمال النازيين في

الجدل السياسي



هذه النصيحة أدلي بها البروفيسور شاول فريدلندر: من المباح والمرغوب، في اعتقادي، وعبرة الكارثة تفرض ذلك، أن نحلل مجالات الجهل وأشكال التعبير والتفكير لدى الإسرائيليين ونقارنها بأشكال التفكير والتعبير الفاشيستي والنازية عندما تبدو كذلك، ولكن لنفعل ذلك في المناقشات فيما بيننا، من أجل اختبار أنفسنا، ولأهداف بحثية وتربوية. وفي النقاشات السياسية، رغم أنه من الصعب أحياناً كبح جماح الأمر، فمن الأفضل أن نضاهي أو نقارن المتعصبين المتطرفين بحليقي الرؤوس في عصرنا الحالي بمعنى أن نميز بدقة ونحدد بالأسماء أشكال التعبير العنصرية والفاشية في عصرنا. فهناك حكام دول هم حثالة الجنس البشري كانوا ورثة النازيين. ويمكن إذا أردنا، مضاهاة المتصلين بالأمر باصدقائهم من الماضي القريب للغاية، مثل الجنرال سلالان الفرنسي من الجزائر، عيدي أمين (أوغندا)، شاوسيسكو (رومانيا)، نوربيجا (بنما)، بوتا (جنوب أفريقيا)، أو ينوشيه (شيلي). هذا ما يجب أن يتم.

#### ◆ حد الأوهام: «حالة رابين» :

في الخامس من نوفمبر ١٩٩٥، أثناء احتفال كبير مؤيد لاتفاق أوسلو، اغتيل رئيس الحكومة يتسحاق رابين علي يد قاتل ينتمي إلي المعسكر القومي - الديني يدعي يجال عامير وتحول الأمير علي يد اليسار الصهيوني إلي أسطورة غير مسبوقه في تلك الليلة امتلاً أكبر ميدان للاحتفالات في الدولة والذي أطلق عليه منذ ذلك الحين اسم رابين، بالأشخاص المسكين بالشموع المضئية، وأنشدوا اغاني حزينة وقاموا بالحداد جماعات - جماعات. وفي ذات الليلة أيضاً ولدت بصورة عفوية صورة دينية طقسية جديدة لأسى وذكرى الموت، وكانت الكتابات علي الحوائط تعبيراً علنياً شخصياً ومباشراً عن كل مواطن بالغ أو طفل.

والتجمع العفوي كل ليلة في ميدان بلدية تل أبيب يستدعي الظروف الضرورية للحدث المدوي في نفس المكان. لكن مؤرخ المستقبل أو كل من يبذل جهده لبحث الحقائق، سيجد صعوبة كبيرة في اكتشاف الصلة بين رابين وسياسته وبين الخرافة أو الأسطورة التي تخلفت بعد موته في دوائر «السيار الصهيوني». ما الذي حول رابين إلي صورة تطابق معها اليسار الصهيوني وجعلها رمزا روحانياً له؟ إن هذا الجزء لا يعني بتقييم الرجل وإنجازاته التاريخي، بل بظاهرة رابين التي حدثت مع موته في وعي بطل هذه القصة، أي اليسار الصهيوني. والتحليل سيحاول أن يدرس فرضيات مختلفة حول ماهية الصلة بين القيم المعلنة للناس الأخيار ومنظمات اليسار الصهيوني وبين رابين.

#### فرضية ١: تقارب شخصي - تنظيمي

المقصود هي دراسة فرضية أن اليسار الصهيوني اتفق إلي حد التطابق في الرأي مع رابين، وأن رابين

أعطاه شعوراً بأنه «صديق» يميل إليه، وينسبه إلي دائرته الاجتماعية - الثقافية. تلك هي الصلة التي تعطي الشريك فيها الشعور بأنه واحد من الشلة. إنها علاقة ود تقوم علي ثقة أساسية تفترض أن هؤلاء الناس يمكن العمل معهم ويمكن الاعتماد عليهم، وهي علاقات اجتماعية إيجابية علي أساس تقارب ذهني عقلي وواقع مشترك. ولم أجد أي شيء يشهد علي مثل هذه الصلات بين رابين وبين شخص ما من نوع «الأخيار»، حتي يوم موته الذي غني فيه مع الجميع نشيد السلام وتبادل الأحضان، كما قالوا، مع المطرب الشاب أفيف جيفن وبعد انتخابه رئيساً للحكومة، وجدت تصريحاً واحداً فقط لرابين تعرض فيه لليسار الصهيوني. حيث قال: «لو ظهرنا، كما بدأت الحكومة في الظهور، باعتبارنا حكومة يسارية وليست حكومة وسط، وباعتبارنا غطاء لميرتس وحداش ودراوشة، فأننا سنسقط سريعاً». (أقوال أدلي بها في مكتب حزب العمل، مايو ١٩٩٢).

أي أن إطار تعامله كان أحرص علي الصورة التي يبدو عليها في أعين اليمين، هؤلاء الذين نظروا إلي حكمته باعتبارها «يسارية». وعندما تقرر إعطاء جائزة إسرائيل للبروفيسور يشعياهو ليفوفيتش (الذي تنازل عنها في النهاية) أعلن رئيس الحكومة رابين أنه لن يذهب إلي مراسم الاحتفال. وبناء علي كل ما توفر لدي من مواد فلم تكن له أية جاذبية أو ود أو تقارب شخصي مع ما يمت بصلة لليسار. فالأخيار والنماذج الأكثر اعتدالاً في حزب العمل، مثل يوسي بيلين، اعتبروا خصوماً لرابين، وبيريز. ففرضية التقارب الشخصي التنظيمي إذن ينقصها التأييد الكامل والنهائي.

#### ◆ فرضية ٢: تقارب من أجل الإنسانية

بشكل سريع في النقاش الأول الذي جرى في مكتب حزب العمل، بعد أن أعلن اتفاق أوسلو، قال رابين - في كلمات لا تحتاج إلي إضافة - ما يثبت أنه لم يكن من الأخيار طالما ارتبط ذلك بأخلاق القتيل والعلاقة بسكان العدو ولم يجب «الأخيار» أصلاً واقترب من إقناع أعضاء حزبه بجذوي عقد صفقة مع منظمة التحرير بهذه الكلمات: «أمل أن نجد شريكا يكون مسؤولاً عن المشكلات الداخلية في غزة، ويتولي علاجها بدون محكمة العدل العليا، وبدون مشاكل لأي من الأخيار - الأمهات والأباء وما شابه» (يديعوت أحرونوت ١٩٩٢/٩/٢).

وفي احتفال حصول بيريز علي جائزة نوبل للسلام ذكر رابين في خطابه أخلاقيات الحرب الرفيعة لجيش الدفاع الإسرائيلي والشفرة الأخلاقية التي ارتبطت بأبناء جيله. ومؤرخ المستقبل الذي يقرأ هذه الشفرة الأخلاقية، أو يبحث عن دلائل تأثيرها، لن يتولد انطباع لديه بأن الأمر كان ناتجاً عن الخوف علي الصورة الأخلاقية لجنوده أو قلقاً علي نظافة السلاح بعد فترة



طويلة نسبياً من استخدامه ضد سكان من المدنيين والأطفال.

وحقيقة أن جنود إسرائيل يؤدون الدور الذي تؤديه الشرطة في أي دولة عادية لا يرد علي تفكيرها هذا الكود أو الشفرة المزعومة. ليس هناك أيضاً أي دليل علي الشعور الأخلاقي لرابين في المواقف الحقيقية التي مر بها علي مدي عشرات السنين، وخاصة كرئيس حكومة ووزير للدفاع: أي تعبير عن خطر أخلاقي يكاد يقع فيه جنودنا، أي لفت انتباههم للحفاظ علي نظافة السلاح، أي أمر أو تحذير أو تصريح يلزم بالتشديد علي نظافة السلاح في مواجهة عشرات ومئات من الضحايا المدنيين غير المسلحين، بما في ذلك الأطفال، في الانتفاضة. كذلك لا أحد بالمرة يستخدم كلمة «ضمير». بالمرة فإذا وجد المؤرخون في المستقبل، مثلما وجدت أنا، أن سياسة وسلوك قوات الأمن الإسرائيلية في الانتفاضة - ليس استثناء بل السياسة نفسها - كانت سقوطاً أخلاقياً مدوياً، فلا شك أن رابين سيبرز كأحد المسؤولين الرئيسيين. فالإنسان صاحب الشعور الأخلاقي بالنسبة للسكان الخاضعين للحكم العسكري كان يمكن، في موقف وفي موقع رابين، أن يغير الواقع المروع للسنوات التي شغل فيها منصب وزير الدفاع (علي سبيل المثال، عدم إرسال جنود غير مدججين بالسلاح لتفريق مظاهرات عنيفة، في جماعات صغيرة وبكميات كما لو أنهم يخرجون للصيد وليس لصدمات تتعرض فيها حياتهم للخطر).

كما لا توجد أية شواهد علي أن رابين أدان ولو مرة واحدة أقوال التحريض للقيام بجرائم اعتاد ترديدها رجالات الكوماندوز (بلماح) من اليمين المتطرف مثل رفائيل اتيان ورجب عام زئيفي. ورابين لم يرد، مثلاً عندما قال رفائيل متحدثاً عن «الشفرة الأخلاقية، الخاصة به» ما الذي يعينه استخدام معتقل للسلاح؟ لا لقتل العدو؟ أتطلق علي القدمين بدلاً من الرأس؟ - هذا يؤدي إلي إضعاف المعنويات في الجيش. وما الذي يعنيه نظافة السلاح؟ السلاح غير نظيف. السلاح وجد ليقتل». (يديعوت أحرنوت ١٩٩٤/١٢/٢٧) رابين نفسه لم يتحدث بهذه الطريقة، لكن الرجل الذي كان المتحدث الرسمي له في التليفزيون خلال الحملة الانتخابية التي قاده إلي السلطة، عميد (احتياط) بنيامين بن اليعازر، تبرع لوسائل الإعلام بإعلان أن «فقط كثيرو البكاء الأخيار هم الذين يهتمون بالنظرة الإنسانية للمشكلة الفلسطينية .. إن قسوة الاحتلال لا تشغلني» (هاآرتس ١٩٩٣/١/٣١).

وسيجد المؤرخ أدلة كثيرة لا تمدح علاقة اليسار الصهيوني بأخلاق القتال عند رابين. ففي بداية الانتفاضة (ديسمبر ١٩٨٩) وقف يوسي ساريد علي منصة الخطابة في الكنيسة وباسم الأطفال الفلسطينيين الذين لم يتمكنوا بعد من التحدث قال

لوزير الدفاع ارحل! وباعتباره وزيراً في حكومة رابين لم يضيف شيئاً للثورة علي قتل الأطفال الذي تراكم في فترة تولى ايهود باراك رئاسة الأركان في جيش الدفاع، مقابل ذلك أبدي، مع كل اليسار الصهيوني، معارضة كبيرة لطرد نشطاء حماس إلي لبنان لكنه لم يذهب وبقي في الحكومة في وضع وصفه بكلمات معروفة «نحن أسري السلام». وفي النهاية، فإننا مضطرون لذكر إحدى أكبر العمليات المناهضة للإنسانية في كل الأزمان والتي قامت بها إسرائيل علي يد رابين وميرتس في الحكومة، «عملية كشف حساب» (يوليو ١٩٩٢) بالضبط قبل الإعلان عن اتفاق أوسلو). لقد تعودنا علي انفجارات ارهابية في مدن عربية قبل (مثل إربد الأردنية)، لكنها المرة الأولى لعملية عسكرية يكون الهدف واضحاً ومعلناً وغير قانوني بالمرة: طرد سكان بالكامل من منازلهم وأخلاء قطاع من الأرض من سكانه.

«عملية كشف حساب» كانت عبارة عن انفجارات من الجو وعلي الأرض، وكما أتمني ألا تكون جريمة حرب، علي خلفية قولهم أنهم يقصفون فقط «قصفاً وهمياً» بعض القرى لجعل السكان يتركونها. لقد ترك ٤٠٠.٠٠٠ نسمة جنوب لبنان وتوجهوا شمالاً. ولا يهمننا الآن مدي النجاح الاستراتيجي والتنفيذي لهذه العملية. يعنينا الرد الأخلاقي «لليسار الصهيوني» الذي علي ما يبدو شاهد كل شيء وتعود عليه، فكان رده الأخلاقي تقريباً لا شيء، الرد صفر.

والمؤرخ سيجد بالطبع وسريعاً، أنه عندما اندلعت الانتفاضة قال وزير الدفاع يتسحاق رابين أننا سنكسر أيديهم وأرجلهم. وقد أدى هذا التصريح إلي موجات إعلامية ضخمة. رابين، بالطبع، لم يقصد حرفياً هذا الكلام، لو كانت هناك حاجة للتوضيح، مثل ما كان رئيس أركان حرب يوم الغفران، دفيد اليعازر لا يقصد المعني الحرفي عندما قال في ذروة الحرب أننا سنكسر قوتهم. لكن وكما أثبت في فصل الانتفاضة، فإن كثيرين من قوات الأمن فهموا ذلك حرفياً ولم يتوقفوا حتي كسروا أطراف مئات الناس، ليس بالأخص من مثيري الاضطرابات لهؤلاء الذين ألقى القبض عليهم فحسب، كنوع من العقاب. ورابين لم يوقفهم. لقد كان بعيداً عن مشاعر «الأخيار» وما من دليل واحد إنه كان معنياً بشكل خاص بمشكلة «نظافة السلاح» حتي في الخطاب التاريخي، مع توقيع اتفاق الاعتراف المتبادل مع منظمة التحرير في واشنطن، تجاهل رابين النظرة الأخلاقية لسياسة الضم وتحدث فقط كقائد مسؤول عن أن جنوده يقتلون ولذلك قال، «يكفي هذا».

وفرضية أن اليسار الصهيوني اتفق في الرأي مع رابين بسبب مشاعر «الأخيار»، هي إذن فرضية غير مقبولة.

**فرضية ٢: الاتفاق في الرأي مع موقف رابين السلبي**



## تجاه المستوطنين ..

مع اتفاق أوصلو أعلن رابين أولاً «لا إضرار بالاستيطان» وفي وقت سابق علي ذلك، في نوفمبر ١٩٩٢، التقى بمندوبي مجلس المستوطنين في الضفة وغزة الذين اشتكوا بأنه يجعلهم غير شرعيين. «بناء ١١٠٠٠ شقة بأموال الدولة يسمى عدم شرعية؟»، ودافع رابين عن نفسه. لقد أراد رابين أن يظهر في صورة السيد «أمن» وباعتباره رئيساً لحكومة وسط وليس حكومة «يسارية» وهو أمر بالطبع يدل على عدم فهمه التام للتعبير الذي كان له شأن معه. ولم تساعد حقيقة أن حتي سلفه في منصب وزير الدفاع في حكومة اليمين موشيه أرئز، لم ينجح في ارتداء ثوب الوسط أمام المستوطنين (طارده قوتهم بالتظاهر في كل مكان رحل إليه. وفي كريات أربع حاولوا منع طائرته الهليكوبتر من الهبوط. وكل هذا قبل أن يحلم أحد بالاعتراف بمنظمة التحرير وباتفاق أوصلو). ولم يفهم أنهم يعتبرون كل من يقف في طريقهم عدو يجب التخلص منه وكلما حاول إرضائهم، لم يساعده ذلك. وفي رد فعل فوري علي اتفاق أوصلو قال أحد حاخامات المستوطنين، عضو الكنيست حنين يورت (مفدال) أن تسليم غزة وأريحا لمنظمة التحرير هو بمثابة خيانة لأرض إسرائيل ولمسيرة عودة صهيون، ولا شرعية لأي نوع من أعمال الخيانة.

ماذا يمكن أن يكون مفهوماً من تلقاء نفسه وما هو الأقل سياسياً من إدانة أعمال قتل مع سبق اصرار وترصد لأبرياء؟ وبعد قتل ثلاثة فلسطينيين من تركوما بالقرب من الخليل علي أيدي مستوطنين «علي خلفية قومية» كعمل انتقامي، أعلن مجلس مستوطني الضفة وغزة (حدثت ٩٢/١١/١): «الذي يجب أن يسأل نفسه كيف حدث الأمر هو رئيس الحكومة، الذي يدفعنا بالتدريج خارج إطار، والواقع انه يوحي للناس أن حياتهم مباحة» وجاء رد فعل رابين في التليفزيون تبريراً، فقد دافع عن نفسه أمام الاتهامات الموجهة ضد قوات الأمن ولم يتضمن رده أي بعد أخلاقي، أي إدانة لهؤلاء الذين يبدون تفهماً لأعمال اليهود الإرهابية وبيدونه هو. إن رد فعل رابين لم يشبه حتي رد فعل سلفه موشيه أرئز، الذي قال عن هذا الحادث في الراديو: «لا يمكن أن اتسامح في هذا السلوك المستهتر، وغير القانوني، وغير الاخلاقي للمستوطنين الذين احرقوا سيارات كثيرة بعد عملية قتل مدنية .. إنه إلحاق اذي بابرياء لا ذنب لهم».

الأيضاح التالي ربما يكون مطلوباً لمؤرخ المستقبل، في حالة ما إذا كان أبعد من أن يفهم معني بعض التعبيرات والمصطلحات في العبرية المترجمة والتي يمكن أن تغفل باستنتاج أن رابين قال ما يعد تهديداً للمستوطنين وأظهر لهم كراهية وبذلك وضعهم أمام مصطلح «الدافع». وهذا الايضاح مطلوب كذلك علي ما يبدو لكثير من الإسرائيليين الموجودين الآن، الذين ليست

لديهم فكرة كافية عن غباوة وحماقة والتأثير السريع المرتبط بهما فيما تبثه وسائل الإعلام علي الدوام كنوع من أنواع السم.

كان لدي كثيرين في «اليسار الصهيوني» أمل في أنه مع صعود المعارخ إلي السلطة ستسقط حكومة المستوطنات. علي الأقل، علي خلفية أنهم يأملون أن تقوم دولة فلسطينية. أو أن يكون سلام، أو أن المستوطنات هي عائق للسلام، والجدير أن كثيرين داخل اليسار الصهيوني كان لديهم توقع واضح أن رابين سيزيل المستوطنات خاصة أنه هو نفسه، عندما كان في المعارضة، صرح ذات مرة:

«حكومة الليكود تسخر منا جميعاً. يُظهر مبعوثوها اهتماماً كبيراً بالسلام عندما يذهبون إلى واشنطن، لكن نفس الحكومة هنا تضع عائقاً تلو الآخر أمام أي احتمال للسلام، أو حتي الحكم الذاتي، أن الواحدات السكنية من ٢٥:٢٠ ألف التي تم بناؤها وما زالت تستكمل في هذه الأيام علي كل هضبة وتحت كل شجرة يانعة في الضفة الغربية وفي قطاع غزة، هي بمثابة أعمدة خرسانية فوق قبر الحكم الذاتي» - يديعوت أحرونوت ١٠/١/١٩٩٢).

ولم يكن لدي المستوطنين - في الواقع - شك بأن رابين سيحاول إزالة المستوطنات وقد أبدوا الاستعداد الجاد لأحياط هذا الاحتمال. لكن لأنني اتحدث في هذا الفصل عن الخداع والاهام، فيجب أن نذكر أنه رغم أن رابين قال بأن حكومة الليكود «تسخرنا جميعاً» وانها تدفن احتمالات السلام تحت خرسانات المستوطنات، فإن ما يرام وراتس اعلنتا في نفس الوقت انهما لن يصوتا ضد حكومة اليمين طالما استمرت عملية السلام!

وفي مارس ١٩٩٢، في ظل حكومة رابين، اقترح يوسي ساريد تسليم قطاع غزة لدولة فلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية. وحتى في الليكود كان هناك تأييد لأن تخلي إسرائيل القطاع من جانب واحد، وأعرب موشيه أرئز (ليكود) عن تأييد الفكرة بعد ما فقد منصب وزير الدفاع. فما الذي فعله رابين بعد انتخابه؟ ما الذي قدمته حكومة رابين للمجتمع من علاقتها بالمستوطنين؟ لقد قام وزير زراعته أحد أبناء الكيبوتسات يعقوف تسور، بزيارة لشد أزر مستوطني جوش قطيف ووعد بتزويد مستوطني قطاع غزة بمائتي عامل أجنبي. ووزير السياحة عوزي برعام المحسوب علي الحماثم. زار مستوطنة خوف - دكليم ووعد بإقامة منتزه. كذلك وزيرة العمل والرفاهة، أورا نمير، جاءت لمستوطنات قطاع غزة لمزيد من الاهتمام برفاهة السكان (اليهود). وكان وزير الإسكان بنيامين بن اليعازر، قائد الضفة الغربية سابقاً، والذي واصل بناء المستوطنات بمعدل لم يجعل لدي المستوطنين كلمة سيئة



عليه. وفي هذه الفترة، مارس ١٩٩٤، تحلي بن اليعازر نفسه بالشجاعة واقترح اخلاء المستوطنة اليهودية في الخليل. في أعقاب المذبحة التي ارتكبها باروخ جولدشتاين، نظراً لأن الاحتمال الآخر كما يراه «إن توضع عليهم حماية متصلة لا تقل عن نظام صارم تحت إمرة لواء كامل». ورابين؟ في بيان سياسي ألقاه في الكنيسة حول مذبحة جولدشتاين الذي أسماه بالرجل الشنيع والحقير، قال: «إن عملية القتل الشنيعة لن تحركنا عن مواقفنا الأساسية المتعلقة بأمن إسرائيل وبأمن مواطنيها، بما فيهم المستوطنون اليهود في الضفة وغزة». (هاآرتس ١٩٩٤).

ولنتذكر، من فضلكم، أن رابين قُتل بعد ثلاثة سنوات وثلاثة أشهر منذ توليه، دون أن يوضع علي جدول أعمال الحكومة بالمرّة إخلاء المستوطنات ودون إزالة ولو مستوطنة واحدة، ولا حتي المنطقة الاستيطانية ناتسريم المحاطة بالسكان العرب في قطاع غزة. والمفترض أن رابين الذي تمسك بموقفه المعارض للمستوطنين والمستوطناتهم باعتباره من اليسار الصهيوني، قد أبعد هذا الموقف أيضاً من جدول الأعمال.

#### ◆ فرضية ٤: تقارب أيديولوجي في الصراع علي أرض إسرائيل

لأنه في عهد رابين برز دور الشباب (جيل كامل طلب السلام، الذي قام في أعقاب الاغتيال تقريباً بحركة باسم رابين)، يفترض أن هؤلاء الشباب قد تجاهلوا أو تراضوا طوال عامين من حكم رابين حتي اتفاق أوسلو، وأن مشاعرهم بالنسبة إليه كانت تتفق تماماً مع أوسلو، ومع الرجل الذي اقتحم الطريق إلي مباحثات مباشرة مع عرفات ومنظمته.

كان البيان الأول لرابين، الذي بثه للمجتمع بعد أن أعلن عن اتفاق أوسلو، قد حدد أسلوبه ومن ثم أسلوب إسرائيل (الذي لم يتغير حتي الآن): «اضطرابات في البطن» بما يعني شعور بخوف شديد، وكذلك «في أي مرحلة نستطيع إيقاف العملية»، وأيضاً «دون الإضرار بالاستيطان». بعد ذلك علي الفور جاء الايضاح بأن رابين يأمل أن يكون الكيان الفلسطيني «أقل من دولة».

وقد عاد رابين أيضاً بعد أوسلو إلي الصيغ المعروفة لحزب العمل «إنني اعتقد في حق الشعب اليهودي علي جميع أرض إسرائيل، لكن قلنا إننا لا نريد ضم مليوني عربي وأن نصبح دولة مزدوجة القومية». وتسمية «دولة مزدوجة القومية» لدولة الضم هو تعبير لاذع عن واقع القمع. وقد وردت كل هذه الأقوال بوضوح تام دون أي تحول أيديولوجي. فلم تكن هناك أي مظاهر إنسانية توحى بأي احتمال لكسب التخلي عن مأزق الاحتلال بالقوة، وليس هناك ابداء ثقة باستئناف اخلاقي أو محاولة لإعادة الروح والأمل في التسوية. لقد كان كل موقف رابين يستهدف التوائهم مع هؤلاء الذين قالوا إنه يرتكب عملاً خاطئاً يفتقد إلى المسؤولية أو من قالوا

«خيانة» و«انتحار قومي»، وهذاهم بقوله «الأمر ليس قظيماً إلي هذا الحد، فكل البقرات المقدسة باقية في الحياة».

رابين نفسه قدم اتفاق أوسلو باعتباره تغييراً تكتيكياً وليس علي أنه تحول أو مراجعة بأي تغيير موقف. وقد أوضح، أنه مع منظمة التحرير فقط يمكن إنهاء الموضوع بأي شكل في المناطق. ولم يقم بأي تغيير «أيديولوجي»، كما أوضح أن إسرائيل قوية وليس هناك ما تخشاه. وبالطريقة التي قدم بها رابين اتفاق أوسلو وتعامل بها مع العمليات الإرهابية التي أداها بها منافسوه وغالبية المجتمع الاتفاق، بهذه الطريقة في الحقيقة أشعل خوفهم وأثار معارضتهم. وكما ذكرنا أنه قال ذات مرة: «ليس هناك كذبة أكبر من الإدعاء بأن ضحايا هذه العمليات هم ضحايا السلام، كما يدعي اليمين المتطرف، لأن هؤلاء هم ضحايا التسلط علي شعب آخر يثور ضد سلطتنا». (دفار ١٩٩٤/٥/٢٢). لكن ذلك لم يصبح خطأ ثابتاً وموجهاً من الناحية الدعائية، ولم يبذل رابين أو حزبه أي جهد لتثيبت ذلك في الوعي العام للمجتمع باعتباره موقف الحكومة. والجدير بالذكر إنه في هذه الحالة أيضاً كان رابين كريماً ولطيفاً مع اليمين برمته، عندما قال إن هذه الكذبة هي إرث «اليمين المتطرف». والكذبة الكبرى أن ضحايا الإرهاب هم ضحايا السلام، وتجاهل أنهم ضحايا تسلطنا علي شعب آخر، أصبحت آنذاك إرث المجتمع كله. ولو أردنا الحكم طبقاً لتناول وسائل الإعلام للموضوع. سنجد أن الرئيس فايتسمان، الذي قام بدور زعيم سلام إيجابي، متفائل، ومثير للثقة والأمل في اتفاقية السلام مع مصر، انقلب تجاه عملية السلام مع منظمة التحرير. لقد انضم إلي اليمين وروج في المجتمع رأيه بأن ضحايا الإرهاب يرضون علينا وقف العملية السلمية والتفكير بأن الأمر لا يمكن أن يتواصل.

لقد أدعي رابين أنه لا يؤمن بالدعاية. وهو قول واضح: إنسان يقول إنه لا يؤمن بالدعاية في الوقت الذي لا يؤمن هو نفسه بصورة أشد بالفكرة التي يجب عليه أن يوضحها. إن ما حدث بالفعل هو أن منظومة الخوف من الاتفاق استجابت لمتطلبات المتطرفين والميالين للموقف المتطرف. ومن يعرف منطقتهم ومفاهيمهم، الكراهية، يعرف أنه بدون خوف العدو فلا وجود أبداً ولا مبرر لكل مواقفهم أمام أعدائهم ومنافسيهم. أن خوفهم الحقيقي يكمن في زوال الخوف باعتباره العنصر الذي يفرض ويبرر وجهة نظرهم. وانتبهوا أنه في يوم من الأيام اقتنعت غالبية الشعب أننا أقوى بما يكفي أمام أعدائنا، وليس هناك مانخشاه لا من دمار ولاحتي من حرب حقيقية. وأغلقتنا ملف هذا الموضوع. وكان هذا بمثابة ذبح للبقرة المقدسة الناجعة والرائجة، ألا وهو الاعتقاد في «وجود خطر ما علي جوهر وجودنا»، بما في ذلك الضم والاستيلاء بالطبع.





من كتاب "المثالية (الطوبائية) بالزري العسكري"

## دور وتأثير ديفيد بن جوريون في تشكيل الدولة

زئيف دوري - تابع الفصل الأول (٢)

فيها بالانسحاب الفوري للقوات الإسرائيلية من الأراضي المصرية. وفي هذه الرسالة إشارة إلى احتمال تدخل عسكري بريطاني، وفقاً للمعاهدة الموقعة بين مصر وبريطانيا من عام ١٩٣٦. وقد أوضحت أبحاثاً لاحقة أن البريطانيين لم يفكروا في خطوة كهذه وأن الإنذار ولد بمبادرة أمريكية.

إلا أن بن جوريون سارع وقرر، بمشورة مع شاريت ويادين، سحب جيش الدفاع الإسرائيلي من سيناء. وقد صدر الأمر في هذا الشأن في ٢١ ديسمبر ١٩٤٨. لأن بن جوريون رأى الصورة كاملة وليس فقط الشق العسكري: أي ضرورة الحفاظ على شبكة العلاقات مع الدول العظمى، وعلى رأسها الولايات المتحدة، وضرورة الإمتناع عن استفزاز البريطانيين، والتي كانت سياستهم معادية للصهيونية، بالإضافة لضرورة إنهاء الحرب مع الدول العربية المجاورة.

وفي مساء ٧ يناير ١٩٤٩ عرف بن جوريون أن «وقف النيران» بدأ سرياته على الحدود الجنوبية، وفي اليوم التالي سجل في مذكراته: «في العام الماضي قمنا بعمل أكبر إنقلاب في تاريخ شعبنا: فقد أسسنا الدولة اليهودية وخرجنا من العبودية إلى الخلاص، وأنشأنا جيش دفاع لإسرائيل وحاربنا الجيوش العربية التي غزتنا وكنا ندا لها. وحررنا النقب والجليل ودفعنا بأكثر من مائة وعشرين ألف مهاجر في عام واحد من الشتات كبداية أولى لتجميع الشتات. وأصبحنا كيانا رسمياً في الشرق الأوسط وفي العالم كله.

وأثناء ذلك، على ضوء المشاكل العديدة والصعبة، قاتل بن جوريون لتحقيق تطلعاته ببناء جيش موحد، وخاضع تماماً للهيئات المدنية، بدون أي صلة بأسس تنظيمية - سياسية سابقة مثل «إيتسيل» (التنظيم العسكري

بناء جيش موحد بدون نزعة سياسية: مع إندلاع المعارك الضارية والتي كانت تهدف لطرد الجيش المصري من قطاع النقب ومن شمال سيناء، والوصول، إلى حسم الموقف تماماً مع هذا الجيش. تم تنفيذ عملية واسعة النطاق وفقاً للخطة الموضوعة، على الرغم من الصعاب في مراحلها الأولى. فقد احتلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي بقيادة يگائيل ألون، المواقع التي تشرف على مناطق العوجة وفي ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ إنتهت المرحلة الأولى الحاسمة من المعارك. ومن هذه المرحلة فصاعداً لم يعد الجيش المصري للقتال في نطاق أرض إسرائيل (فلسطين) بل على أرض مصر، وكان أقرب إلى الإنهيار.

وصبيحة ذلك اليوم عبرت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي الحدود الدولية. وعلى الرغم من عمليات «يادين» لقائد الجبهة، ألون، بوقف التقدم في اتجاه العريش، إلا أن جزء من القوات استمر في التحرك نحو أبو عجيلة واحتل مطاراً على بعد عشرين كيلو متراً من العريش. فأبرق يادين إلى يگائيل ألون قائلاً: «إنتي أكرر وأؤكد، أنتي أحظر عليك القيام بأي عمل شمالي أبو عجيلة بدون تصديق مني». وفي أعقاب تلك البرقية طار ألون إلى تل أبيب، للقاء شخصي مع بن جوريون. وفي هذا اللقاء تم الإتفاق على القيام بهجوم في اتجاه خط غزة - رفح، من خلال عملية انزال للعريش بغرض التضليل. وقال بن جوريون الذي كان يخشى من رد فعل بريطاني غاضب، قال لألون: «إذا ما جاء الانجليز فسنعود لحدودنا، أما إذا وصلوا للعوجة فسوف نحارب».

وبعد ذلك بوقت قصير سلم سفير الولايات المتحدة في إسرائيل، جيمس ماكدونالد لبن جوريون ولموشيه شاريت رسالة من رئيس الولايات المتحدة هاري ترومان، يطالب



لإسرائيل) و«ليحيي» (المحاربون لحرية إسرائيل). فمن جانبه كان ذلك بمثابة مبدأ أساسيا، واختيارا هاما لفاعلية نظام السلطة في دولة ذات سيادة.

مع إنشاء جيش الدفاع لإسرائيل في ٢١ مايو ١٩٤٨، صيغ قسم جنوده علي هذه الصورة: «ها أنا أقسم وأتعهد بكل صدق بالحفاظ علي إخلافي لدولة إسرائيل، لدستورها ولسلطاتها الشرعية. وأقبل دون شروط ودون تحفظ الإنصياع لجيش الدفاع لإسرائيل، وإطاعة كل الأوامر والتعليمات الموجهة من القادة وتكريس كل قواي، بل والتضحية بحياتي لحماية الوطن وحرية إسرائيل.

ولو أن الأمور سارت علي بساطتها، لكان في ذلك القسم ما يضمن السيادة التامة للحكومة، وللحكومة فقط علي جيش الدفاع لإسرائيل. ولكن في الحقيقة - وربما كما كان متوقعا - فقد إتضح أن بناء الجيش الموحد أدي قبل إنشاء الدولة بين جورويون إلي مصادمات صعبة مع المنظمات التي عملت في نطاق الحرب ضد العرب والبريطانيين (المنظمة العسكرية لإسرائيل والمحاربين لحرية إسرائيل وبمرور وقت دخل حتي في ومواجهة ليست بسيطة مع هيئة أركان أو ما كان يسمى بالبالمخ كتائب الرواد).

وكان علي بن جورويون أن يصل إلي حلول وسط مع العناصر المختلفة وذلك علي النقيض من تطلعاته المعلنة.

لقد إستجاب جزء من أعضاء تنظيمي «المنظمة العسكرية لإسرائيل»: «إيتسيل» و«المحاربين لحرية إسرائيل» «ليحيي»، لأوامر التجنيد والتي أصدرتها مؤسسات اليبشوف (التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين) فورا مع بداية المعارك ولكن قيادات المنظمات حاولتا إيجاد سبيلا لتسويات أخرى من شأنها أن تمنع التحاق أعضائها بالجيش وأداء الخدمة العسكرية، وما سيترتب علي ذلك من كشف أعضائها النشطاء. وفي الواقع حافظت كل من منظمتي إيتسيل وليحيي علي وجودهم المنفصل كاملا وذلك حتي الإعلان عن قيام الدولة وغزو الجيوش العربية. وكان بن جورويون قد عارض حلول وسط مختلفة طرحت علي إدارة الوكالة، ولكن في مايو ١٩٤٨ وافق علي حل من هذا النوع مفاده تجنيد أعضاء المنظمات لجيش الدولة، ما عدا بالقدس. طالما أن المدينة لم تدخل في النطاق الذي خصص لدولة إسرائيل في قرار التقسيم، حيث إمتنع بن جورويون، في هذه الأثناء، عن تطبيق سلطة المؤسسات المؤقتة للدولة علي المنظمات العسكرية وسمح باستمرار منظمات «الهجاناه» و«إيتسيل» و«ليحيي» للعمل داخل القدس بوصفها منظمات غير خاضعة لجيش الدفاع.

### قضية التالنيا:

لقد أحدثت قضية السفينة «التالنيا» في يونيو ١٩٤٨، تحولا دراميا في الصراع علي تحديد الصلاحيات الشرعية في الدولة الناشئة وعلي توحيد الجيش. فقد

مثلت سفينة المحاربين والأسلحة التي جلبتها منظمة «إيتسيل» لشواطئ البلاد تحديا لسيادة السلطة، خاصة إزاء طلبين لقادة تنظيم «إيتسيل» وهما توجيه جزء من السلاح الذي جلبته السفينة لرجال إيتسيل (المنظمة العسكرية لإسرائيل) والمجندون في الخدمة بوحدات الجيش، لكي يصلوا إلي المعركة وهم مزودون بالعتاد كما ينبغي، والطلب الثاني تخصيص خمس الشحنة للوحدات المستقلة لتنظيم إيتسيل بالقدس وقد رفض بن جورويون هذه المطالبات جملة وتفصيلا، بزعم أن الحكومة المؤقتة هي المخول لها توزيع السلاح في الدولة وأنه ليس مخولا لأي جهة، أن تملي عليها كيف توزعه. وأدار كل من إسرائيل جليلي وليفي إشكول مفاوضات مع قائد تنظيم إيتسيل مناحم بيجين، ولكن الشكوك المتبادلة الكبيرة لدي الطرفين أدت إلي تعقد المشكلة.

فقد تم استدعاء الحكومة المؤقتة بهدف منع نشوب حرب أهلية وأثناء النقاش كان هناك وزراء تحدثوا عن ضرورة التفاوض مع تنظيم «إيتسيل» ولكن بن جورويون أصر علي موقفه قائلا: «إن ما حدث يعرض الدولة للخطر .. إنها محاولة لتدمير الجيش ومحاولة لإغتيال الدولة. وفي هاتين القضيتين لا يمكن أن يكون هناك أي حلول وسط.

وبأغلبية سبعة أصوات ضد اثنين، قررت الحكومة مطالبة تنظيم «إيتسيل» أن ينقل السفينة بأسلحتها إلي أيديها. كما تقرر بنفس الأغلبية إستخدام القوة ضد السفينة، إذا ما إستدعت الضرورة ذلك.

وفي ١٩ يونيو إقتربت السفينة «التالنيا» من شواطئ تل أبيب، علي أساس إفتراض رجال المنظمة العسكرية لإسرائيل (إيتسيل) إمكانية تفريغ شحنة الأسلحة والذخيرة بمساعدة مؤيدي التنظيم في المدينة وفي محيطها أما بن جورويون فقد تمسك بالإنذار الذي وجهه لتنظيم «إيتسيل» وأصدر أوامره ليجائيل يادين ضابط العمليات الوطني لجيش الدفاع لإسرائيل لتجميع وتركيز قوات جيش في المنطقة التي أعدها قادة تنظيم «إيتسيل» لرسو السفينة وبسرعة إندلعت في المنطقة مصادمات عنيفة بين جنود من كتائب «البالمخ» ومن كتيبة «كرياتي» وبين رجال تنظيم «إيتسيل» والذين هربوا من وحداتهم العسكرية وجاءوا لمساعدة زملائهم. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أصدر بن جورويون أمرا ليادين بقصف السفينة. فأصابتها إحدى القذائف وأشعلت فيها النيران وأدت لإنهاء المعركة مبكرا ووصل عدد القتلي إلي ١٦ قتيلا وضاعت أغلب الأسلحة التي كانت بالسفينة في مياه البحر غرقا وكان من بين آخر من غادروا السفينة الفارقة قائد تنظيم إيتسيل مناحم بيجين.

وأستمرت عمليات جيش الدفاع لإسرائيل في هذا الصدد لعدة أيام أخرى بعد غرق السفينة. فقد تم القبض علي العديد من نشطاء حركة «حيروت» وهي الحزب الذي أقامه الخارجون من تنظيم «إيتسيل» وأودعوا رهن



الاعتقال الإداري، بدون محاكمة. وفي هذه الأثناء اندلعت أزمة إئتلافية خطيرة، فأثناء انعقاد الجلسة الخامسة لمجلس الدولة المؤقت، في ٢٢ يونيو ١٩٤٨ طلب من بن جوريون أن يشرح كيف تطورت الأمور لدرجة الصدام الدموي الذي ولد معارك. فباتهم بن جوريون بتنظيم «إيتسيل» بعدم إحترام الإتفاقيات حول وقف الأنشطة العسكرية للتنظيم وبقيامه بالتزود بالعتاد خروجاً على الأوامر الصادرة، وامتناعه عن تسليم سلاحه لجيش الدفاع، وهكذا أعلن بن جوريون: «إن جلب سلاح بواسطة المنظمة العسكرية القومية، والتي نقضت عهودها مع الدولة هو عمل يمثل خطر أكبر، لأنه يعرض الدولة للخطر ويمهد الطريق لحرب أهلية علي نطاق واسع».

وفي نفس الخطاب الذي ألقاه، شرح بن جوريون بإسهاب الخطر الكامن في وجود تنظيمات مسلحة مستقلة، والتي تمثل وجهات نظر سياسية. فقد عاد وكرر أن جيشاً واحداً فقط، وإنضباطاً وسيادة واحدة، هي التي ستتيح الصمود أمام الجيوش العربية الغازية.

بينما ظل مناحم بيجين من وقتها فصاعداً، حتي يومه الأخير، يزعم أن المسؤولية عن ذلك التطور التراجيدي تقع بكاملها علي الحكومة المؤقتة، والتي إمتنعت عن الوصول إلي إتفاق ومنعت إنزال السلاح والمحاربين بصورة منظمة. فحسب قوله: «إن السفينة التالية وصلت لإسرائيل بتنسيق تام بين تنظيم «إيتسيل» وبين ممثلي الحكومة «جاليلي» و«اشكول» وكلاهما أطلع بن جوريون بشكل مباشر علي كل التفاصيل والتحويلات. إلا أن بن جوريون - حسب زعم بيجين - فضل استغلال الفرصة، لكي ينسب لايتسيل محاولة التمرد والاستمرار في العمل السري ثم العمل علي تفكيك التنظيم بحجة هذه المحاولة.

وبنظرة للماضي نجد أنه من الواضح أن قضية «السفينة التالية» مكنت بن جوريون من ترسيخ صلاحياته الإحتكارية كرئيس للحكومة وكوزير للدفاع ومن حل وحدات تنظيم إيتسيل من خلال استيعاب محاربيها، في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي. إن شيئاً من هذا القبيل يشبه ما حدث - وإن كان مختلفاً - فيما يتعلق بتنظيم البالماخ (كثائب الرواد المحاربين).

#### تفكيك هيئة أركان البالماخ:

لم يكن الوضع كما حدث مع تنظيمي إيتسيل وليحيي فالتنظيم العسكري البالماخ (كان بمثابة الذراع التكملي الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من الهاجاناه ولم يتورط في أعمال تمرد شبيهة بتلك التي قامت بها الايتسيل. بل بالعكس ففي أثناء حرب الاستقلال أمدت البالماخ، كل من الهاجاناه وجيش الدفاع الإسرائيلي بأحسن القوات المحاربة، وبالأذات أفضل القادة العسكريين. ومع ذلك فقد اعتقد بن جوريون أنه مع نهاية عام ١٩٤٨ قد حان الوقت لتفكيك كثائب البالماخ كهيئة تتمتع بالاستقلالية وذلك لسببين أساسيين: عسكري وسياسي. الأول أن كثائب

البالماخ أصبحت تبدو له (لبن جوريون) الآن كتشكيلات عسكرية يجب إخضاعها مباشرة للهيئة القيادية لجيش الدفاع لإسرائيل (أي، هيئة الأركان العامة ومراكز القيادة الميدانية)، ومن ثم لم يتبق لهيئة الأركان الوطنية للبالماخ أي وظيفة لإدارة العمليات والتي تعطي مبرراً لوجود التنظيم. والسبب الثاني، هو العلاقة السياسية الوطيدة بين غالبية القادة الكبار للبالماخ وبين قيادة حزب ماپام (وهو الحزب الذي أنشئ في فبراير ١٩٤٨ كنتيجة لاتحاد حركة «هاشومير هاتسعير» مع إتحاد حزب العمل وعمال صهيون) وهو الأمر الذي بدا لبن جوريون خطراً داهماً قد يؤثر علي قدرة الحكومة علي السيطرة عل الجيش وعلي الخصوص علي ضوء الجدل السياسي الشديد الدائر بين بن جوريون وبين حزب «البالماخ» وقد سارع رؤساء «ماپام» وكبار مسؤولي «البالماخ» بالرد علي هذين الزعمين وذلك باتهام بن جوريون نفسه بتبني إعتبارات سياسية ضيقة وبمحاولة إلحاق الضرر بصالح الجيش (والذي كان يتطلب، حسب رأيهم، استمرار الوجود الاستقلالي للبالماخ)، نتيجة لهذه الإعتبارات. لقد إمتد الخلاف بسرعة أيضاً ووصل الأمر إلى حد الصراع حول كيفية تنظيم الجيش، وتحديد شكله وبلورة خططه التدريبية، ومن ناحية أخرى. فقد كان من السهل رؤية التحيز من جانب بن جوريون للذين يمسون بزمام الدولة، أي بن جوريون وحزبه. وعلي ذلك فإن معارضي بن جوريون لم يتوقفوا عن الزعم بأن خطه تفكيك هيئة أركان البالماخ ليست إلا خطوة أولي لإبعاد رجال ماپام عن المراكز الحيوية في جهاز الأمن، لكي يجلب مكانهم قادة مخلصين لحزب «ماپاي» (حزب عمال أرض إسرائيل) أو، ربما الأسوأ من ذلك تعيين رجال بدون انتماء سياسي بارز، لكي يعملون كتابعين لبن جوريون.

ولم يرتدع بن جوريون أمام تلك المزاعم. فقد وقف حزبه «ماپاي» خلفه لأسباب سياسية واضحة - من حيث الشعور أو الإدراك بأن وضعه في أوساط الجنود ليس جيداً -، ولكن في مقابل ذلك قام بن جوريون بتجنيد هيئة الأركان العامة لخدمته ومساعدته ولم يتخل عن محاولة اقناع قادة البالماخ أنفسهم.

وفي ٢٩ أغسطس ١٩٤٨ ناقشت هيئة الأركان العامة مستقبل هيئة أركان البالماخ بحضور قائد «البالماخ» يجائيل ألون (والذي كان وقتها قائداً للجبهة الجنوبية) وضابط الإدارة للبالماخ إليعازر شوشاني (وهو نفسه رجل حزب «الماباي» ومن القلائل النادرين في زمرة البالماخ) وقد إقترح ألون في نفس الجلسة تخفيض هيئة أركان البالماخ، ولكن ليس إلغائها تماماً. لقد إعترف بحقيقة أنه لم يعد لتلك الهيئة أية شرعية لإدارة العمليات ولكنه طالب بأن تظل في يدها شؤون التدريب والقوي البشرية والتعليم (والتي إرتبطت كلها برؤى سياسية).

وفي أعقاب نقاش إضافي في السابع من سبتمبر، والذي طرح فيه ممثلوا البالماخ فكرة ضرورة إنشاء



«وحدات خاصة» داخل الجيش، أورد بن جوريون في مذكراته خطاباً لرئيس هيئة الأركان العامة دوري جاء فيه: «... يجب الاعتراف بحقيقة أن البالمخ يتميز في عدة أمور - ومنها أنه مؤمن بأنه متميز. وقد أضاف بن جوريون «ولكن دوري» لا يعتقد أنه يوجد في البداية وبشكل مبدئي أساس للإفتراس بأن هناك جيوشاً خاصة وأخرى عامة. إن ذلك الأمر يكسب إستمرارية العمل السري داخل الدولة والجيش علي حد سواء.

دوري نفسه طالب الآن بالإسراع باتخاذ القرار في مسألة حل هيئة أركان البالمخ. وبعد لقائه بقيادة البالمخ في ١٤ سبتمبر بكيوتز ناعان، وصل بن جوريون إلى نتيجة مؤداها أنه يوجد خلط بين المطالب الفنية وبين المطالب الأيديولوجية - السياسية التي عرضها قادة البالمخ وأشار لهيئة الأركان العامة لتحديد موعداً لتفكيك هيئة أركان البالمخ.

«دان هوروفيتس» و«موشيه ليسال» الباحثان في تاريخ الفترة الانتقالية من اليشوف اليهودي إلى الدولة رأوا في تفكيك هيئة أركان البالمخ خلقاً للبنية الأساسية لجيش غير سياسي، علي ذلك، يتضح أن قرار حل هيئة أركان البالمخ حدد بشكل حاسم علاقة الحكومة بالجيش. عبر الفصل بين الأجهزة والأنظمة الحزبية وبين قادة جيش الدفاع لإسرائيل ووحداته. وفي هذا الصدد ربما كان من الجديد بالذكر إضافة أنه عشية رأس السنة العبرية عام ١٩٤٩ رفض بن جوريون مطالب ممثلي حركة «هابوعيل هامزراحي» لإنشاء وحدات دينية منفصلة داخل الجيش وكتب في مذكراته: «لقد قلت لهم (أ) إن جيشنا سيكون موحداً بدون تيارات. (ب) ومن أجل وحدته سنلتزم جميعاً بالكاشروت (طقوس الذبح والطعام لدي اليهود حسب تعاليم التوراة). (ج) سنعمم مناخاً يهودياً دينياً أيام السبت. (د) سوف نعلم الإحترام المتبادل بين الجندي الذي لا يصلي (العلماني) والجندي الذي يضع علي ذراعه التفيلين (المتدين). وفي حفل لرجال الفكر والدين، والذي استضافه بن جوريون في منزله في نهاية الحرب، سأل حاييم جوري المضيف: «لماذا لم تحرر كل الأرض أي كل فلسطين؟». وكانت إجابة بن جوريون تشير إلى حسه البراجماتي والواقعي حيث قال: «لقد كان ذلك سيؤدي إلي خطر تورطنا وإلي تعقد أمورنا مع غالبية عربية معادية، وهو الأمر الذي كان سيؤدي بنا إما إلي مذبحه أخرى مثل دير ياسين أو إلي عمليات طرد أيضاً تقود إلى خطر تعقد الأمور مع الأمم المتحدة والدول العظمى، ورغم ذلك فقد تمنا بضم أرض بالأضافة إلي أن ميزانية الدولة لم تكن تحتل مثل هذه المغامرات.

أكبر بكثير مما خططنا له، والآن لدينا عمل شاق لإثنين أو ثلاثة من الأجيال القادمة. وجيش الدفاع لإسرائيل أعد، حسب فكر بن جوريون، للقيام بدور بارز في هذا العمل.

المجتمع الإسرائيلي الجديد في نظر بن جوريون:

في يوم السبت ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ تساءل بن جوريون في مذكراته تحت عنوان «تأملات عيد الحانوكاه»: «ما هي الشروط الواجبة للحفاظ علي استقلالنا من منطلق إفتراض مسبق بأننا سننجح في الحفاظ علي حريتنا التي في القلوب؟ وعلى الأمن العسكري؟ (تصفية الشتات)، ولقد وجد بن جوريون أن هناك مهام عاجلة مثل تعمير سريع لأجزاء البلاد، من خلال تنمية مكثفة.

في هذه المرحلة كان واضحاً له أن الضغط الكبير لمنظمة الأمم المتحدة والدول العظمى لن يتيح معركة عسكرية كبرى لإحتلال مناطق مأهولة بالسكان بداخل أرض إسرائيل الغربية، ولذلك فإنه يجب العمل بقوة لتأمين السيطرة علي المناطق التي تم إحتلالها بالفعل (وبالذات من خلف الحدود التي حددت في قرار التقسيم). وكتب بن جوريون مضيفاً: «إن إحتلالنا للنقب والجليل لن يتحقق إذا لم نقم بسرعة بعمل تلك الأجزاء من البلاد بالسكان - وقبل أي شئ القرى الخالية، وإقامة سلسلة طويلة من التجمعات الإستيطانية علي شاطئ البحر. ومن خلال تنفيذه لسياسة تمنع خلق مناطق تكدسات كبيرة في بعض النقاط القليلة (مثل تل أبيب) - وتوزيع السكان بمعيار متساو علي أرجاء البلاد كلها. وبناء حزام من القرى حول القدس وتوطين سريع داخلها.. سوف يتطلب الأمر تخطيطاً ليس فقط في مجال التنمية - بل كذلك في التوزيع السكاني، مع الحفاظ علي الحرية الشخصية (حرية الحركة) وسوف تكون هناك ضرورة لتسهيلات وامتيازات خاصة لتوطين مناطق مهجورة، وجرءاء ونائية.

ومن هنا تم استخلاص نتيجتين هامتين. أولاً وقبل أي شئ كانت هناك ضرورة لزيادة عدد اليهود في البلاد، وكان المصدر الوحيد لذلك هو الهجرة الموسعة، أي أن الهجرة بدت الآن لبن جوريون ليس فقط علي أنها وفاء لالتزام صهيوني لإتقاذ يهود وتصفية الشتات، بل أيضاً بمثابة دعامة مركزية هامة للغاية، للأمن القومي. وبعد مرور عدة أشهر أثناء إجراء بن جوريون لمشاورات مع رجال وزارة الخارجية حول مباحثات لوزان أضاف بن جوريون أثناء تلك المشاورات: «ربما كان بمقدورنا إحتلال مناطق المثلث والجولان كلها. ولكن إحتلالنا ذلك لم يكن ليقوي أمننا بالدرجة التي ستقويه عملية استيعاب المهاجرين. إن مضاعفة أعداد المهاجرين سيضيف لنا قوة أكثر وأكثر.

وإلي جانب الهجرة، كمهمة قومية من الدرجة الأولى، كان بن جوريون مطالباً بأدخال إصلاح جوهرى علي خطط الاستيطان. فحسب طريقته ونظريته كانت المستوطنات الجديدة لا تمثل فقط أدوات لإستيعاب الهجرة والانشاء السكاني، بل أيضاً جزء من عملية تربية الجيل الصغير في إطار بلورة وتشكيل المجتمع الإسرائيلي الجديد. وقال بن جوريون أثناء ظهوره أمام مجموعة ضباط في مايو ١٩٤٩: «إن كل فتى وفتاة في سن معين،



من الضروري أن يتلقوا تأهيلاً زراعياً، بالإضافة للتدريب البدني والعسكري. وذلك حتي يتمكن المهاجرون الجدد والرواد الذين في أوساطهم من إقامة تجمعات استيطانية وقري أمنية والتي ستكون بمثابة درع دفاعي حي للدولة وخط الدفاع الأول عنها». ومع ذلك فإن بن جوريون لم ينس أن يذكر في تلك المناسبة أنه طالما سيكون هناك احتمالاً للحرب فلا يمكننا الوجود بدون جيش».

ومن طبيعة الأمور، فإن تعامل بن جوريون مع الهجرة، والاستيطان والتعليم للجيل الشاب في ظل الظروف الجديدة التي تولدت مع إقامة الدولة كان مرتبطاً بنظرياته ومفاهيمه قبل ذلك الرواد فكونه في أحد جيل الهجرة الثانية، كان شريكاً في أفكار تحقيق الصهيونية ليس فقط بواسطة نقل الشعب اليهودي من الشتات لأرض إسرائيل (فلسطين) بل أيضاً بواسطة إدخال تغيير جذري علي الهيكل والبناء الاجتماعي والاقتصادي للشعب، وهو التغيير الذي سينقل جموع الشعب لحياة العمل والإنتاج بالذات في مجال الزراعة، لغرض السيطرة علي الأرض.

وبناء علي ذلك - وعلي الرغم من نوايا العديد من حوله - فقد حاول بن جوريون أيضاً أن يخلق علاقة مباشرة بين السيادة التي حديثاً والسيادة التي كانت في الماضي، لليهود علي نفس الأرض. وفي خطبه التي تناولت الواقع اليومي في حياة الشعب بإسرائيل ربط بن جوريون بين منظومة الحياة التي تبني وتتمو في دولة إسرائيل الشابة (الوليدة) وبين الفترة التوراتية لمملكتي داوود وسليمان في الماضي.

وتساءل بن جوريون في خطابه أمام الكنيسة الأولى: «هل نحن شعب؟ وأجاب «وبدون خوف من أن يقولوا لي أنني لست مؤمناً بالشعب وليس لدي أيديولوجية صهيونية، فإنني أجيب: إننا لم نصل بعد لكوننا شعباً. وأنا لا أقصد نظرية أيديولوجية أو مصطلحات فلسفية - اجتماعية. أنني أقصد جماعة موحدة ومرتبطة بوطنها، بحضارته، بوحدته والتي تكون مؤهلة للتضحية حتي آخر رجالها وحتى آخر قطرة دم فيها، وإنني علي يقين أنه بمرور الوقت سوف نكون شعباً كهذا، فتلحم ونتوحد، نترابط، وتنصهر في بوتقة الوطن واللغة والاقتصاد، وبالشعور باستقلالنا وسلامتنا وسنكون شعباً ليس أقل من أي شعب آخر».

وكان جيش الدفاع الإسرائيلي مهيباً للقيام بدور محوري في هذه التغييرات، ولأن حرب الاستقلال، كحرب شاملة، وضعت الأمن والجيش الوليد للدولة الوليدة في مركز وبؤرة الواقع الاجتماعي والسياسي. فإن أداء الخدمة العسكرية في فترة الحرب كان عاملاً أساسياً في بلورة وتشكيل الوعي والوحدة القومية. لقد تحول جيش الدفاع لإسرائيل، قاداته وجنوده إلي مركز للإلتقاء القومي ورمزاً لتحقيق الصهيونية الرائدة. وفي نفس الوقت فإن جيش إسرائيل إرتفع فوق الخلافات السياسية والأيدولوجية واجتاز الانشقاقات الطائفية. وفي هذا الصدد قال بن جوريون: «الجيش فقط يستطيع، ويجب أن

يكون بمثابة عنصراً موحداً ومساهماً في بلورة الشكل الجديد للشعب واستيعابه المخلص داخل الثقافة والمجتمع الجديد الذي يتم خلقه في دولة إسرائيل وأكد علي أن هذا الدور التربوي في الجيش هو ليس فقط ضرورة قومية داخلية، بل أيضاً شرطاً ضرورياً وحيوياً لأمتنا».

**شكل ووظيفة جيش الدفاع لإسرائيل في نظرين جوريون:**

إن بن جوريون الذي تأثر كثيراً بالثورة السوفيتية في سنواتها الأولى، إنتهج ما كان معروفاً لدي الباحث «موشيه ليساك» باسم «التطوعية» فحسب رؤيته كان يجب الدفع بالأمور بواسطة حركة جماعية ولكن في المقابل إقامة أدوات وآليات تكفي صلاحياتها وقوتها لتعبئة وتجنيد الموارد الاقتصادية والمادية وقبل أي شئ الموارد البشرية، وذلك من أجل الوفاء بأهداف جماعية للمجتمع والدولة. ومن هنا جاءت دعوته الدائمة للديموقراطية وذلك مع تأكيده علي أهمية المركزية - بداية من الهستدروت (اتحاد نقابات العمال) ونهاية بزعامة الدولة.

وأغلب الظن أن بن جوريون تمنى منذ البداية أن تنجح الحركات الرائدة في سحب المجتمع الإسرائيلي خلفها لتنفيذ وتحقيق المهمة الكبرى لاستيعاب الهجرة وتشكيل المجتمع الجديد. ولكن عندما لم يتحقق هذا الأمر، عاد بن جوريون وأثبت قدرته علي المناورة. لقد كان ذلك في رأي «يوسف جوزي» هو أساس قوة وصلابة ذلك الرجل.

لقد دأى بن جوريون في نجاحه في تكوين جيش الدفاع وإدماج الإيتسل ولحي والبالماخ في هذا الجيش ما يمكن اعتباره حجر الزاوية في إقامة الديموقراطية الإسرائيلية وبهذه الروح عمل، كما ذكرنا سابقاً، منذ تولي بنفسه ملف الأمن في إدارة الوكالة بنهاية ١٩٤٦. ومع تحويل تنظيم الهاجاناه إلي جيش نظامي، قال في خطاب القاء في يونيو ١٩٤٨ «محظور الاكتفاء بسيادة زائفة للدولة. فالجيش الذي لا يخضع بشكل كامل لحكم ديموقراطي للشعب - هو في نهاية الأمر يسيطر علي الشعب ويولد فوضى عسكرية. وبعد ذلك بأكثر من عام - في أكتوبر ١٩٤٩ أوضح بن جوريون بشكل حاسم: «إن الجيش لا يحق له تحديد سياسات، أو سلطة، ولا يحق له سن القوانين. إن الجيش لا يحدد حتي هيكله البنيوي، وتنظيماته وخطوط عمله وهو لا يقرر بالطبع، ما يتعلق بالحرب والسلام. إن الجيش ليس إلا ذراعاً تنفيذية، ذراع الدفاع والأمن لحكومة إسرائيل».

إن بن جوريون نفسه حدد في نهاية كتابه «في حرب إسرائيل» أنه مع إقامة الدولة خلقنا آليات ونظم جديدة لتحقيق حلم خلاصنا - ولكن لتلك الآليات ستكون هناك قيمة فقط إذا ما عرفنا كيف تؤديها وكيف نعظم فكرة التطوعية الرائدة والتي كانت بمثابة روح الدفاع».

لقد كتب بن جوريون هذه الكلمات في الفصل المسمي «بدلاً من الخاتمة» ويبدو أن هذا الوصف هو المناسب أيضاً لما يجري في هذا الصدد حالياً.





## كتاب: الخيار النووي لإسرائيل

بقلم: مناحم بريش - الناشر: كرتا (الشركة الإسرائيلية للخرائط والنشر -

ترجمة وإعداد: مصطفى الهواري

(القدس) تاريخ النشر: ٢٠٠١

للخلاص، ولحماية الوجود اليهودي في إسرائيل، وهي بهذا الوصف ترتفع إلى أعلى درجة ولا يفوقها أو يضاهيها شئ آخر.

وبناء على ذلك فإن الجهد القومي في مجال الأمن يتركز على "تعزيز القوة" الحقيقية كضرورة من الدرجة الأولى. ويأتي في المقام الأول القدرة النووية التي تعزز القوة وتكملها كجزء لا يتجزأ منها.

أكثر ما يدعو للقلق بالنسبة لأمن إسرائيل هو تكريس القوة كعنصر يخدم هدفا من الدرجة الأولى: حماية إسرائيل وحماية حياة اليهود. وهنا يثور السؤال: هل مسموح لإسرائيل بأن تضع أمنها ووجودها بين أيدي الخيار النووي؟

لن نتكلم بالتفصيل في هذا الجزء عن ماهية الخيار النووي، إلا أنه من الواجب التطرق في النقاش حول أمن ووجود إسرائيل إلى نقطة هامة: السلاح النووي لا يشبه على الإطلاق أي سلاح معروف لنا بوجه خاص وللبنشرة بوجه عام. وخطر تعرض إسرائيل لهذا السلاح هو مسألة حياة أو موت. هل يمكن إذن تجاهل هذا الأمر ومناقشته كما تعودنا حتى الآن بأساليب تقليدية؟ حتى لو أخذنا بالتقديرات التي تقول إن الخيار النووي قد يستخدم كرادع لمنع الحرب، فإننا لن نستطيع أن نتجاهل احتمال استغلاله لخدمة مصالح بعض المتطرفين من بيننا، والذين سيعتمدون في خططهم على الخيار النووي.

الجماعات المتطرفة عندنا، وتوابعها في أحزاب اليمين، تؤمن بأهمية الحرب المستمرة، كحل للحفاظ على وحدة الشعب اليهودي والحيلولة دون تفككه. وفي حالات التوتر الأمني قد يعرض هؤلاء وضعا وهمياً مبالغاً فيه ويحثون على الرد. ومن أجل إلهاب حماس الجماهير في أوقات الخوف، واعتمادا على القوة النووية، سيوجهون نداء إلى القيادة بالسير لأقصى مدى، وهذا دون أن يكون هناك

### مقدمة:

يحاول هذا الكتاب طرح بعض الموضوعات المواقبة لمشكلة التهديد النووي ذي الصلة بإسرائيل، ويعرض بعض الأسئلة والملاحظات في هذا المجال الجوهرية: هل يوفر الخيار النووي لإسرائيل أمنا يفوق الخطر المتمثل في احتمال تورط إسرائيل في مواجهة نووية مستقبلية؟

هل "يدرك" العرب مفهوم الردع النووي بنفس الجدية التي نعزوها له؟

هل يمكن تجاهل واقع ما بعد الحرب النووية، حيث لا حسم ولا منتصر في القتال؟

هل نستخدم كل وسائل الاتصال والحوار والتعاون بين الدول، سواء في المنطقة أو خارجها، بفرض الوصول إلى تفاهم مع جيراننا حول السبيل إلى إخلاء المنطقة من الأسلحة النووية وتخليصها من التهديد النووي؟

هل نشرك القوى الفكرية في المجالات الكثيرة ذات الأهمية في مجتمعنا، والتي في مقدورها إثراء الفكر حول المسألة؟

### عنصر القوة وحدود القوة:

دخل عنصر القوة إلى أدبنا السياسي كرد فعل للعجز ونقص القوة في حياة المنفى، ذلك العجز الذي تسبب في المآسي التي تعرضنا لها هناك على مدى سنوات. ولقد تأثرت قيمة القوة في حياتنا بالكثير من التجارب المريرة التي عشناها في المنفى، مثل المذابح الجماعية وفترة النكبة النازية بوجه خاص والتي ما تزال تثير المشاعر الشخصية وتزيد من الاعتماد على القوة كعنصر سائد في حياة الشعب. وفي مناخ عدم الاستقرار العام تستطيع أي زعامة انتهازية أن تعلن عن أي عمل إرهابي بأنه خطر قومي وبالتالي تلهب حماس الجماهير وتدفعهم للانتقام. وما تزال القوة الطبيعية الحقيقية هي الوسيلة الوحيدة



إدراك واضح من جانب الجماهير، ومن جانب هذه الجماعات المتطرفة نفسها لمدي خطورة تورط إسرائيل في صدام نووي. والطريق إلى توعية الجماهير قد يواجه عقبات تتمثل في الضغوط التي تخلفها بعض الأوضاع الإقليمية أو غيرها، وقد تصادف مفاجآت علي المستوي العالمي وأثارها علي الوضع في منطقتنا. كما أن الضغوط داخل إسرائيل - بتشجيع من المتطرفين - ستصعب من عملية توعية الجماهير.

إن موضوع "حدود القوة" هو الآن بمثابة القيمة الأساسية في الاعتبارات التي يأخذ بها رؤساء الدول، والزعماء والاستراتيجيون في العالم، وخاصة في عصر الأسلحة النووية، ولا يمكن علي الإطلاق مناقشة مسألة الأسلحة النووية الآن مع أصحاب القدرة النووية ومع من يهددهم خطر هذه القدرة، دون التطرق لحدود القوة.

وفي إسرائيل لا يناقشون حدود القوة في الوقت الذي تتأثر الاعتبارات الأمنية - العسكرية بأوامر الزعماء الدينيين الذين يقدسون الأرض بدرجة تقديسهم لحياة الإنسان. في مثل هذا الوضع لا أساس أيضاً للاعتراض علي المسألة النووية أو للتفكير فيها. ولذلك، فإن هذا الموضوع يستلزم التفكير والتطرق إلى المغزى الأخلاقي، والفلسفي، والتاريخي بل والوجودي أيضاً. وكما سبق القول فإن نظرية الأمن الإسرائيلية لا تتطرق إلى حدود القوة، وذلك لأن قيمة القوة تقف علي رأس سلم القيم الخاصة بضمان وجود إسرائيل، وليس هناك من يشك في مسألة الوجود؟ أي فكرة بشأن تعزيز أمن إسرائيل - ليس فقط عن طريق قوتها العسكرية بل أيضاً بطرق أخرى - يجب أن تتطرق إلى المكانة العليا للقوة كأمر مسلم به. إن التفكير والاعتبارات المتعددة المطلوبة بشأن طريق إسرائيل ومكانها في علاقات السلام مع دول الجوار، لا تتقدم ولن تتقدم في المستقبل طالما لا يوجد اعتراف بأن هناك حدوداً للقوة، بكل ما في ذلك من آثار ومخاطر.

إن الاعتماد الشديد علي النظرية الخاطئة التي تقول إنه لا حدود للقوة، لا يؤدي فقط إلى "استهلاك" كل الجهود القومية في توفير القوة، بل أنه لا يبقى علي طاقات قومية يمكن استخدامها في الجهود الحيوية الأخرى.

ومن أجل توجيه قدر كبير من الجهد والطاقة القومية - التي تتركز كلها تقريباً حول القوة العسكرية - إلى طرق التفكير والدراسة غير العسكرية، يجب مكافحة عرف متأصل منذ عصر بلورة الكيان اليهودي الصغير في طور التنظيم، وعلي امتداد مسيرة إقامة وبناء الدولة والحروب الصعبة التي واجهتها، وهو العرف الذي ينظر إلى القوة علي أنها تعلو ولا شئ يعلو عليها.

لقد تبنت كل الأحزاب الصهيونية تقريباً، ومنذ البداية مسألة القوة الدفاعية كشرط حيوي لوجودنا هنا، وذلك لأنها لم تكن تؤمن بإمكانية التوصل إلى سلام مع جيراننا ولم تكن تثق فيهم.

وقد وصفت محاولات اختبار أساليب سياسية - بالإضافة إلى القوة الدفاعية العسكرية - في تطوير نقاط

اتصال وتفاهم وخطوات لبناء الثقة كمسيرة حوار بدلاً من المواجهة العسكرية، وصفت بأنها خروج علي مبدأ الإيمان بقيمة القوة التي لا يجب المساس بها. ولكن، حتى يومنا هذا كان أي حوار موضوعي مع الجيران يتطلع إلى التفاهم والوفاء وإقامة علاقات سلام وحسن جوار، يصطدم بأنصار عرف "القوة والقوة فقط".

وهنا تظهر مرة أخرى مشكلة ثقل القوة في مواجهة مكانة وثقل الأسلوب السياسي الناجح.

إن التسويات الأمنية السياسية تتجه وتقود إلى تنمية مصالح مشتركة للطرفين، مقارنة بالتسويات الأمنية العسكرية التي تهدف إلى خلق ظروف متفق عليها للحفاظ علي الواقع القائم. وبناء علي ذلك تتحدد التسويات الأمنية علي أساس التفاهم السياسي وليس العكس. واتفاقيات أوسلو هي أبرز مثال علي الجهود العلنية الرامية إلى دفع السلام بالطرق السياسية، وقد قبلتها كل الأطراف المعنية.

كانت المعارضة التقليدية للمساس بالمكانة العليا وشبه المطلقة للقوة، والاعتراض علي رفع الأسلوب السياسي إلى درجة أهمية تكاد تقارب مكانة القوة، من ضمن أسباب التردد والتشكك والمعارضة الفاعلة لاتفاقيات أوسلو من جانب بعض فئات الشعب.

الشئ الذي يدعو للدهشة وللقلق في الاعتراض علي اتفاقيات أوسلو هي تجاهل القيادة لبدل ما بعد تصفية أوسلو وانهايار علاقات ومشروعات كانت في بداية طور التكوين. وفي الوقت الحالي يقومون بتهيئة الجماهير لتطورات متوقعة "عادية" تتمثل في انتفاضة متكررة، ربما يكون هناك استخدام طفيف للأسلحة النارية، وما إلى غير ذلك من تكهنات.

لقد أظهروا اتفاقيات أوسلو علي أنها كارثة تهدد وجود إسرائيل، إلا أن القيادة تتجاهل في نفس الوقت احتمال الانزلاق إلى انتفاضة وقطع العلاقة مع الجيران ومواجهة عسكرية وهجمات صاروخية، وكل هذا بدون مساندة من دولة عظمى.

إن دخول أي حرب في العصر الحالي يحمل في طياته خطر الانزلاق إلى صدام نووي. والمنطقة التي نعيش فيها لا تتمتع بحماية أكبر مما في مناطق أخرى، وفي أي اختبار نووي سيكون هذا هو الخطر الذي يهدد وجود إسرائيل وليس اتفاقيات أوسلو.

اتفاقيات أوسلو ومسيرة السلام تمنحنا الأمل في إبعاد الخطر النووي عن إسرائيل، وهذا الفارق الجوهرية يجب أن نتحدث عنه مع الشعب.

إن أي ضربة نووية قد تعرض وجودنا للخطر أكثر من أي شئ آخر. القضية مصيرية وتقتضي منا أن ننظر إليها نظرة تختلف عن نظرتنا إلى الخطر المتمثل في أي حرب عرفناها حتى الآن.

لا يمكن التخلص من الشكوك والمخاوف من أن إسرائيل "تحكم" علي نفسها بالدمار بسبب الخيار النووي الذي تمتلكه، والذي يتم تطويره من عشرات السنين (كما تقول المصادر الأجنبية). كما أنه يبدو أن من المستحيل وقف هذا



العمل الذي يحقق ذاته بقوة الدفع والحجم، ولكونه يندرج ضمن منظومات حيوية وتقلقه هالة من السرية.

لا يمكن وقف هذا العمل، ولكن يمكن ويجب أيضاً أن ندرس ونبحث، من خلال النظر إلى الواقع الإقليمي والعالمي الحالي، وإلى الديناميكا من حولنا إلى تمس القضية مباشرة. يجب أن تطرح إسرائيل المسألة النووية للتفكير العميق والمبدئي، وليس التكتيكي. ليس استمراراً لمسيرة خاملة تحددت منذ عشرات السنين، ليس كيف "نخطط" و"نوجه" الخيار النووي، ولكن من خلال طرح السؤال الأساسي والأولي: هل يجب علي إسرائيل أن تعتمد علي الخيار النووي؟

#### الجانب الأخلاقي:

لا تسمح الطبيعة الخاصة للسلاح النووي - الذي لا يشبهه سلاح آخر في تاريخ البشرية - بمناقشته من الجانب الاستراتيجي - العسكري والجانب السياسي فقط، بل يلزم أيضاً دراسته من الناحية الأخلاقية.

لا يجب أن تغفل إسرائيل - التي تمثل مركزاً للشحنات اليهودي في العالم لتحقيق الحلم الصهيوني - الاعتبار الأخلاقي الذي يتطلبه التفكير في الخيار النووي.

إن الشمولية في استخدام الأسلحة النووية - التي تتسبب في إبادة البشر (والزرع) في مناطق واسعة نتيجة الإشعاع الذي يواصل مسيرة الإبادة - والتخطيط لإبادة السكان العزل، لم يعد مجرد حرب بأي حال من الأحوال. إنه واقع لم يعرفه الإنسان من قبل.

الأمر هنا يتطلب نظرة أخلاقية، مع إشراك كل القوى الروحية، وليس قراراً تتخذه لجان متخصصة علية ببواطن الأمور، ولا حتى مجموعات وزارية ذات صلاحيات أمنية. النظرة الأخلاقية واجبة بسبب حجم وعمق التهديد، وخاصة عندما يمس هذا التهديد وجود إسرائيل، وبناء علي ذلك تعتبر الدراسة الأخلاقية واجبة سامياً.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه رغم المعلومات المحدودة التي تعرفها الجماهير في إسرائيل عن المسألة النووية، نشر خبر يقول إن كل أعضاء لجنة الطاقة الذرية استقالوا في سنة ١٩٥٨ باستثناء رئيس اللجنة. "هناك باحثون اعتبروا ذلك دليلاً علي أن أعضاء اللجنة عارضوا قرار تطوير قنبلة نووية إسرائيلية، وإن هذا كان هو سبب الاستقالة". وفي الولايات المتحدة - الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت قنبلة ذرية أثناء الحرب - مازال النقاش مستمراً منذ أكثر من خمسين سنة حول استخدام هذه الأسلحة.

وفي الولايات المتحدة وفي دول مختلفة في العالم مازالوا حتى الآن يناقشون ويبحثون في موضوع استخدام الأسلحة النووية ويتساءلون: هل كانت هناك ضرورة ملحة للقنبلتين اللتين ألقيتا علي هيروشيما وناجازاكي؟ وهل كان من الممكن إنهاء الحرب دون استخدام القنابل الذرية، وهل كان هناك ما يبرر عدم تحذير السكان في المدينتين؟ أما في إسرائيل فإن الأسئلة حول المسألة النووية كثيرة ومعقدة وذات سمة خاصة.

هل من الممكن ألا تكون هناك سلطة عليا - وليس أطقم

أو لجان متخصصة أو عسكرية فقط - تناقش وتقرر إجراءات تحمي وجود دولة إسرائيل وسكانها؟ نقصد سلطة اتخاذ قرارات ومعهما جهاز يسيطر علي القوى والأجهزة المعدة سلفاً لتنفيذ القرارات.

وهناك سؤال لم يطرح حتى الآن ويجب طرحه بوضوح: ماذا سيحدث في القدر؟ ماذا سيحدث داخل إسرائيل وفي المنطقة المحيطة بنا، وما الذي نتطلع إليه؟

#### الجانب الديموقراطي:

تقتضي مناقشة المسألة النووية التأكد من أن البحث والدراسة لا يجريان تحت ضغط الوقت، ومن أن هناك حفاظاً علي حق الجماهير في المعرفة في موضوع حيوي لا شبيه له ويجب علي القيادة أن تتقل المشكلة إلى أذهان الجماهير بكل خطورتها، وأن تعرفهم بالصعوبة النابعة من نقص الخبرة في الجوانب الخاصة بهذا الموضوع وفي القرارات التي تتخذ بشأنه. الوضع يستلزم وجود هيئة عليا لاتخاذ القرارات تتميز بكفاءات خاصة وتفهم الأزمة والمخاوف التي يعيشها المواطنون، وتكون لها خبرة في السيطرة علي الوضع في حالة انهيار الأجهزة. كما يحتاج الأمر لتعريف التخصصات العلمية ومجالات النشاط النفسي التي يجب أن يكون ممثلوها جزءاً لا يتجزأ من القيادة في أي نقاش وفي كل المراحل المتعلقة بالوضع الذي سينشأ في أعقاب التورط النووي.

إن إشراك القوى المثقفة في النقاش حول إدراج الخيار النووي ضمن وسائل حماية إسرائيل هو ضرورة تقتضيها الظروف الخاصة غير التقليدية النابعة من احتمال تنفيذ الخيار النووي.

لا يمكن أن يخطر علي بال أحد أن تتخذ الحكومة - أي حكومة أو المجموعة الوزارية الأمنية، أو لجنة الشؤون الخارجية والأمن، أو أي تشكيل آخر قراراً في موضوع حيوي بالنسبة لإسرائيل بنفس الأسلوب الذي يتخذ فيه قرار برفض ضريبة أو بتعيين مراقب الدولة.

ورغم حرية الفكر - التي تعتبر جزءاً من المجتمع الديموقراطي - فإن المسألة النووية بجوهرها الخاص غير التقليدي تستلزم التوسع في أدوات وسائل الفكر. وعلي حد قول البرت اينشتاين: "لقد تسببت القوة الذرية الطائشة في تغيير كل شئ، باستثناء أساليب تفكيرنا".

والخطوة الأولى المطلوبة هي توسيع واستخدام وسائل الفكر القومية الموجودة في مجتمعنا بوفرة، والسماح بالتعبير عن الآراء والمواقف في هذا الشأن.

ولأن المسألة النووية "كبيرة" علي حياتنا، وبسبب جسامه الخطر الذي لم تعشه البشرية مطلقاً، لا يجب أن ننظر إليه كما لو كان ظاهرة معروفة، أو نعتمد علي ردود فعل "الأمن"، بل يجب بذل قصاري الجهد من أجل "إثراء" أساليب الفكر والدراسة التي تساعد علي إبعاد إسرائيل عن حافة الهاوية. ويجب أن تتطرق الأفكار والدراسات - دون تردد - إلى أسئلة وتساؤلات كثيرة منها:

هل هناك من يمكن أن تتعلم منه إسرائيل كيف تتصرف في منطقة تعرضت لضربة نووية؟



بافتراض عدم توفر خبرة أو عدم إجراء مناورة تدريبية "لحدث" نووي، هل هناك في العالم من أعد سيناريو عن "اليوم التالي"؟

حيث أن إسرائيل لم تتوصل حتى الآن إلى تفاهم واضح مع دولة عظمى مثل الولايات المتحدة حول المسألة النووية، هل تتمتع بالحرية في اتخاذ ما تراه من قرار، وبدون قيود؟ لم تتوصل إسرائيل حتى الآن إلى تفاهم مع جيرانها - وعلي راسهم مصر - حول المسألة النووية.

يمكن أن يكون التهديد النووي - بوصفه تهديداً للمنطقة كلها - عنصر تقارب بين الجيران. نقول وأيدنا فوق قلوبنا: هل تستطيع القيادة الإسرائيلية أن تقول إنها بذلت قصاري جهدها واستنفذت كل السبل السياسية من أجل الحيلولة دون نشوب مواجهات عسكرية مع الجيران ومن أجل درء خطر وقوع حروب أكثر اتساعاً؟

الاتجاه الصحيح لحل الصراعات هو التفاوض والمبادرات المباشرة، وبأسلوب الوفاق - بدلاً من الصراع النائم أو المتفجر. لقد أيقظت مسيرة السلام الآمال في المنطقة كلها (وفي العالم)، وأثبتت في الفترة التي تلت أوصلو أن هناك ما يمكن الحديث عنه وأن هناك من يمكن التحدث معه، ورأينا النور في نهاية النفق.

وفي الواقع الحالي، إذا لم نعمل على الحيلولة دون وقوع مواجهة عسكرية سنتسبب في الاقتراب من حافة الحرب، وليس هناك من يعرف الشكل الذي ستكون عليه هذه الحرب ومن سيقف مع من.

وهنا تظهر المسألة النووية التي تتطلب "اهتماماً مبكراً قبل أي شيء آخر. لا يختلف أحد على أن لإسرائيل رغبة قوية في عدم التورط في حدث نووي داخل حدودها وفي المنطقة المحيطة بها.

الحرب في المنطقة - أي حرب - قد تستخدم الأسلحة النووية، وخاصة في الحالات الحرجة وفي ظل سيطرة الحكام الدكتاتوريين وأمثالهم. والخيار النووي لا يمنع الحرب منعاً تاماً، لأنه لا يهدد الحكام الطغاة الذين قد يحصلون على دعم نووي من الآخرين.

يمكننا القول بأن التورط في حدث نووي يشكل خطراً كبيراً على إسرائيل، يفوق أي تقدير يعتمد على الخيار النووي كواق ومانع للحرب. بناء على ذلك فإن الحاجز الذي يجب وضعه في مواجهة الأسلحة النووية في المنطقة هو منع الحرب. وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نقصد بكلامنا هذا أن نتخلي إسرائيل الآن عن الخيار غير التقليدي الذي طورته، ولكننا نتطرق في كلامنا إلى نظرية الأمن الأساسية بشأن القدرة النووية كعنصر من عناصر منظومة حماية وجودنا. لقد كان إدراج القدرة النووية ضمن النضال من أجل وجود وسلامة إسرائيل، ضرورة اقتضاها الواقع آنذاك، وهذا يستلزم دراسة مجددة في أعقاب التطورات في المنطقة وفي العالم ذو الصلة بالأسلحة النووية. إن تجاهل الموضوع وتجاهل مناقشته لا يقود إلى حل للإشكالية المطروحة.

لا شك أن الحوار هو السبيل الوحيد لتحقيق التفاهم في

مجالات كثيرة ومشاركة، ولكن لا يجب أن ننسى أن الأمر يتعلق بصفة أساسية بموضوع التهديد النووي كتعبير عن القلق الذي يلبد سماء المنطقة كلها بالغيوم.

#### البحث عن الطريق:

أ - التفسير المقبول لقرار إسرائيل في الخمسينيات بشأن ضرورة تطوير خيار نووي لحمايتها، يكمن في الرأي القائل بأن قوتها التقليدية لن تستطيع الصمود للأبد وأن قدرتها على الردع من المحتمل أن تتآكل. في مقابل ذلك، فإن الخيار النووي يعتبر سلاح ردع حاسم، ولن تستطيع أي دولة في المنطقة أن تهدد وجود إسرائيل عندما تعرف أنه في حالة تعرضها لأي خطر يهدد وجودها سوف تستخدم الخيار الذري الذي تمتلكه.

والآن، بعد ما يزيد على أربعين سنة، وفي عصر التغيرات العالمية والإقليمية، والاهتمام النووي من حولنا وفي المنطقة البعيدة - القريبة (الهند - باكستان)، ظل وضع إسرائيل في المنطقة بلا أي تغيير للأفضل، وهو الأمر الذي يقتضي فكراً قومياً شاملاً ودراسة الطريق من أساسه. هل ما تزال المواجهة العسكرية والأحداث الدموية الوحشية التي فرضت في ظروف مختلفة تماماً في فترة تكوين الدولة، هل ما تزال قائمة الآن، وهل المواجهة هي السبيل الوحيد والأساسي؟

منذ الأيام الأولى للدولة، التي بدأت خطواتها بالاختبار الصعب والكبير المتمثل في حرب الاستقلال، تركزت الجهود على بناء قوة دفاعية، تستطيع الصمود أمام كل اختبار وعلى طول الطريق. وقد كبرت القوة وأصبحت قوة عسكرية معروفة في العالم. وأصبحت الدولة عنصراً له ثقله الكبير في المنطقة، ورغم كل هذا فإنها حتى الآن لا تعيش في ظروف من السلام وحسن الجوار مع البيئة المحيطة بها مباشرة.

ب - ألا يقتضي وضعنا "السيئ" في المنطقة التفكير في تغيير الاتجاه وتعزيز التعاون مع الجيران، في كل المجالات، وليس فقط استمرار حالة التأهب للمواجهة التي تطلو وتهبط. في النقطة الزمنية التي وصلنا إليها الآن لا يجب تجاهل السؤال المائل أمامنا: حيث أن السلاح النووي أصبح خطراً يهدد البشرية، وفي أعقاب ذلك تزايد الاعتراف الأساسي في العالم بحدود القوة، هل مسموح لإسرائيل أن تبني دعائمها الأمنية والوجودية على الردع النووي بصفة أساسية، وهو ما يتجاوز الحدود المتعارف عليها؟

هل من الذكاء عدم بناء أمن إسرائيل - علاوة على قوتها العسكرية - على أساس سياسة الحوار المباشر مع الجيران، في كل المستويات الممكنة، بل وأيضاً على أساس مشاكل القضية النووية في المنطقة، ومرة أخرى نقول: لا لاستمرار التهديد والمواجهة والتدهور، ونعم للحوار. ها نحن منذ بضع سنوات فقط كنا نحلم ونحن نرى اللقاءات والمبادرات مع الجيران، ونرى زعماء الدول وهم يخططون للتعاون في مختلف المجالات - وهو ما يمكن أن نعتبره إنفراجة لم نعرفها منذ قيام الدولة. هناك سبيل آخر، وجيراننا من حولنا مستعدون لهذا.

## عرض وتقييم لمؤتمر هرتزليا الثاني

( الذي حضره رئيس إسرائيل وباراك ونتانياهو وبيريز ومدير المخابرات الأمريكية السابق )

١

سامح محمود

باحث متخصص في الشؤون الإسرائيلية

### أولاً: المقدمة :

عقد معهد السياسات والاستراتيجيات The Institute of Policy and Strategy هرتزليا للدراسات المقارنة - INTER DISCIPLINARY CENTER - HERZILYA مؤتمره السنوي الثاني خلال الفترة من ١٦-١٨ ديسمبر ٢٠٠١ تحت عنوان « التوازن بين القوة القومية الإسرائيلية والأمن THE BALANCE OF ISRAEL'S NATIONAL STRENGTH AND SECURITY » وقد حدد الأستاذ الدكتور / عوزي آراد مدير المعهد الهدف من هذا المؤتمر السنوي (الثاني) الهام وذلك في تحليل مناحي القوة والأمن القومي الإسرائيلي، وفي هذا السياق عرف القوة القومية بأنها المصادر التي تستطيع الدولة أن توظفها في الوقت الحاضر للحفاظ على أمنها مستقبلاً .

وسوف نعرض في التقرير لأهم ما ورد في المؤتمر من كلمات وأهم ما قدم من أوراق ( ولن نتقيد في هذا الصدد بجدول أعمال المؤتمر) بالإضافة إلى تقييمنا لما ورد في المؤتمر من أطروحات وكذا للوضع الحالية والمستقبلية للصراع العربي / الإسرائيلي :

### كلمة إيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل السابق

أستهل باراك كلمته بالإشارة إلى ارتكاز أمن إسرائيل القومي وقوتها على أربعة محاور:

١ - القوة القومية لإسرائيل والتي تتضمن قوتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية . الخ .

٢ - علاقة إسرائيل الخاصة والحميمة - IN-TIMATE بالولايات المتحدة الأمريكية .

٣ - قدرة إسرائيل على التمتع بالشرعية الدولية - INTERNATIONAL LEGITIMACY

٤ - وحدة إسرائيل الداخلية

و أكد علي أن كل شيء قد تغير بعد أحداث ١١ سبتمبر ، وأن ذلك يخلق فرصاً وفي نفس الوقت مخاطر كثيرة وكبيرة وبالتالي يجب علي إسرائيل أن تتعامل وتتفاعل مع الواقع العالمي الجديد بكل حكمه .

وحلل باراك الجهود الدولية الحالية لمواجهة الإرهاب فأشار إلي أن الولايات المتحدة الأمريكية ستواجه أفغانستان في المرحلة الأولى من مكافحتها للإرهاب ، وأكد علي أن المواجهة مع الصومال واليمن والسودان ستكون في المرحلة الثانية ، وستشمل المرحلة الثالثة تفكيك قواعد الإرهاب في كل من سوريا و لبنان وفي المرحلة الرابعة سيكون علي الولايات المتحدة مواجهة العراق وستطرح بنظام صدام حسين ، وأن ذلك سوف يسهم في جهود الولايات المتحدة " لإقناع إيران " بنبذ الإرهاب حتى لا يتم مواجهتها أيضاً لرعايتها وإيوائها للإرهاب ( وأشار إلي أن مواجهة إيران سوف تكون الأصعب خاصة مع تطوير طهران لأسلحة غير تقليدية ) .

وشدد علي أن جميع هذه التطورات والأحداث سوف تكون لصالح إسرائيل إلا أنه وفي ذات الوقت سوف تواجه إسرائيل أربعة إشكاليات :

١- الصراع مع الفلسطينيين

٢- الصراع الداخلي مع عرب إسرائيل

٣- التشققات والانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي

٤- تركيبة الحكومة الإسرائيلية

وعن المشكلة الفلسطينية اقترح باراك خطة من ثلاثة أجزاء :

أولاً : حرب بلا هواة ودون تراجع مع الإرهاب ( الانتفاضة )

ثانياً : تنفيذ سياسة الفصل من جانب واحد - Uni-lateral Separation مع الفلسطينيين وذلك علي



مدار أربعة سنوات علي أقصى تقدير " والا سوف نتحول إلي جنوب أفريقيا أو البوسنة " عودة التفاوض مع الفلسطينيين خاصة وأن إسرائيل في حاجة إلي المحافظة علي شرعيتها الدولية .

ثالثاً : إقامة سبعة ( ٧ ) تجمعات استيطانية تشكل ما نسبته ١٠٪ من " الأرض " ليعيش بها ما يزيد علي ٨٠٪ من المستوطنين الحاليين ، بالإضافة إلي ذلك الاحتفاظ بـ ١٥٪ من " الأرض " لأسباب أمنية و الانسحاب من بقية الأراضي تماماً ، وشدد علي أن هذه الخطوة أساسية جداً للمحافظة علي الأغلبية اليهودية لإسرائيل وأنه سيكون علي إسرائيل بعد ذلك " بناء سور في مواجهة الفلسطينيين ، أما عن القدس فيتم بناء سورين الأول مع الحدود الخارجية والثاني بين الأحياء اليهودية والأحياء العربية " .

#### كلمة الجنرال / شاؤول موفاز رئيس الأركان الإسرائيلي

أكد الجنرال موفاز علي أن حرب الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب سيكون لها أثراً متعددة علي منطقة الشرق الأوسط ، فالولايات المتحدة تعهدت بمحاربة الإرهاب في كل بقاع الأرض ، " بما في ذلك المنطقة التي نعيش عليها " وشدد علي أن جيش الدفاع الإسرائيلي وبالرغم من أنه منشغل في " حرب " حالية إلا أنه يعد العدة ويجهز نفسه للحرب القادمة .

" فجيش الدفاع قد قرر تقوية وإعادة هيكلة قواته الجوية ، وقطاع المخابرات ، وكذا تطوير أسلحة ذكية - IN-TELLIGENT WEAPONS .

وناقش موفاز المواجهة الحالية مع الفلسطينيين فأشار إلي أن هذه المواجهة ذات طبيعة مركبة ، عسكرية واقتصادية وإعلامية وكذا في الاستعداد الذهني أو التركيبية الذهنية MINDSET وفي هذا السياق أكد موفاز علي أن العنف الفلسطيني الحالي جاء كقرار إستراتيجي فلسطينياً تماشي مع المنطق والسلوك الفلسطيني الذي يعبر عن عدم رضاه عما دار علي مائدة المفاوضات ( خاصة بالنسبة للقدس واللاجئين ) و " أن الفلسطينيين يعتقدون أنه عن طريق الدماء سوف يتمكنوا من إضعاف الموقف التفاوضي الإسرائيلي " وأنهم يأملون بأن تكون هذه هي المعركة الأخيرة ويوجهون رسالة واضحة لإسرائيل بأنها لن تتعم بالسلام أو الأمن طالما هناك احتلال .

وقد حدد الجنرال موفاز المجموعات الثلاثة التي تهاجم إسرائيل :

- ١ - المنظمات الإسلامية ( حماس - الجهاد الإسلامي )
- ٢ - فتح - التنظيم
- ٣ - أجهزة الأمن الخاص بالسلطة الفلسطينية .

وأكد علي أن الخلافات والاختلافات بين هذه المجموعات الثلاثة تتلاشي وتذوب عند القيام بعمليات إرهابية وأشار إلي وجود إحصائية توضح علي أن ٧٠

إسرائيلي قد لقوا حتفهم كنتيجة مباشرة لأعمال إرهابية قام بها رجال أجهزة السلطة الفلسطينية وهي التي كان من المفترض أن تكافح الإرهاب ولا تقوم به .

وعرض موفاز لمراحل العنف الفلسطيني الموجه ضد إسرائيل والتي حددها بستة مراحل :

١ - العنف الفلسطيني المنظم وهو العنف الذي بدأ مع سبتمبر ٢٠٠٠ ونتج عنه الانتفاضة الثانية ، وقد قام بها الفلسطينيون بهدف " تدويل الصراع " .

٢ - الإرهاب الموجه إلي إسرائيل من المنطقة " أ " والخاضعة تماماً للسلطة الفلسطينية وهي المرحلة التي انتهت بقرار من عرفات .

٣ - الإرهاب ضد المستوطنين والجنود في غزة والضفة الغربية .

٤ - الإرهاب ضد المدنيين الإسرائيليين داخل الخط الأخضر وذلك بهدف إضعاف الروح المعنوية وبالتالي التوصل إلي تنازل أو تسوية ( وهذه المرحلة انتهت في ١١ سبتمبر عندما نزع الشرعية عن مثل هذه الاستراتيجيات ) .

٥ - الإرهاب المنظم والمتفق عليه ( والتي قامت بها جماعات المعارضة الفلسطينية وبتسيق شخصي مع عرفات .

٦ - الشهر الحالي ( ديسمبر ٢٠٠١ ) حينما تعرضت إسرائيل لموجة غير مسبوقة من الإرهاب ضدها حيث قتل عشرات الإسرائيليين .

وخلص الجنرال / موفاز إلي أن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن مطالبهم وأنهم علي استعداد لجبر المنطقة إلي أزمة أو لمواجهة عسكرية من أجل تحقيق مطالبهم ، وفي مواجهة ذلك أكد علي ضرورة بل حتمية تماسك إسرائيل وعلي اعتماد وتنفيذ سياسة النفس الطويل وعلي وجوب عدم إشعار الفلسطينيين بأنهم قد حصلوا علي مكاسب من إرهابهم وفي المقابل يجب علينا التخفيف عن الأغلبية الفلسطينية غير المشاركة في هذه الحملة الإرهابية ، وأن نتجنب إصابة المواطنين الأبرياء .

وأكد موفاز علي أن جيش الدفاع قد قرر عدم فتح جبهة أخرى في الشمال خلال انشغاله بالصراع مع الفلسطينيين ، في حين أنه شدد علي إن إسرائيل سوف تحمل سوريا المسؤولية الكاملة في حالة إندلاع أي أعمال عنف من لبنان .

وأشار إلي أن جيش الدفاع قد حاول عدم اللجوء للاحتياط بقدر المستطاع إلا أنه يجب علينا لمواجهة الازمة الحالية تغيير هذه السياسة ولأجل غير مسمى .

كلمة شيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل الحالي استهل بيريز خطابه بالتساؤل " ماذا سنكون عندما نكبر ؟

وبدء في طرحه فأشار إلي أن المشكلة الأولى التي تواجهها إسرائيل هي الحفاظ علي الطبيعة اليهودية للدولة ، مؤكداً علي أن هذا الأمر أصبح معرض لخطورة

كبيرة وواضحة حالياً ، المشكلة الثانية هي الحفاظ علي الروح المعنوية والقيم الاخلاقية للشعب اليهودي ، وأكد علي أن كون إسرائيل دولة محتلة يفسدنا . بقدر ما يؤدي الآخرين . المشكلة الثالثة وجوب دمج إسرائيل في محيطها الإقليمي والدولي .

وأشار بيريز إلي أننا " نستطيع أن نتوصل إلي اتفاق مع الفلسطينيين إذا ما توافرت لدينا الشجاعة الكافية " ، فالفلسطينيين يطالبون بكل أراضي ١٩٦٧ بالإضافة إلي القدس مع الحق في عودة اللاجئين الفلسطينيين " ، وشدد علي أنه من الممكن أن نصل إلي اتفاق حول حدود ٦٧ ونؤجل موضوع القدس واللاجئين ، وعن هذين الموضوعين (أي القدس و اللاجئين ) أشار إلي أنهم أقل تعقيداً في الواقع العملي مما هو موجود عل الورق فاليهود لا يذهبون إلي الحرم الشريف TEMPLE MOUNT وأشار إلي أن " اعرافنا " لا تتطلب منا الذهاب إلي هناك قبل ظهور المسيح .

وعن اللاجئين أكد علي أننا يجب أن نؤكد للفلسطينيين بأننا لا نستطيع أن نساوم حول هذا الموضوع وذلك لأننا يجب أن نحافظ علي الأغلبية اليهودية داخل الدولة ) وأشار إلي أنه لا يعرف أن كان الفلسطينيون سوف يتقبلون هذا الطرح أم لا ، ولكنه شدد علي أن هناك " شيء ما " من الممكن البناء والتفاوض حوله .

وقد أفاد بيريز بإمكانية التوصل إلي اتفاق حول الموضوعات الأولى ومع القيادة الفلسطينية الحالية وفي زمن قصير للغاية مع ترك موضوعي القدس واللاجئين لمرحلة لاحقة حتي ينضجوا TO RIPEN وشدد علي أن مصلحة إسرائيل تكمن في إنشاء دولة فلسطينية علي الأراضي المحتلة ، مؤكداً علي أن الأجيال الإسرائيلية القادمة لن تقبل فكرة الاحتلال هذا بالإضافة إلي أن ذلك يضمن الحفاظ علي الأغلبية اليهودية داخل الدولة .

وعن الاقتصاد أشار بيريز إلي أن الحقبة الزراعية قد انتهت وان صلة إسرائيل بالعالم حالياً يجب ألا تكون الزراعة - كما كانت في السابق - ولكن يجب أن تكون التكنولوجيا مؤكداً علي أن أسلوب مواجهة إسرائيل لأعدائها يجب أن يكون " بعدم حقنهم بالأنتراكس " ولكن بالتكنولوجيا المتقدمة أي خلق الاحتياج للتكنولوجيا الإسرائيلية ، مما سيجعل الشعوب المعادية لإسرائيل والمساندة للإرهاب تعمل علي القيام بمكافحة هذا التوجه من داخلها .

ورداً علي سؤال حول اتفاقية أوسلو أكد بيريز علي أن المشكلة لم تكن في الاتفاقية ذاتها " ولكن المشكلة التي نواجهها حالياً نابعة من انه قد تم إيقاف اتفاقية أوسلو " HAD BEEN STOPPED .

ورداً علي سؤال آخر حول ما إذا أتيحت الفرصة لبيريز للحديث إلي الشعب الفلسطيني فماذا سيقول له فأفاد بيريز بأنه سيقول لهم بأنه متعاطف مع مأساتهم وأنه لا يريد أن يحتل أراضيهم " .

كلمة بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل السابق

أكد علي تفاؤله الشديد وذلك بعد إدراك إسرائيل خلال العام الماضي (٢٠٠٠) خطورة الوضع السياسي الحالي وقيامها بمواجهته بحزم مما سيمنح إسرائيل القدرة علي تغييره .

وأكد علي أن للعولمة أثراً إيجابية كبيرة علي إسرائيل خاصة في المجال الاقتصادي ، كما أشار إلي أن ملايين العرب يشاهدون الآن قناة الجزيرة - دون أية رقابة أو محظورات - مما يعطينا الأمل في ميل هذه المجتمعات للديمقراطية .

وعن أحداث ١١ سبتمبر أكد علي أنها تصب في صالح إسرائيل أيضاً خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية وضعت ثلاثة معايير او مبادئ لتحديد الإرهاب ومن يقوم به :

الوضوح الأخلاقي : فالولايات المتحدة قد فرقت بين الإرهاب وبين الدفاع عن النفس وأكدت علي أنه " لا يوجد شيء " يبرر الإرهاب .

الوضوح الاستراتيجي : حيث أكد الرئيس بوش علي عدم وجود فرق بين الانتحاريين وبين من يرسلونهم فالفريقين يتحملان المسؤولية كاملة .

حتمية الانتصار : فالولايات المتحدة تري ضرورة بل حتمية الانتصار علي الإرهاب .

وفيما يتعلق بالأولويات القومية الإسرائيلية أكد علي أنه علي إسرائيل حماية مواطنيها من الهجمات غير التقليدية ( وأن العراق وإيران هما أخطر أعداء إسرائيل في هذا الصدد ) مشدداً علي وجوب عمل إسرائيل مع الولايات المتحدة لوقف هذا التهديد .

وشدد علي أن رؤية إسرائيل تتفق تماماً مع رؤية الولايات المتحدة ، حول أحداث ١١ سبتمبر ، وعلي أنه حان الوقت لمواجهة الدول التي تأوي الإرهاب .

وأشار إلي أن إسرائيل ستجد كل التأييد من الشعب الأمريكي إذا ما أطاحت بالسلطة الفلسطينية الحالية مؤكداً علي أن الإطاحة بعرفات سوف تستعيد هيبة و قدرة الردع الإسرائيلي وأن ذلك سوف يدفع القيادة الفلسطينية القادمة لمواقف أكثر اعتدالاً خاصة بالنسبة لموضوع اللاجئين وعودتهم إلي أراضي إسرائيل .

واختتم نتنياهو كلمته بالتأكيد علي ضرورة تركيز إسرائيل في المرحلة القادمة علي ٢ مجالات من مجالات التكنولوجيا المتقدمة .

كلمة الدكتور / شلومو بن عامي

القائم بمهام وزير خارجية إسرائيل السابق ( حزب العمل ) أوضح بن عامي أن العولمة تفرض علي الشعوب أنماط معينة من السلوك NORMS في شتي المجالات وبالتالي فلا يجب ولا يصح في إطار العولمة أن تتفرد دولة بعينها بسلوك منفرد ، وفي هذا السياق لا يجب أن تركز إسرائيل في علاقاتها مع السلطة ومع جيرانها العرب علي قوتها العسكرية فقط " ولكنه أستطرد وأضاف بأنه في نفس الوقت لا يجب أن نعتمد علي أن هذه الأنماط



الدولية سوف تأمن إسرائيل بل يجب العمل علي تأمين أنفسنا "و" يجب علي إسرائيل أن تحافظ علي هويتها كدولة يهودية ديمقراطية "، وأشار إلي أنه تم مناقشة العلاقات الدولية لإسرائيل علي المدى القصير ، وفي هذا السياق برزت المشكلة مع الفلسطينيين والحاجة إلي معالجة هذه المشكلة لأنها تضر بعلاقات إسرائيل مع العالم بأسره ENTIRE WORLD . وعلي المدى البعيد تم التركيز علي علاقات إسرائيل بأوروبا والصين والهند وروسيا وقد قامت مجموعة العمل التي شكلت في إطار هذا المؤتمر بوضع تصور يدور حول تمكن الولايات المتحدة الأمريكية من الانتصار علي الارهاب وأن الدول العربية سوف تتجه النهج الغربي وستركز علي النمو الاقتصادي والاستقرار وأنه مع إرادة وزعامة قوية من الولايات المتحدة الأمريكية من الممكن ضم إيران والعراق في داخل هذه الإطار الا أن جزء من مجموعة العمل نظرت إلي المستقبل بطريقة أكثر تشاؤماً فلم تستبعد سقوط النظام المعتدل في مصر متوقعة أن يؤدي ذلك إلي تكوين جبهة عريضة في مواجهة إسرائيل .

ولمواجهة هذين السيناريوهين ( المتفائل و المتشائم ) جاءت الخلاصة بأنه علي إسرائيل الا تتجاهل جيرانها العرب من أجل الاندماج في الغرب وان افضل احتمال لإسرائيل هو تهدئة الصراع وليس حله .

وفي الخلاصة أكد بن عامي علي أنه علي الدبلوماسية الإسرائيلية تعميق وتركيز رهانها علي الاقتصاد والتكنولوجيا والاندماج في المنظمات والهيئات الدولية .

#### كلمة موشيه كاتساف

##### رئيس إسرائيل

أكد كاتساف علي أن الأحداث الأخيرة التي شهدتها إسرائيل قد فرضت علينا الكثير من التساؤلات وكذا التحديات ، وان هذه التحديات ( قاصداً العنف الفلسطيني / الانتفاضة الثانية ) سوف تتحدد نتائجها طبقاً لقوة وتماسك الشعب الإسرائيلي ، وقد شدد علي أن إسرائيل تحتاج إلي تعميق وحدتها من أجل البقاء ومن أجل استمرار قدرتها علي التفاوض والتسوية ، وفي ختام خطابه أكد علي أن إسرائيل في حاجة ماسة إلي يهود الخارج خاصة لمواجهة الارهاب الإسلامي المتطرف .

##### كلمة سالي مريدور

رئيس الوكالة اليهودية ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية

أكد مريدور علي أهمية الدور الذي يقوم به يهود الخارج ، الا أنه تساءل: من يستطيع أن يضمن مساندة اليهود لإسرائيل بعد ٢٠ عاماً من اليوم ؟ مشيراً إلي أن مساندة يهود الخارج لإسرائيل منذ ٢٠ عاماً كانت أكبر وأعظم .

وأكد علي أن الإشكالية الديموجرافية التي تواجهها إسرائيل حالياً يكمن حلها في توسيع الهجرة إلي إسرائيل ، مذكراً "ليس من أوروبا فقط ولكن من جميع أنحاء

العالم " هذا بالإضافة إلي ضرورة زيادة معدل المواليد داخل الأسرة اليهودية الواحدة وبالتالي داخل المجتمع اليهودي في إسرائيل ككل .

كلمة جيمس وولسي مدير المخابرات الامريكية ال CIA السابق :

أستهل WOOLSEY كلمته بالتأكيد علي أننا في لحظة تاريخية تمنحنا فرصة للإطاحة بصدام حسين خاصة وأن هناك بعض الأدلة علي ضلوع العراق في أحداث ١١ سبتمبر وكذا ضلوعه في موجة هجمات الانتراخس التي تعرضت لها الولايات المتحدة مؤخراً ، وأفاد سيادته بأن مهمة الإطاحة به سوف تحتاج مابين ١٠-١٠٠ ألف من القوات الأمريكية مشيراً إلي أن واشنطن لن تحتاج إلي تحالف دولي لإتمام هذه المهمة ولكن إلي مساندة تركيا فقط هذه المرة .

وأشار إلي وجود مصادر أخرى للارهاب الدولي وأكد علي أن الإطاحة بصدام حسين من الممكن أن يقنع دولاً أخرى (مسياً إيران) بالعدول ونقض يدها من الارهاب ، وأوضح بأن المهمة سوف تكون طويلة المدى ولها ضحاياها ولكن يجب أن يكون هدف الولايات المتحدة هو دعم وتنمية الديمقراطية في الشرق الاوسط

وفي ختام كلمته أكد علي أن أمريكا قد عادت وبروح لم يراها العالم منذ فترة طويلة إلي سابق اهتمامها بالعالم .

#### كلمة الجنرال عوزي ديان

رئيس مجلس الأمن القومي - مكتب رئيس الوزراء أعرب لجنرال ديان عن قلق إسرائيل من سوريا وحزب الله " خاصة وأنهم سوف يكونوا ضمن المرحلة الثانية من المواجهة الدولية ضد الارهاب " وأرجع مصدر القلق الإسرائيلي إلي تزايد صعوبة مواجهة الدول المساندة للارهاب خاصة إذا ما كانت تمتلك أو تستطيع أن تمتلك أسلحة غير تقليدية ، إلا أنه أشار إلي أن النقطة الايجابية في هذه المعركة هو أنه باستطاعة إسرائيل وفي سنوات قليلة إصابة هدفين بضرية واحدة ( القضاء علي الإرهاب - وكذا القضاء علي امتلاك بعض الدول المساندة للارهاب والمناهضة لإسرائيل لأسلحة غير تقليدية ) كما أوضح خطته لمكافحة الإرهاب مشيراً إلي أنها تتكون من خمسة مكونات: سياسية وعسكرية وأمنية واقتصادية وقانونية والدائرة الأخيرة معلوماتية وتعليمية .

وشدد علي ان مواجهة الارهاب يجب أن تأخذ أبعاداً ثلاثة :  
داخلياً : بالرد الموجه علي الإرهابيين الذين يقومون بعمليات داخل إسرائيل وكذا الذين يرسلونهم أو يوجهونهم للقيام بمثل هذه العمليات ، والنطاق الثاني : توسيع دائرة المواجهة لتشمل الدول والمنظمات التي تؤويهم وتؤمن لهم البنية التحتية ، والنطاق الثالث مواجهة مصادر أو منابع الصراعات كمحاولة لمنع مسببات الارهاب من النشوء أو النمو .

وفي هذا السياق أعلن الجنرال DAYAN عن

إعتزام الهند إرسال ممثل لها إلى إسرائيل خلال شهر يناير القادم ٢٠٠٢ للتباحث حول كيفية إنشاء قناة ثنائية لمكافحة الإرهاب، وأشار سيادته إلى أنه تم التوصل إلى جدول عمل مع الولايات المتحدة الأمريكية لمكافحة الإرهاب، وكذا الاتفاق على التعاون في مجالات الشئون القانونية والبحث التكنولوجي والتنمية ومجالات أخرى مؤكداً على أن هذا الاتفاق قد شمل دولا أخرى لم يحددها.

#### كلمة ناتان شارانيسكي وزير الأبنية والتعمير

شدد السيد / شارانيسكي على أهمية دور يهود الخارج الـ DIASPORA فيما يقدمونه من دعم لإسرائيل متذكراً تجربته الشخصية في ذلك عندما كان مازال يعيش في بلده الأصلي روسيا، وعن علاقات إسرائيل مع روسيا أشار إلى أن الرئيس بوتين يعتقد بأن علاقاته مع إسرائيل تمثل يابا لعلاقات جيدة مع الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مشيراً إلى أن ذلك كان له انعكاساته الإيجابية على وضعية اليهود في روسيا "والتي تتحسن كل يوم"، وفي نفس الوقت على موقف روسيا من الصراع العربي الإسرائيلي والذي يتحول الآن لصالح الرؤية الإسرائيلية.

**كلمة البروفيسور أرنون سوفير ARNON.PROF SOFER**

#### الأستاذ بجامعة حيفا

حذر السيد / سوفير من مواجهة إسرائيل لمشكلة ديموجرافية كبيرة عام ٢٠٢٠ وذلك لأنه سوف يتواجد بها مليون يهودي متشدد ORTHODOX وكذا ما يناهز مليوني عربي، وأن ذلك سوف يؤدي إلى شلل أعمال الكنيست تماماً كما قد ينتج عنه هجرة الأغلبية اليهودية الحالية وأشار إلى أنه إذا لم يتم تطبيق سياسة الفصل فسوف يطوق إسرائيل ٦ مليون عربي في المنطقة منهم ما يقرب من ٥٥ مليون يعانون من فقر شديد.

وللخروج من هذا المأزق طرح سوفير فكرة وهي "بأنه يجب ألا تكون إسرائيل دولة ديمقراطية، مشيراً إلى أن هذا هو التوجه الحالي للدولة، واننا علينا "توطين" الدروز والبدو والمسيحيين من عرب إسرائيل" ويجب علينا أن نضع بعض المدن المكتظة بعرب إسرائيل مثل أم الفحم داخل أو ضمن الحدود الفلسطينية".

وفي هذا السياق أشار إلى أن هناك ما يقارب الـ ١٥٠ ألف لاجيء فلسطيني يعيشون ضمن أو داخل الحدود الإسرائيلية حالياً وبطريقة غير مشروعة.

ورداً على ما ذكره السيد SOFER أكدت GEULA COHEN عضو الكنيست الإسرائيلي السابق على أنه في حالة وجوب الاختيار بين الديمقراطية (والقيم اليهودية) وبين بعض القطع من الأراضي فهمي تفضل الاختيار الأول أي الديمقراطية.

#### كلمة البروفيسور يائيل تامير الأستاذة بجامعة تل أبيب

استهلت تامير كلمتها بالتأكيد على أهمية استمرار إسرائيل كدولة يهودية وفي نفس الوقت ديمقراطية وعلى ضرورة إقامة حدود واضحة مع الفلسطينيين مع

تشديدها على أن تطبيق سياسة الفصل -SEPERA TION هام للغاية وذلك للمحافظة على يهودية الدولة، وزيادة أمن المواطن الإسرائيلي وتقليص الاحتكاك مع الفلسطينيين. وفي هذا السياق أشارت إلى أن الفصل أحادي الجانب -UNILATERAL SEPERARA TION سيكون له بعض السلبية وحدتها بالتالي: احتمال إعلان الدولة الفلسطينية، وإحتمال إلغاء بعض الاتفاقيات المعقودة بين إسرائيل وجيرانها وإحتمال أن يزيد ذلك العنف ويزيد المقاطعة العربية.

وشددت على عدم مساندتها لرأي. والذي ينادي بإعادة ترسيم حدود إسرائيل بحيث يتم نقل عدد من المدن الكثيفة بالعرب (عرب ٤٨) إلى الجانب الفلسطيني محذرة بأن ذلك سوف يفتح ملف حدود ١٩٤٨، وبالتالي خلصت السيدة TAMIR إلى وجوب التوصل إلى تسوية لبعض الأجزاء من الصراع مع الفلسطينيين وكذا مع الدول العربية.

#### كلمة السيدة كونداليزا رايس CONDALESSA RICE

##### مستشارة الأمن القومي الأمريكي

(القت رايس كلمتها عبر قناة بث تليفزيوني مباشر) أكدت رايس على أن علاقات الولايات المتحدة بإسرائيل نابعة من مبادئ وقيم مشتركة وأن هذه العلاقات "لم تكن أفضل في أي وقت مضى"، وفي هذا السياق نقلت تحيات الرئيس بوش الشخصية لجميع السادة الحضور. وحول الإرهاب شددت المسؤولية الأمريكية على أن الرئيس بوش لا يفرق بين "إرهاب جيد" وإرهاب سيء " ويعتقد باننا لا نستطيع أن نحارب القاعدة ونعاقب حماس YOU CAN'T FIGHT AL-QAIDA AND HUG HAMAS " وبالتالي فهو يطالب الرئيس عرفات بالقبض على ناشطي حماس وتفكيك قواعدها والتحرك في اتجاه تحقيق السلام كما أن واشنطن تؤكد على أنه لا يمكن تحقيق هذا السلام إلا بعد أن يتلاشي الإرهاب. ورداً على سؤال حول أن كان هناك نية لعقد اتفاقية دفاع مشترك بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أشارت رايس إلى أن واشنطن ساندت و ستساند إسرائيل في جهودها لحماية نفسها وأنه على إسرائيل حكومة وشعباً أن تحدد المطلوب من الولايات المتحدة في هذا الصدد بروح وفي إطار منفتح.

كلمة بنيامين بين اليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي أشار اليعازر إلى اعتقاله بان أحداث ١١ سبتمبر + موجات العنف الفلسطيني الأخيرة + رفض الفلسطينيين للعروض السخية من باراك + انسحاب إسرائيل من لبنان قد اثر على استراتيجية الدفاع الإسرائيلية، مشيراً إلى المخاطر غير التقليدية التي تواجهها إسرائيل حالياً و المتمثلة في امتلاك بعض الدول المعادية لإسرائيل أسلحة الدمار الشامل مسمياً إيران.

#### كلمة زفي زاميرت مدير مؤسسة BEN-ZVI



أشار إلي أن التعليم يزداد بين عرب إسرائيل بنسبة أكبر من اليهود، وأن ٢٥٪ من اليهود يتعلمون في المدارس الدينية الحريدية HARED، وبالتالي ففي عدة سنوات قليلة سوف يصبح المتعلمين من العرب ومن خريجي المدارس الدينية الحريدية يمثلون نسبة كبيرة من المواطنين الإسرائيليين مؤكداً علي خطورة ذلك علي عجلة ودولاب الاقتصاد الإسرائيلي . .

كلمة الجنرال إيتان بن إياهو EITAN BEN-ELIHAU رئيس شركة EAST WEST VENTURES LTD,

أشار الجنرال/ إياهو إلي بعض الموضوعات التي يعتبرها أساسية ويجب أخذها في الاعتبار عند مناقشة الأمن والاستراتيجية الإسرائيلية :

حصر الصراع في حدود منخفضة الكثافة LOW INTENSITY CONFLICT.

أن كل صراع من الممكن أن يؤدي إلي حرب إقليمية، وذكر أنه في الماضي طبقت إسرائيل مفهوم الضربة الوقائية الأولى في حين أننا الآن يجب علينا أن ننظر إلي مفاهيم أخرى مثل الاحتواء CONTAINMENT وحصر الحرب في أراضي العدو . الخ .

وعن نوع الأسلحة التي يجب تطويرها أشار إلي أن إسرائيل قد عملت في الماضي لتطوير سلاحها الجوي لأنه كان السلاح الحاسم آنذاك ، "أما المواجهات القادمة فيجب أن نعد لها بالتركيز علي القوات الأرضية بجانب القوات الجوية والقوات الخاصة والأقمار الصناعية والطائرات بلا طيار ."

كلمة البروفيسور بهيزل درور قسم العلوم السياسية - الجامعة العبرية

أستهل درور كلمته بالتشديد علي وجود جذور للإرهاب في الفكر والتاريخ الإسلامي إلا أنه أضاف "ولكن علينا أن نتذكر - وبنفس القدر - بأن هتلر لم يكن مسلماً" .

أقترح DROR التنازل في الوقت الحاضر عن بعض القيم والمبادئ من أجل الحفاظ علي قيم VALUES أكبر وأعمق ، موضحاً "فسيادة الدول لا يجب أن يلتفت إليها إن كان الهدف مواجهة أسلحة الدمار الشامل والإرهاب" وفي هذا السياق أكد علي أنه علي إسرائيل التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة خطر الإرهاب وفي نفس السياق يجب علي إسرائيل الاقترب بقوة من الاتحاد الأوروبي ، وإلي التوصل إلي "تفاهم ما" مع الدول العربية من أجل إقناع بعضها بعدم استخدام الصراع العربي/ الإسرائيلي للوقوف ضد التوجه الدولي المواجه للإرهاب والدمار والقتل الشامل .

كلمة اسحاق رافيد ITZHAK RAVID المدير السابق لمركز الدراسات العسكرية RAFAEL بدء رافيد كلمته بعرض بعض الأرقام حول ديموجرافية الصراع العربي/ الإسرائيلي فأشار إلي النقاط التالية :

أن عرب إسرائيل يستمرون في الزيادة بمعدلات من أكبر معدلات الزيادة في العالم .

الوضع الاقتصادي للعرب داخل الأراضي TER-RITORIES سيستمر في التدهور خاصة في غزة وأنه حتي مع المساعدات الدولية ومع تدخل ومساندة إسرائيل فان ذلك لن يحول دون المزيد من التدهور الاقتصادي . غالباً ، ما سوف يتم التوصل إلي عودة بعض اللاجئين إلي إسرائيل أو تعويض البعض الآخر منهم .

أن الصراع مع الفلسطينيين سوف يستمر لوجود تعارض أصيل ( وليس عرضي ) بين مصالح الطرفين . أن الفجوة بين دخل الفرد في إسرائيل وبين نظيره في الدول الغربية سوف تزيد وذلك لوجود قطاعات داخل المجتمع في إسرائيل (اليهود المتشددون أو الأصوليين ORTHODOX وعرب إسرائيل) يتزايدوا بشكل كبير ولا يشاركون في قوة العمل .

سوف يكون من المستحيل تقديم خدمات تعليمية واجتماعية وصحية للمواطن الإسرائيلي تناهز المستوى الغربي ( وكما كان متوقفاً ومأمولاً في التوصل إليه من قبل )

الدكتور /دافيد هاريس DAVID HARRIS المدير السابق للجنة اليهودية الأمريكية -AMER ICAN JEWISH COMMITTEE

شدد HARRIS علي ضرورة مساندة يهود الخارج لإسرائيل مشيراً إلي وجوب القيام بذلك عن طريق الترويج واستخدام الأطروحات التالية : إسرائيل دولة ديمقراطية وأنه علي الديمقراطية مساندة بعضها البعض .

أن لإسرائيل رغبة عميقة في السلام وأنها علي استعداد لتقديم "تنازلات موجعة" من أجل تحقيق ذلك من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها في مواجهة العنف والإرهاب .

بالرغم من أن إسرائيل تمثل عودة اليهود ( الشعب و الديانة ) إلي أراضيهم إلا أنه وبعد مرور ما يزيد علي ٥٠ عاماً منذ إنشاء الدولة مازال البعض يشكك في شرعية وجود دولة إسرائيل .

دان مريدور DAN MERIDOR عضو الكنيست الإسرائيلي

أكد مريدور علي أن لعملية السلام إيجابية واضحة تمثلت في قبول الدول العربية لإسرائيل ، علي الجانب الآخر منذ مؤتمر مدريد وحتى الآن تبلورت سلبيتان رئيسيتان أولهما امتلاك أعداء إسرائيل لأسلحة غير تقليدية والثانية نمو التطرف الإسلامي وتنامي قدرته الدولية .

وعن الصراع مع الفلسطينيين ( والذي وصفه بأنه قلب الصراع العربي/ الإسرائيلي ) شدد مريدور علي وجوب التوصل إلي "اتفاق معهم" خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن إسرائيل متجهة إلي كارثة ديموجرافية، وفي

هذا السياق طرح خمسة خيارات :

- ١ - إعادة احتلال الضفة الغربية وغزة ، مذكراً " ولكن إسرائيل لم تنعم بالأمن قبل اتفاقية أوسلو " .
- ٢ - التأكيد علي أن إسرائيل لن تتنازل أو تسامح الا تحت مظلة اتفاقية سلام متكاملة .
- ٣ - الإبقاء علي الوضع الحالي ببعض التغييرات الطفيفة .
- ٤ - التوصل إلي اتفاق جزئي .
- ٥ - الأخذ بتدابير منفردة .

وقد استبعد مريدور الخيارات الثلاثة الأولى وطرح البديل الخامس لمزيد من الدراسة ، أما الخيار الرابع فاقترح " فرض " إسرائيل " لحل ما منفرد مع الفلسطينيين " ، - مستغلة إمكانياتها وقوتها - خاصة بالنسبة لترسيم الحدود أي " ترسيم الحدود بالأمر الواقع " .

البروفيسور جبريل بن دور GABRIEL BEN DOR أستاذ العلوم السياسية - جامعة حيفا

أشار بن دور إلي دراسة قام بها مؤخراً في جامعة حيفا ، أثبتت ان الشعب الاسرائيلي قد تأثرت روحه المعنوية سلباً ، وان ٨٢٪ منه يعاني من الخوف ( وللمقارنة أشار إلي أن ٦٠٪ فقط من الشعب الأمريكي عاني من الخوف بعد أحداث ١١ سبتمبر ) وشدد علي أنه اذا ما استمرت حالة الخوف سيفقد المواطن الإيمان بمؤسسات وأجهزة الدولة وبالتالي ستصبح إسرائيل في مأزق حقيقي .

أفي جيل AVIGIL مدير عام الخارجية الإسرائيلية

أكد جيل علي أن اتفاق أوسلو سوف يكون الأساس الذي يتم البناء عليه للتوصل الي اتفاق مع الفلسطينيين وذلك بتطبيق المبادئ و الأسس التالية :

الارض مقابل السلام ( وأكد علي أن الشهور القليلة القادمة أثبتت خطأ مشروع إسرائيل الكبرى ) الحفاظ علي الهوية اليهودية الديمقراطية لإسرائيل ( وفي رؤية انه لا يمكن التوصل إلي ذلك الا عن طريق فصل السكان ) SEPERATION OF THE POPULATION .

الاعتراف بالقومية الفلسطينية مشيراً إلي وجود إجماع داخل إسرائيل علي وجود الشعب الفلسطيني وعلي وجود آمال له .

وجوب إنهاء الاحتلال ، لانه شرط أساسي من أسس عملية السلام وان اسرائيل لا يمكن لها أن تحكم شعب آخر .

وأكد جيل علي أنه دونما التوصل إلي سلام مع الفلسطينيين لن تستطيع اسرائيل الاندماج داخل منطقتها وبالتالي مع العالم الخارجي .

واختتم كلمته بالتأكيد علي أنه بدون الالتزام بهذه الأسس الأربعة لن يكون تحقيق السلام ممكناً .

البروفيسور/ دانييل تسيدون، جامعة تل أبيب وأشار إلي أن عام ١٩٩٦ قد شهد تخرج ١٥٥٥ من الجامعات الإسرائيلية بدرجات في ال HI-TEK في حين

أنه في عام ٢٠٠٠ تخرج ما يناهز ٨٠٠٠ خريج ( أي ما يزيد عن خمسة أضعاف العدد في غضون أربعة سنوات ) .  
التقييم والخلاصة :

بالرغم مما يبدو من اختلاف واضح بين ما ذكره بنيامين نتنياهو من ناحية ، وبيريز وباراك من ناحية أخرى ، الا أن المجتمع الإسرائيلي متفق حول التكتيك و الاستراتيجية الواجب إتباعها في المرحلة الحالية ، ويتمثل التكتيك في عدم الرضوخ أمام الانتفاضة أي عدم الإقرار بأنه من الممكن الضغط أو التأثير علي متخذ القرار أو المفاوض الإسرائيلي عن طريق " المقاومة / العنف " ، أما الاستراتيجية فتتضح مما أكد عليه بيريز وباراك وشلومو بن عامي من وجوب إنهاء الاحتلال والتوصل إلي تسوية سلمية مع الفلسطينيين ويكمن الاختلاف حول نسبة ما سيتم " التنازل عنه / الانسحاب منه " فكلما بيريز توضح بأنه يتحدث عن الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلت عام ٦٧ بالإضافة إلي إمكانية طرح القدس للنقاش والتفاوض ، في حين ان ما ذكره الآخرون يدور حول " الانسحاب " من بعض وليس كل أراضى ٦٧ ، وتراوح هذه النسبة وتتفاوت من طرح إلي آخر .

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلي تبلور شبه إجماع داخل المجتمع الإسرائيلي تجاه وجوب بل وحتمية الانسحاب من " كل الأراضي / أو بعض الأراضي " المحتلة الا أن ما ينقص هذا التوجه لكي يتبلور في صورة عمل سياسي هو عدم وجود قيادة من ناحية وإرادة سياسية من ناحية أخرى والمقصود بالقيادة السياسية الزعامة القادرة علي اتخاذ خطوات جذرية لتحويل مسار مجتمعاتها ( السادات - بيجين - رابين ) أما الإرادة السياسية . فهي تعني إرادة المجتمع بفئاته ومؤسساته المختلفة للمخاطرة والمضي قدماً في اتجاه معين .

اجمع المتحدثون علي أن المشكلة الرئيسية التي تواجهها إسرائيل حالياً تتمثل في الانتفاضة في حين أن المشكلة الرئيسية التي ستواجهها إسرائيل في المستقبل القريب لن تأتي من الخارج بل من الداخل وتتمثل هذه المشكلة في الزيادة السكانية للأقلية غير اليهودية بنسبة تفوق الزيادة السكانية للأغلبية اليهودية ( المشكلة الديموجرافية - أو ما يطلق عليها في الأدبيات مشكلة عرب إسرائيل ) وتكمن هذه المشكلة في أن فلسطينيو الداخل ( أو ال ٤٨ ) يمثلون حالياً ما يناهز ١٩٪ من المجتمع الإسرائيلي ، وأن بعض الدراسات تشير إلي أنهم من الممكن أن يتجاوزوا نصف السكان مع حلول عام ٢٠٥٠ أي بعد مائة عام من إنشاء الدولة " العبرية " . ( دراسة مؤسسة فريدريك إيبرت عام ٢٠٠١ ) هذه المشكلة ستدفع إسرائيل إلي أحد خيارين فإما أن تكون دولة يهودية أو دولة ديمقراطية ( كتابات الاستاذ الدكتور سامي سموحة والاستاذ الدكتور أسعد غانم الأستاذان بجامعة حيفا توضح بجلاء هذه الإشكالية ) بالإضافة إلي ذلك هناك تأثير الصراع الدائر



حالياً مع فلسطيني الخارج ، وانعكاساته علي شعور وتوجه فلسطينيي الداخل وهو الأمر الذي يحمل في طياته احتمال انتقال الانتفاضة داخل الخط الأخضر ذاته ( و تقديم فلسطينيو الداخل لـ ١٢ شهيداً مع بدايات انتفاضة الأقصى لخير دليل علي ذلك ) وقد أكد أحد كوادر فلسطينيي الداخل لكاتب هذا التعليق وبوضوح " بأن الانفجار والتصادم قادم قادم لا محالة " كما اجمع المتحدثون ( بيريز - باراك - نتياهو . الخ ) علي مصيرية تركيز إسرائيل في المرحلة القادمة علي تطوير إمكانياتها التكنولوجية وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلي أن الصادرات الإسرائيلية من الصناعات التكنولوجية قد بلغت ١٥ بليون دولار عام ٢٠٠٠ بنسبة زيادة قدرها ٥٧.٢٤ ٪ مقارنة بعام ١٩٩٩ كما أنه ومنذ عام ١٩٩٦ زادت هذه الصادرات بمعدل ٣٠٠ ٪ .

وتساهم الصناعات التكنولوجية الإسرائيلية بـ ١٤.٢ ٪ من إجمالي الناتج القومي في إسرائيل كما أن ٧٤ ٪ من النمو الاقتصادي الإسرائيلي الذي تحقق عام ٢٠٠٠ يرجع إلي الصناعات التكنولوجية و ٢٦ ٪ من النمو يرجع إلي الشركات التكنولوجية الناشئة - START UP COM PANIES . أما ما ذكره مدير المخابرات الأمريكية السابق حول ضرب العراق في المرحلة الثانية من مواجهة الإرهاب ، فهو يتسق مع ما أكد عليه باراك في كلمته وإذا ما أضفنا إلي ذلك زيارة السناتور جوزيف ليبرمان إلي تركيا ( والتي أشار مدير المخابرات المركزية الأمريكية السابق إلي وجوب الاعتماد عليها فقط في الضربة القادمة للعراق ) فإن ذلك يعطي انطباعاً بأن العراق سيتعرض قريباً لضربة قوية قد يكون هدفها الاطاحة بنظام الرئيس صدام حسين ، وهو ما يري كاتب هذا التعليق أنه أمر محتمل للغاية وذلك للأسباب التالية تصنيف العراق كدولة من الدول المارقة ROGUE STATES وان ذلك كان مقبولا إلي حد ما قبل أحداث ١١ سبتمبر إلا أن هذه الأحداث قد أثبتت - من وجهة النظر الأمريكية - حتمية القضاء علي مثل هذه البؤر أو الجيوب المارقة . ( وفي نفس الوقت إعطاء رسالة واضحة لايران بنفس هذا المعنى ) تهديد صدام حسين المباشر والمعلن لإسرائيل وذلك بتكوينه وإعداده " لجيش القدس " والذي أعلن بأنه سيتكون من مليون مقاتل ، وبالرغم من قناعة المراقبين من أن هذا الجيش لن يتبلور ف صورة عمل عسكري محتمل ، فإن الفكرة في حد ذاتها غير مقبولة ( أي فكرة وجود دولة عربية مازالت تعلن عدائها الواضح لإسرائيل وأن هذا العداء يأخذ صور أفعال " عسكرية " محددة ) احتمال سعي العراق لتطوير أسلحة غير تقليدية . بالإضافة إلي ما تقدم يري البعض في أن " الأسباب " التي ترك من أجلها صدام حسين بعد حرب الخليج الثانية قد انتفت ( ذريعة أو مبرر للتواجد الأمريكي في الخليج - وبيع كم هائل من السلاح لدول الخليج - ولاحتواء إيران ) وذلك لأن أحداث ١١ سبتمبر و حرب

الولايات المتحدة المباشرة ضد الإرهاب توفر الغطاء والمبرر لضرب العراق .

بالنسبة لما جاء في كلمة البروفيسور ARNON SOFER من حتمية تطبيق سياسة الترانسفير علي بعض المدن ذات الأغلبية العربية داخل الخط الأخضر ( مثل أم الفحم ) ونقلها داخل الأراضي الخاصة بالسلطة / أو الدولة الفلسطينية ، فمع قناعتني بالاستحالة العملية لتنفيذ ذلك ، إلا أنني اقترح - وردا علي ذلك - سياسة ترانسفير عربية تجاه " عرب إسرائيل " وليس المقصود بذلك الترانسفير الذي يهدف إليه SOFER ولكن ترانسفير أي تغيير جذري أكثر إيجابية في شعور وتوجه وسلوك حكومات و شعوب الدول العربية تجاه فلسطينيو الداخل .

لا أعرف من أين أتى السيد / نتياهو بتفاؤله الشديد عن المستقبل الإسرائيلي . فجميع الدراسات والأرقام تشير إلي أن انتفاضة الأقصى قد تمكنت من التأثير سلباً وبشدة علي المجتمع الإسرائيلي ويكفي أن نذكر ما جاء في آخر إحصائيات مكتب الإحصاء الإسرائيلي من أن الاقتصاد الإسرائيلي قد شهد في عام ٢٠٠١ أضعف أداء اقتصادي له منذ عام ١٩٥٢ ( أي تقريباً منذ إنشاء الدولة ) هذا بالإضافة إلي ما أعلنه البنك المركزي الإسرائيلي من أن انتفاضة الأقصى قد كلفت الاقتصاد الإسرائيلي - حتى الآن - ما يناهز ١٢ بليون شكل ( أي حوالي ٢ بليون دولار أمريكي ) وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلي تعرض إسرائيل لاهتزاز لشرعية ممارساتها بل ولوجودها بشكل كبير في الفترة الأخيرة ولعل البيان الصادر عن الجمعيات غير الحكومية المشاركة علي هامش مؤتمر الأمم المتحدة لمكافحة العنصرية وما جاء به من أدانه شديدة اللهجة لإسرائيل لكافي للدلالة علي ذلك

الخلاصة :

يري كاتب هذا التعليق أهمية في النظر إلي الصراع العربي / الإسرائيلي كصراع حضاري شامل بل أكثر من ذلك ( وكما أطلق عليه نتياهو ) صراع وجود وليس حدود ، وفي هذا السياق يؤكد علي أن إسرائيل قد تمكنت من الفوز في حلقات المواجهة الخمسة في الصراع العربي / الإسرائيلي ، فالأولي كانت معركة إنشاء الدولة والثانية كانت امتلاك السلاح النووي والثالثة كانت التوسع الجغرافي ( توسيع الدولة - حرب ١٩٦٧ ) والرابعة تنمية المجتمع المدني والاستقرار الاقتصادي والخامسة أي المرحلة الحالية فهي التقدم التكنولوجي .

وفي حين مازال الوطن العربي يركز كل جهده علي تعويض ما فقد في حلقات المواجهة السابقة ( خاصة الأرض ) ، تدل الأرقام الموضحة في البند ٣ من التعليق علي إدراك ووعي إسرائيل بالحلقة الحالية من الصراع وعملها الدؤوب علي أن تخرج منها فائزة قبل أن يدرك غريمها نوع التحدي الذي ينبغي عليه أن يواجهه .

## استئناف العملية السياسية

٢

### رؤية إسرائيلية: تعلم الدرس من فشل أوسلو

يوسي الفير - كاتب سياسي وله كتاب أخير باسم "المستوطنين والفلسطينيين"

٩ يناير ٢٠٠٢ www.bitterlemons.or. إعداد: أكرم ألفي

بديلة للسلام، وجميعهم يشكون في الآخر، وهو ما يجعلنا نجزم أن فرص نجاح هذه المبادرات أو أي مبادرات سلام أخرى سيتم طرحها في المستقبل القريب ضعيفة أو شبه معدومة.

علي الرغم من هذا، وفي ظل الظروف الراهنة، يجب أن نرحب بأي مبادرة سياسية جديدة، فكلًا من خطط بيريز - أبو علاء وكاتساف بهم الكثير يمكن الثناء عليه. علي أساس ما نعرفه عنهما، إلا أن كلاهما يعكسان رفض قاطع من كلا الجانبين للتعلم من دروس فشل عملية أوسلو التي برزت خلال السنوات الماضية، وبالتالي رسم دروس للمستقبل. فهل يمكننا أن نأمل أن تكون الاتفاقية التالية لا تعاني من نفس المشاكل والأزمات. في سياق انه لا توجد اتفاقية سياسية كاملة، ومن هنا تتبع أهمية طرح دروس خبرة أوسلو:

أولاً: برز خلال عملية أوسلو التناقضات الجمة النابعة من الاعتماد علي قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. فإسرائيل والفلسطينيين لم يتفقوا علي تفسير صيغة قرار ٢٤٢، من كونه يطبق علي كامل أم علي جزء فقط من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية. لم يكن الاختلاف فقط علي التطبيق علي "أراضي" أم "الأراضي" بل أكثر من هذا فإن قرار ٢٤٢ كان مصمم أساساً للتعامل مع آثار حرب ١٩٦٧، بينما كانت بعض قضايا الوضع النهائي للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، لم تحل بعد مثل اللاجئين، وهي قضية من ١٩٤٨ ولم تحل من خلال ٢٤٢، أو القضايا "التاريخية" مثل القدس التي تم تجاهلها في قرار ٢٤٢، وعلي الرغم من إدراك كل من بيريز وأبو علاء هذا الإشكاليات، إلا أنهم اختاروا مرة أخرى قرار ٢٤٢ كأساس لإعلان الدولة الفلسطينية. وبالفعل

أدركت إسرائيل أخيراً خلال الأسابيع الماضية أهمية استئناف العملية السياسية، حيث طرحت مبادرتين لاستئناف العملية السياسية. وهو الدرس الذي استوعبه الفريق الذي قاده وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز وضم كل من أوري سافير وافي جيل وهما (المدير السابق والحالي لوزارة الخارجية) وأبو علاء رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني. فوفق للاتفاقية، سيتم وقف إطلاق النار واستئناف إجراءات إعادة بناء الثقة خلال ستة أسابيع. وبعدها وخلال ثمانية أسابيع أخرى تقوم إسرائيل بالاعتراف بالدولة الفلسطينية وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، ويعقبها بدء المفاوضات حول قضايا الوضع النهائي، حيث يتم الانتهاء منها خلال من ٩ إلى ١٢ شهر. ويتم تنفيذ الاتفاق النهائي خلال من ٩ إلى ٢٤ شهر آخرين. تمثلت المبادرة الثانية في دعوة الرئيس الإسرائيلي موشي كاتساف إلى إلقاء كلمة أمام المجلس التشريعي الفلسطيني يدعو فيها إلى عقد هدنة، وبعدها يتم إعلان هدنة لمدة عام، وخلال فترة قصيرة يتم العودة للمفاوضات. علي أن تقوم كل من مصر وأمريكا بدعم هذه المبادرة إلى جانب الإسرائيليين والفلسطينيين.

لقد علمنا بهاتين المبادرتين من خلال التقارير الإخبارية والمقابلات والحوارات. وقليل من التفاصيل تم معرفته، حيث لا نعرف بدقة التزامات وواجبات الطرفين وفقاً لهاتين المبادرتين، وإن كنا نعرف أن رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون اعترض علي جوهرهما، بينما امتنع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات علي التعليق عليهما، كما اعترض بيريز علي طرح الهدنة لمدة عام، وهو ما يعكس بشكل واضح أن القيادات في كلا الجانبين لا تملك بعد أي استراتيجية



سمعنا متحدث باسم إسرائيل يشرح أن هذا يعني أن الدولة الفلسطينية سوف تقوم بالأساس على ٤٢٪ من الضفة الغربية و ٨٠٪ من قطاع غزة والتي هي تحت السيطرة الفلسطينية بالفعل في الوقت الحالي . بينما سيتم التفاوض على الجزء المتبقي، بينما فسر الفلسطينيون ذلك التفاهم على أنه يقوم على أساس إعادة كافة الأراضي التي تم احتلالها في ١٩٦٧ لمنظمة التحرير الفلسطينية، بينما ستركز المفاوضات على طرق نقل الأراضي الباقية.

إن هذا الأمر يرجعنا إلى المربع رقم واحد، فقد كان من الأفضل أن يقوم الاتفاق على أسس أكثر وضوحاً مثل "الفصل الديموجرافي عبر حدود مقبولة من قبل الطرفين" أو على الأقل تحديد أن القضية الأولى للتفاوض هو الاتفاق على تفسير لقرار ٢٤٢.

الإشكالية الثانية في عملية أوسلو: هو الاعتماد على سياسة المراحل والترحيل، ففي سبتمبر ١٩٩٢ لم يكن هناك بديلاً عن العملية المراحل المؤقتة؛ فالأطراف لم تكن بعد مستعدة لمحددات الوضع النهائي . ولكن علينا أن نعترف الآن أن مراحل أوسلو المؤقتة كان سبباً لفشلها؛ أكثر منها عاملاً لبناء الثقة والرخاء الاقتصادي، والذي تم تحطيمهما عبر انهيار العملية وعودة الهجمات بواسطة المتطرفين من كلا الجانبين. هنا مرة أخرى، فإن خطة بيريز - أبو علاء تعتمد على سياسة المراحل، بينما تتضمن هدنة كاتساف هي الأخرى مخاطرة مرحلة العام الأول ولا تقدم شي بالنسبة لما يتبعه.

فالدرس الذي يمكن الاستفادة منه هنا هو أنه يجب أن تكون العملية السياسية قائمة على أساس وضع ترتيبات الوضع النهائي خلال فترة محددة زمنية وعبر أقل عدد ممكن من المراحل . فنحن لا ننكر أنه حتى في أفضل الظروف فإن الحد الأدنى من الوقت والمراحل هو ضرورة من أجل الانتقال من الصراع إلى السلام، وهو الأمر الذي يأتي بنا إلى الدرس الثالث من أوسلو، وهي إنها لم تنشأ أو تضع مراقبة من قبل طرف ثالث يقوم بالتحكيم، بحيث كان واضحاً أنه في حالة ظهور عدم اتفاق حول تفسير إعلان مبادئ أوسلو أو أسلو ٢، فإن الطرفين لم يكن لديهما آلية للرجوع إليها لحل هذا الأمر، بينما هناك إشراف واضح على اتفاق السلام المصري - الإسرائيلي في عام ١٩٧٩، وهو ما مكن الطرفين من إنهاء الفصل، وما أعقبها من حل الخلاف حول طابا عبر محكمة العدل الدولية بدون الإخلال بالسلام . بينما شهدت الحالة الإسرائيلية - الفلسطينية ونتيجة لعدم التوازن الواضح بين الطرفين تفاقم الخلافات حول تفسير الاتفاقات.

في هذا السياق ، فإن كل من خطط بيريز - أبو علاء وكاتساف، كان يجب أن تطرح وجود طرف ثالث يقوم

بالتحكيم في حالة بروز أي خلافات حول تفسير الاتفاقات، سواء كان الولايات المتحدة أو أي طرف ثالث يتفق عليه . وهو ما قد يساهم في زيادة قدرة كلا الطرفين في النجاح في ظل الظروف الراهنة.

### رؤية فلسطينية: المبادلة الإسرائيلية أولاً

غسان خطيب

#### مدير مركز القدس للإعلام والاتصالات.

بعد النجاح الواضح للفلسطينيين في تنفيذ وقف إطلاق النار ، وبعد مرور عدد من الأسابيع الهادئة تماماً، استطاع فيها الجانب الفلسطيني أن يوقف تقريباً كافة أشكال الأنشطة المسلحة ضد الإسرائيليين، فإن الفلسطينيين باتوا ينتظرون الخطوة التالية . فمن وجهة النظر الفلسطينية فإن استمرار وصمود وقف إطلاق النار الحالي ممكن فقط في حالة بدء عملية سياسية، قادرة على إعطاء الشعب الفلسطيني الأمل بأنه يمكن عبر مفاوضات سلمية إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي المحتلة.

فالفلسطينيين يعتبرون أنه من الشاذ أن تستمر إسرائيل في القبض على عشرات الفلسطينيين بحجة القيام بأفعال إرهابية . فهناك أهمية واضحة للمبادلة الإسرائيلية . فالفلسطينيين يجب أن يتأكدوا أن وقف إطلاق النار ليس فعل من طرف واحد، وأن مبادرة الفلسطينيين سوف تؤدي إلى إنهاء العنف الإسرائيلي وإنهاء الحصار.

إلا أنه خلال الأسابيع القليلة الماضية من وقف إطلاق النار الفلسطيني، استمر الجيش الإسرائيلي في العمليات العدوانية في المناطق الفلسطينية، حيث ظلت الدبابات الإسرائيلية في مناطق تحت السيطرة الفلسطينية، وقيام قوات الجيش الإسرائيلي بغزو تلك الأراضي بشكل دوري بغية القتل والاعتقال وهدم المنازل . وكان آخر هذه الحوادث في غزة، حيث تم قتل ثلاثة صبية فلسطينيين .

أكثر من هذا ، استمرار السياسة الإسرائيلية الخاصة بتقييد حركة الفلسطينيين والحصار على المدن الفلسطينية والذي استمر لما يزيد عن عام، على الرغم من وقف إطلاق النار الناجح، كل هذه الأحداث جعلت الفلسطينيين يشكون في إمكانية استمرار وقف إطلاق النار.

وبينما جددت زيارة انتوني زيني "المبعوث الأمريكي للمنطقة" الآمال الفلسطينية ، إلا أنه غادر المنطقة بدون أي حديث حول استئناف العملية السياسية . بل أنه حتى لم يطرح جدول زمني لتنفيذ بنود تقرير ميتشيل، والذي تضمن إجراءات بناء الثقة المتبادلة، ووقف الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية، وتنفيذ الاتفاقات الإسرائيلية . الفلسطينية المؤقتة التي لم تنفذ بعد، واستئناف المباحثات حول قضايا الوضع النهائي .

فقط كرر زيني الطرح الإسرائيلي الخاص بأن وقف إطلاق النار الناجح لم يحدث بعد، وفشل في اقناع الحكومة الإسرائيلية بالحاجة للتقدم وتنفيذ استحقاقاتها المقررة في تقرير ميشيل .

إننا نرى أن هذا الوقت هو الوقت المناسب لتواجد جهود أمريكية أو دولية أو الاثنين معا من أجل ملء الفراغ الراهن من خلال مبادرة سياسية . فهناك حاجة بالغة للبناء علي وقف إطلاق النار الحالي، والذي هو الأول من نوعه منذ بداية الانتفاضة منذ خمسة عشر شهرا . فلو أن هذا الفراغ لم يتم ملئه عبر مبادرة سياسية، فإن فرص نجاح رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون ستتعاظم مرة أخرى في استئناف المواجهات بين الجانبين . وبدون نهاية للحصار الإسرائيلي والقيود الأخرى، فإن السلطة الفلسطينية لن تكون قادرة علي الحفاظ علي موقعها وموقعها الحاليين .

**رؤية إسرائيلية: إطار بيريز - أبو علاء: " اختبار للقيادة "**

**يوري سافير**

رئيس مركز بيريز للسلام، وكان سابقا رئيسا للمفاوضين في اتفاقيات أوسلو وعضو بالكنيست تتسم عملية التسوية الإسرائيلية - الفلسطينية بأنها دائما تحمل في جنباتها العديد من التناقضات: قبول ورفض متبادل، رغبة في الفصل مع جمود في الاحتلال، حلول وسط ضرورية مع جمود تقليدي. واليوم أكثر التناقضات صارخة هي أن كل من الرأي العام الإسرائيلي والفلسطيني اجهدا من الصراع، ومدركين تماما أن لا شئ سوف يحل عبر القوة بل يقبلون اليوم الحلول الوسط القصوى التي كانت غير متصورة عندما بدأت عملية أسلو.

فغالبية الإسرائيليين اليوم، سوف يقبلون بدولة فلسطينية علي كل أو جزء من حدود ١٩٦٧، حتى لو تضمن هذا بعض الحلول الوسط حول القدس والانسحاب من معظم المستوطنات، فقط لو أنهم أدركوا أن الطرف الآخر سوف يضع نهاية للصراع، وأن هذا سوف يؤمن نهاية للإرهاب والعنف . في المقابل فغالبية الفلسطينيين سوف يناصرون التعايش السلمي مع إسرائيل واستئصال المنظمات الإرهابية مثل حماس والجهاد، لو أنهم اعتقدوا أن إسرائيل مستعدة بالفعل لمنح الفلسطينيين الاستقلال وإنهاء الاحتلال.

إن ما يجعل الصراع حي بل وخطير ليست المواقف المتطرفة للغالبية من المجتمعين، ولكن الشك المتأصل حول النيات الحقيقية للقادة من الطرف الآخر. فالفلسطينيين يعتقدون أن السلام بالنسبة لإسرائيل هو وسيلة أخرى لاستمرار الاحتلال . ولعظم الإسرائيليين فإن سلام الفلسطينيين يعني فقط

استمرار الصراع وتنفيذ حق العودة.

فبمجرد وصول الطرفين بالفعل إلى الاستنتاجات الصحيحة حول مواقفهم الأساسية، تتحطم هذه الاستنتاجات علي صخرة الشك غير المنطقي بصدد الطرف الآخر . هذه هي بالتحديد النقطة التي يحتاجها القادة، وهي خلق معبر من الثقة . هذه هي بالتحديد نقطة الوصل التي بسببها الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون يفقدون فرصة تاريخية عظيمة في الوقت الراهن . فبدلا من تشويه القيادة الأخرى، عليهم البدء بحوار لخلق الثقة المطلوبة، حيث أنه لا شئ سوف يحل عبر الصراع ونحن الاثنين نفرق في وضع لا طائل منه. اليوم، ظهرت فرصة جديدة، وهي تفاهم بيريز - أبو علاء، والذي يخلق الإطار الضروري للعملية السياسية، والقائم علي القضاء علي الإرهاب وإعلان الدولة الفلسطينية، بالتوازي مع بدء المفاوضات حول قضايا الوضع النهائي في إطار جدول زمني محدد مدعوم من المجتمع الدولي . لو أن شارون وعرفات (إلي جانب الأمريكيين المشتركين في الحوار) لم يستخدموا هذه الأطر كأساس لإعادة الحوار بدلا من الحل بواسطة القوة، فإنهما لن يعكسا الحاجة من منظور شعوبهم بل رغبة الأصوليين.

هكذا سيحكمهم شعوبهم، بل والتاريخ، فلو أن كليهما أو احد منهما تم قيادتهم بواسطة الخطاب الشعبوي أو الديماغوجي، فإن السلام التاريخي الضروري سيتم فقده، فإن إسرائيل ستهزم بواسطة احتلالها للأراضي الفلسطينية، والفلسطينيون سيهزمون بواسطة تسامحهم مع العنف الأصولي.

إن " اختبار بيريز - أبو علاء " لا يتعلق فقط بكيف يمكننا العيش جنبا إلى جنب، ولكن أيضا كيف ستكون هويتنا المستقبلية . أن القيادتين وأصدقائنا الأمريكان عليهم الإجابة علي هذه الأسئلة القائمة علي الطرح الواضح الموجود بالفعل، خلال الأسابيع القادمة.

**رؤية فلسطينية: الوهمي في الحل السياسي**

**حسن عصفور**

وزير المنظمات غير الحكومية في السلطة الفلسطينية وعضو المجلس التشريعي الفلسطيني نجح رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "أيهود باراك" كما لم ينجح احد من قبله، حتي القيادات اليمينية، في تحطيم البنية الأساسية لعملية التسوية ودفع إسرائيل تجاه التطرف السياسي . في نفس الوقت الذي نجح فيه في تحطيم معسكر السلام داخل إسرائيل، وتحويله إلي معسكر للمستسلمين، يدافع فقط عن نفسه بدلا أن يدافع عن مستقبل إسرائيل . وبعدها جاء آرييل شارون، الذي أعاد ما فعله باراك.



هنا أرغب في الإجابة علي سؤال: هل من الممكن في ظل الحكومة الإسرائيلية الراهنة الحصول علي تسوية تاريخية تقوم علي حل سياسي للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني يتضمن دولة فلسطينية في حدود يونيو ١٩٦٧ والقدس العربية كعاصمة لها وحل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين؟

بكل بساطة، فإن الجواب هي النفي، وأنا هنا أصر علي أن إجابتي بالنفي لا تقوم علي أساس أننا لا نحب شارون ورفاقه العنصريين.

بل أن استنتاجي هذا قائم علي أساس معرفة وتحليل رؤية شارون سياسيا وأيديولوجيا، كما أنها قائمة أيضا علي أساس أن السلام الحقيقي والذي يحتاج إلي مؤازرة كي يعيش ، ويجب أن تتوفر له عدد من الأسس. هذه الأسس قائمة في القرارات الدولية والقانون الدولي وهي الأسس التي وافقت عليه القيادة والشعب الفلسطيني منذ سنوات عدة.

في هذا السياق، قد لا يكون هناك ضرر من إعادة التذكير بهذه الأسس :

المبدأ الأول : الإنهاء الكامل للاحتلال الإسرائيلي لكافة الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ داخل أراضي ٤ يونيو بما فيها القدس العربية.

المبدأ الثاني: إنشاء الدولة الفلسطينية علي هذه الأراضي جنباً إلي جنب إسرائيل، وليس علي حسابها. فيجب أن تكون الدولة الفلسطينية دولة حقيقية علي الأرض، تتمتع بسيادة كاملة وتحترم الاتفاقات والبلدان المجاورة.

المبدأ الثالث: الحل العادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين ، علي أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤، وهو المبدأ الذي تحول عبر بعض الإسرائيليين إلي "فزاعة" لإرهاب وتخويف إسرائيل من الوصول إلي حل سياسي. فبالنسبة لنا فإنه ليس بأي حال شرك لابتلاع إسرائيل ، إلا أنه باب يجب العبور منه من أجل الوصول إلي نهاية لقضية أساسية. فأنا لا اعتقد أن أي من المفاوضات التي تمت أعطت المفاوضين الإسرائيليين فكرة أننا نريد ابتلاع إسرائيل. فنحن لسنا بالسذاجة أو بالفباء للعب لعبة الأطفال "الاستغماية".

المبدأ الرابع: وهو مبدأ معقد ومتشابك، وقائم علي نفي عقلية الهيمنة في كافة أشكالها، والقائم علي أن التسوية التاريخية هو حدث تاريخي وليس شعار تاريخي، وأن تدرك مكونات الحركة الصهيونية وبشكل خاص دولة إسرائيل، أن القوة العسكرية لن تنجح في تكسر إرادة الشعب الفلسطيني، مهما كان الدعم الأمريكي لها. فالعالم أرق من الاحتلال ولن يقبل أكاذيب المحتل.

المبدأ الخامس: أن علي دولة إسرائيل أن تدرك أن الشعب الفلسطيني يرغبون في السلام (أكثر من أي شعب آخر في العالم)، وأن قرارهم هذا قرار استراتيجي وليسوا مجبرين عليه. حتى في أوقات المواجهات السياسية أو العسكرية ضد الاحتلال. فنحن مستمرون في الإيمانه بأن السلام والتعايش في إطار دولتين علي الأرض التاريخية لفلسطين هو الحل النهائي. وليس نوع من المراحل ولكن نهاية تاريخية.

هل تقبل إسرائيل هذا الحل؟ هذا ما علينا أن نثبته الآن، فإسرائيل لم تعلن بعد أنها تخلت كلياً عن طموح الهيمنة، فهي لم تعلن بعد تخليها عن احتلال الشعب الفلسطيني وأراضيها. فإسرائيل تظل دولة لم تعرف بعد ما تريده من المنطقة التي تعيش فيها.

من هنا، هل شارون وحكومته أو حتى الحكومة آتية ستخلفه قادرة علي وضع "رؤية سياسية استراتيجية" للسلام الحقيقي؟ هل إسرائيل ، كمجتمع، معد لهذه الرؤية؟ الجواب بوضوح هو النفي.

في الوقت الراهن، تقدم لنا القيادات الإسرائيلية أجندتها. باختصار، فهم يخبرونا: "الشعب الفلسطيني لا يجب أن يأمل في رؤية نهاية لاحتلال الأراضي التي تم أخذها في ١٩٦٧. ولا سبيل لرؤية القدس العربية كجزء من أرضك الوطنية. فأنتك لن تري ، خلال حكومتنا أو الحكومة القادمة. بالإضافة إلي هذا كله، فإنه يمكنك أن تتسي للأبد أي حل عادل لقضية اللاجئين "هذه هي مكونات الرؤية الإسرائيلية للحل السياسي.

وفي التوازي مع هذه الرؤية، فإن الحكومة الحالية التي يقودها شارون تبرز دورها السياسي بتحطيم الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني وللوهية الفلسطينية ، حيث لو رفضنا هذه الإجراءات سنصبح "إرهابيين" أو في بعض الأحيان "معادين للسامية" فالحكومة الإسرائيلية تخبرنا انه علينا أن نقبل ما تريده.

لو أننا لم نقبل الاحتلال ، فإنهم يقولون أننا نريد تحطيم إسرائيل ، لو أننا لم نقبل بقاء القدس تحت سيادتها فهذا يعني أننا ننكر حقوقهم الدينية. لو أننا لم نقبل مستوطناتهم داخل أرضنا المحتلة، فسنعتبر أننا ننكر تاريخهم. ولو أننا لم نقبل إرهابهم وقتلهم لشعبنا فإنه هنا نحن ننكر عليهم حق الدفاع عن أنفسهم.

علي الرغم من هذا فإننا لم نفقد بعد إيماننا بالسلام فإننا سنقاتل بكافة الوسائل بجانب أي إسرائيلي يرغب في الحياة علي أسس السلام الحقيقي، يقبل أننا لا يمكننا أن تولد علي الأسس التي تطرحها القيادة الإسرائيلية الحالية.

## ضيوف على دولة اليهود

ملحق هآرتس ١٩٩٦/٩/٢٧ - بقلم: يغال ماشيياح

أموت في هدوء .  
أنت تفهم بالطبع، الكنيسة الألمانية البروتستانتية استسلمت لهتلر وجدتي لم تسامح البروتستانت أبدا علي هذه السقطة، رغم أن زوجها، جدي، أعيد بعد الحرب بكل احترام وتبجيل إلي طائفته ومكانته. لقد افتقدت الكنيسة البروتستانتية الألمانية قساوسة شرفاء. كانت أُمي تقول دائما أنه بفضل أختين لجدي تزوجتا يهود، اعتبروا في الطرف الثاني.

لقد جاء رينتسر إلى إسرائيل باعتباره مسيحيا مؤمنا، ليس من أجل الأماكن المقدسة بل من أجل الانطباع الشعوري لرؤية كيف يعيش مسلمون ويهود رغم دينهم في نهاية القرن. ويعتقد القس رينتسر "أن إقامة دولة إسرائيل، هو أكثر الأحداث إيجابية وأهمية في القرن العشرين". وهو يحذر من أن ذلك ليس علاجا، ويذكر "قس يسوعي، لا يعمل كقس كاثوليكي عادي. أنا أعيش بين طائفة وأحرص علي العمل والمنح، لكن تلك ليست طائفتي. ليس لي كنيسة تجتمع بها الطائفة يوم الأحد لأبثهم مواعظي".

لقد أخذ هذه النظرية معه في رحلته إلى إسرائيل. أراد أن يفهم المكان. فالآثار والدروس لا تغنيه كثيرا، ولكن كان من الصعب أن يجد شركاء له في الانطباع. "إنني أسكن في نزل للشباب في القدس، مقر مسيحي للحجاج، قساوسة، أساتذة في اللاهوت. جميعهم هناك يعيشون في عالم روحاني ما، نقي، منعزل تماما عن الحياة اليومية. ليس هناك من أتحدث إليه. لقد التقيت بمتدينين يهود وتعجبت كثيرا، أنهم مجموعة من الناس في نهاية القرن العشرين مازالوا يقيمون بورع ودون وساطة شرائع الدين. لكن لا أجد من أتجاوز معه. المسيحيون الطيبون في نزل الشباب لا يتعاملون مع

قس ألماني، مُعلّمة صينية، وفيزيائي مسلم من تركيا يدرسون في استوديو (ورشة عمل) بالجامعة العبرية. ما الذي عرفوه عن إسرائيل قبل مجيئهم؟ وما الذي يعتقدونه عنها الآن؟ إنها دعوة ثلاثية للمعرفة.

فيليب رينتسر، قس ألماني، يقول أشياء تُثير الغيظ بابتسامة هزلية تصدر عن طفل شقي. "هناك مسيحيون ممن ينتقدون إسرائيل بسبب وضع الفلسطينيين" - يتحدث القس من خلال ابتسامة خفيفة "لكن تحت الاحتجاج المسيحي هذا تختفي معاداة معروفة للسامية". ويبدو رينتسر في بنطلونه الجينز وبلوزة تريكو كطالب في ستوديو للطلاب الأجانب في الجامعة العبرية. "هناك قساوسة يسوعيون يرتدون مثلي، ملابس مدنية. هكذا ارتدي أيضا مع طائفتي في باريس". وبهذه الصورة أيضا يقدم نفسه في إسرائيل: "قس يسوعي من باريس".

أنت بالفعل قس ألماني يسوعي، ولدت في ألمانيا وتعلمت في ألمانيا. ولكن أين اختفت ألمانيا؟ رينتسر يعود إلى نفس الابتسامة الماكرة: "كيف تريدني أن أقدم نفسي؟ - صباح الخير، اسمي فيليب، قس يسوعي ألماني، لكنني علي ما يرام، عائلتي كانت محل مطاردة من قبل النازيين أيام الإبادة". يواصل رينتسر دون أن تفارقه الابتسامة "في ألمانيا لم يعد أحد يهتم بتفاصيل ما جري، خاصة الشباب. كل شئ طواه النسيان، لا ينبشون وراء أحد. أما بالنسبة لنا في العائلة، فالأمر كان دائما مختلفا، خاصة أُمي وجدتي. منذ بدأت أتذكر وهم يقسمون ألمانيا إلى نازيين وغير نازيين. عندما أوشكت جدتي علي الموت أرسلوا إليها، حيث كانت في مصحة لكبار السن، قس بروتستانتية. طردته جدتي بصرخات مروعة، ابعدوا هذا النازي من هنا، ودعوني



متدينين يهود، والعلمانيون عندكم يسخرون منهم، والمتدينون عندكم لا يتحدثون مع قس مسيحي عن اليهودية والمتدينين فيها. والنتيجة؟ عزلة كبيرة".

صورة إسرائيل طبقاً لفيليب رينتسر، الدكتور في الفلسفة، والقس الذي يرتدي الجينز، لا تسعد الإسرائيليين العلمانيين، يقول: "الأوروبيون فخورون إلى حد كبير بفصل الدين عن الدولة" - وبإتسامته الخفيفة يواصل - "هذا الفصل أصبح اتفاقاً اجتماعياً، ورمزاً لتقدم سياسي. هنا في إسرائيل، في القدس بصفة خاصة، يبدو أن الفصل بين الدين والدولة مازال بلا حل، وهذا الصراع يجعلني مندهشاً.

بالنسبة لي فهو شئ مفرغ للغاية.. وبالنسبة لي مذهش وعجيب، علي الأقل كظاهرة، كمادة لدراسة فكرية..

القس رينتسر خبير بالفعل في رمزية شارع بار إيلان، لكنه لا يريد أن يعرب عن رأيه. أنه موضوع يهودي داخلي في رأيه، ورغم ذلك فلا يستطيع أن يخفي انفعاله مما يحدث في مسيرات يوم السبت. يهود يحتجون ضد يهود، وبشهادته فإن ذلك تغتأ دينياً ليعود وسيطر علي حياة العلمنة كما كان الحال في قرون سابقة. "في أوروبا أصبحوا علي ثقة بأن تداخل الدين والدولة هو أسلوب الحياة في العصور الوسطي، وأنتم تحاولون إعادة ذلك إلي حياة القرن العشرين".

لسنا جميعاً، لأن هذا يفضب جداً الكثير منا.

"نعم، أنتم غير متسامحين هنا".

وللتدليل، أورد رينتسر عدة قصص شخصية من واقع حياته في القدس.

في أحد الأيام قابلت في الأتوبيس يهودياً لطيفاً. لم يقدم رينتسر نفسه كمسيحي،

"حتى أطيل فترة اللطف التي يبدونها لتتكلم وتتبادل الحديث". لكن عندما بدأ الاثنان يمسان بموضوع ما وصل الأتوبيس إلي المحطة، ولم يتوقف رينتسر. نزل اليهودي، بعد أن ألح علي القس أن يأتي عنده لتناول العشاء. وكان القس متشوقاً إلي مزيد من التعارف علي الشعب، اشترى زهور وذهب. كانت الوليمة عامرة. ساد الحوار بينه وبين مضيفيه دفء مقدسي تقليدي إلي أن سمعت ربة البيت أن الضيف من باريس.

"من باريس؟ لماذا لم تقل. عندي شابة رائعة يمكن أن تتعرف عليك في باريس"، ولمزيد من الاطمئنان أضافت السيدة: "فيليب أنت يهودي طبعاً". قال رينتسر: "للأسف، أنا قس يسوعي". منذ هذه اللحظة تغيرت الأمسية وضعف الحوار وبات الجميع يتجنب إظهار شعور الرفض والتجاهل. وتولد لدى القس شعور بأنه دون أن يعرف قد أساء إلي مضيفيه الطيبين، بأن خدعهم. "في القدس أشعر أنه لكي أكون علي خلق يجب أن أسارع وأقدم نفسي كمسيحي".

=ولماذا يرتبط ذلك بالاستقامة أو الأخلاق؟

- لأنه كما أبدو، شاب يرتدي الجينز، يمكن الاعتقاد بأنني يهودي أمريكي أو أوروبي، وفي مدينة كهذه فالأمر غير لائق. لذلك فأنا لا أعرف نفسي في بداية المقابلة. فذلك سخف، والتزمت وساتل مبتكرة لحث الآخرين علي التحاور. ومن اللحظة التي أبدو فيها علي حقيقتي كمسيحي يتغير الأمر، وإذا كنت مسيحياً في إسرائيل، فأنت موسوم. جميعهم لطفاء معك، ثقافياً، لكنك موسوم، ضيف لا أكثر. وأنا احترم ذلك ولكن من الصعب أن تكون ضيفاً طوال الوقت".

في إحدى الأمسيات دُعي رينتسر لزيارة أحدهم. قال المضيف: "نحن علمانيون ليبراليون تماماً، لكنني مضطر للاعتراف بأنه إذا تزوجت ابنتي من مسيحي فستكون كارثة". ولم يفهم رينتسر جمعية الضيوف هذه "يدعونك إلي البيت بود وحميمية وبعد ذلك يستهزئون بك".

ولديه ذخيرة غنية من قصص عزومات إسرائيلية. عندما وصل إلي القدس تأثر ببرنامج الحلقة الدراسية. "كأنك في سلسلة مقابلات مفتوحة لكل مهتم باليهودية. عندما اتضح أنني مسيحي صُدموا جميعاً. لكنني يجب أن أوضح للفصل لماذا أنا مسيحي، وأنا مهتم بالموضوع. فالمرء لا يعتقد أن هناك أمراً ما يستحق الاحتقار".

"إنك تبدو لي محظوظاً"، قلت لرينتسر بعد انتهاء الدرس في الاستديو. وأجابني القس "أريدك أن تفهم ولأول مرة دون أي فكاهة، "أنت تأتي إلي إسرائيل بمشاعر حب ظاهرة تجاه اليهود واليهودية، تصطدم بتجاهل ورفض منمق وفجأة تجد نفسك داخل الصراع. أو أنك تقابل تجاهل مباشر أو لا تصادفه. بمنتهى البساطة. إذا كنت مسيحياً فأنتك معزول. وبصفة عامة، عزلة المسيحيين في إسرائيل تبدو لي كسياسة رسمية. الأديرة المسيحية معزولة تماماً في إسرائيل. الآثار المسيحية عليها حراسة ولا أكثر من ذلك. كل ذلك بعيد عن الحياة اليومية في إسرائيل. إنني علي ثقة أنه ليس هناك أمر رسمي: الأمر يبدو وكأنه سياسة غير مكتوبة، أن تتعزل الطائفة المسيحية، والإبقاء علينا في مستوي الضيوف، وحراس علي أماكن مقدسة وآثار تاريخية. فقط بعد ما وصلت إلي إسرائيل فهمت للمرة الأولى معني مقولة دولة اليهود".

الحمص هذا ليس طعام:

في المقابلة مع وانج يو، طالبة متدربة في الاستوديو من الصين، وصلت متأخرة. اعتذرت، وردت يو كذلك باعتذار مماثل، ربما بسبب شعور عدم الارتياح الذي سببته لي بدقة مواعيدها. وانج يو علي خلاف القس رينتسر، تعيش في عالم بلا عيوب أو أخطاء. وعندما أشرت إلي بعض نواحي قصور محتملة عندنا وفي الصين، أوجدت لها علي الفور مبرراً لائقاً. وانج يو لا تقول كلام حاد أو لاذع. بدأت بسرعة استشعر أنها مقابلة صحفية ينقصها شئ ما. بدأت بمحاولة الاعتذار

عن أسئلتي ولكن أدركت سريعا أن هذا التكتيك لا يلائم وانج لأنها بعد كل اعتذار أو إعراب عن أسف، كانت تسارع أيضا وتأسف هي علي أسفي.

وانج يو جاءت مبعوثة من قبل وزارة الخارجية الصينية للتعلم في مدرسة للطلاب الأجانب في الجامعة العبرية، "في بكين تعلمت أربع سنوات اللغة العبرية علي لسان معلمين إسرائيليين بدأت بالعبرية، حتى أقف علي ما تعلمته هناك" ردت علي بعبرية متدفقة، مثقفة، الأمر الذي أصابني بدوار.

= كيف تصورت إسرائيل وأنت بالصين؟

- تصورت في مخيلتي بلدا جميلا، متطور للغاية، بها مشكلات كثيرة واختلافات بالرأي داخل الشعب، بين فئات الشعب نفسه.

= وكيف وجدتها؟

- وجدت بلدا جميلا متطورا جدا وبه الكثير من المشاكل.

= ألم تجدي أي فارق بين الصورة والواقع؟

- ترددت وانج يو. لا بأس في إسرائيل الجميع مهتمون بالسياسة.

= وفي الصين؟

- في الصين ليس الجميع معنيون بالسياسة.

= لأنه موضوع حساس في الصين؟

- لا، لأنه بعيد عنا.

= كان لدي انطباع، بناء علي ما حدث في ميدان تيانانمن، أن الطلاب الصينيين بالذات نشطاء جدا في السياسة، لدرجة أنهم مستعدون لتعريض حياتهم للخطر.

"يمكننا أن نعبر عن رأينا" أوضحت وانج يو بابتسامة غير مفهومة، لكن ذلك لا يفيد. طلاب القانون ربما يهتمون أكثر بالسياسة. بالنسبة لطلاب لغات أجنبية فالسياسة أمر بعيد عنهم، غير مفيد.

= ما معنى غير مفهوم؟

- "أن لا طائل من ورائه" قالتها وانج بعبرية طليقة.

= هل تشعرين بحرية في إسرائيل؟

- بمنتهى الحرية، طبعا إسرائيل بلد الحرية.

= وفي الصين؟ سألت، ومن تعبير وجهها فهمت أنني تجاوزت كل قواعد الضيافة واللباقة.

"لكل مواطن صيني حرية تعبير، ولكن لا يجوز أن تضر حرية التعبير بمصالح الدولة، فالحرية لها حدود".

= وما هي هذه الحدود؟

- وانج يو تستعين بمثال: "قرأت مقال عن شاب إسرائيلي أفشى لصحيفة أجنبية أسرار دولة إسرائيل لا أتذكر اسمه".

= موردخاي فانونو؟

- نعم، فانونو، تضحك وانج يو، "أتري، في إسرائيل أيضا هناك حد للحرية. يجب أن نأخذ الدولة في الاعتبار".

وانج يو، معلمة في قسم دروس اللغة العبرية في جامعة بكين وقد بعثتها وزارة الخارجية الصينية، وتقوم دولة إسرائيل والجامعة العبرية بتمويل مدة إقامتها: راتب التعليم، السكن، ومصاريف الإعاشة. لقد توقفت يو عن الخروج بانطباعات من التصرفات الإسرائيلية.

الجميع متسرعون هنا، يسعون إلى هدف ما. في الصين المعلم قريب من التلميذ ويهتم بحياته الشخصية، في إسرائيل يعلمون فقط من أجل التعليم، كل شيء عن بعد. وهي تفتقد أيضا البشاشة الصينية، خاصة في الشارع، حتى البائعين في المحلات يعملون بفضب، بلا ابتسامة. وانج تتعجب، وفورا تتبته للانتقاد الذي تبديه. لا أقول أن هذا ليس علي ما يرام، ولكن لو يبتسم البائعون أكثر، عموما، جميعهم يدورون ويلفون في إسرائيل بنوع من الغضب أو الهياج أو التوتر، وكأنهم في سبيل القيام بمهمة عاجلة، وما من شيء يوقفهم.

وعندما قالت أنها تفتقد بالأساس الأكل الصيني في إسرائيل، أوضحت لها أن الحمص يدخل في إطار الأكلات الصينية، فأصرت علي أن الحمص ليس أكلا صينيا، بل يدخل في تحضير أنواع أخرى من الأطعمة. سكاكين وقنابل:

عندما هبط عبد الكريم بلجي في مطار اللد أحاطوه بإجراءات سريعة. دققت الشرطة في جواز سفره، ثم في وجهه، طلبت منه أن ينتحى جانبا وينتظر. بعد ذلك حضر شخص كئيب، أخذه إلى حجرة جانبية وبدأ تحقيقا عابرا. من أين جئت؟ قابلت من في الطريق؟ ما هي ميولك وآراؤك السياسية؟ ولماذا يرغب فيزيائي تركي مسلم متدين في تعلم العبرية في القدس؟

أصبحت نموذجا مناسبا للمسافر المتهم أو المشكوك فيه، يوضع بلجي بتسامح. "مسلم، شاب يتحدث الإنجليزية، له وجه أوروبي. بمجرد أن عبرت فحص الجوازات وهم يطاردونني بالضبط كما حذروني في بلدي".

عبد الكريم بلجي، خريج جامعة البوسفور، حاصل علي الدرجة العلمية الأولى في الفيزياء، يرغب في أن يحقق الرسالة الإنسانية للإسلام، لذلك جاء لإسرائيل، حتى يساهم بشيء ما في ملتقى الأديان الثلاثة. وقد تم قبوله لدراسات الشرق الأوسط بالجامعة العبرية ولدورة كورسات كاملة في الدراسات الدينية. في الصيف تعلم يجد ومثابرة بالحضور. في الاستوديو تعلم العبرية التي تدرس في المدارس للطلاب الأجانب. وبعد أن قضى شهرين في القدس فإنه مازال يشعر بالفجوة بين ما قصّوه عيله في تركيا عن إسرائيل وبين إسرائيل التي لقيها.

"قالوا لي أنتي سأعيش هنا بين سكاكين وقنابل. إنني اشعر في القدس بأمان أكثر مما في اسطنبول. قالوا لي سأكون هنا غريبا طوال الوقت، فوجدت هنا تسامحا دينيا أكثر بكثير مما في تركيا".



= ألا تبالغ ؟

- أنت لا تعرف أن المسلمين مثلي مطاردون في تركيا ؟  
= اعتقدت أن العملية تحولت وأن الدين عاد لتركيا، مع وجود حزب إسلامي في السلطة ؟

- في تركيا هناك معركة دائمة بين العلمانيين والدينيين، ومؤسسات السلطة، كالجيش والجامعات يحاولون تجنب ذلك. عندما طلبت الحصول علي درجتي العلمية الثانية في جامعة البوسفور رفضوني، فقط لأنني مسلم. لم يكن هذا هو السبب الرسمي، لكنه كان السبب الحقيقي. وها هنا في إسرائيل، دولة يهودية، يقبلونني كمسلم متدين من تركيا كي أنهي دراسات الدرجة العلمية الثانية. أليس ذلك عجيبا ؟

لقد شعر بلجي في الدوائر الأكاديمية العلمانية في تركيا أنه ينتمي إلي أقلية محل ملاحقة". في هذه الدوائر يعتبر كل مظهر ديني في الحياة اليومية مثار سخرية، مادة للتسلية والتكيت. الذقون والشوارب مثلا تعتبر في تركيا العلمانية رمزا بدائيا. ولا يرد في ذهن أي شخص في دوائر النخبة المثقفة أن يربي شاربه أو ذقنه. هذه الظاهرة لا أجدها هنا، فالمثقف أو رجل الدولة يمكنه أن يربي ذقنه أو شاربه كيفما يشاء.

عبد الكريم بلجي يحبنا. أغلب الوقت يتحدث وكأنه مبعوث علي مستوى عال للوكالة اليهودية. "تصورت إسرائيل علي صورة الطائفة اليهودية في تركيا"، وضع يده علي الألم، انعزاليون، متحفظون، معنيون فقط بأنفسهم وبالمال، لا يظهرون أي اهتمام بالبلد الذي يعيشون فيه، غرباء في تركيا. الطائفة اليهودية في تركيا تصدر جريدة، فقط للمشاركين. اشتركت فيها. وما الذي وجدته في هذه الجريدة؟ مجرد حكايات وأخبار عن حياة الطائفة اليهودية، أشياء تعني الطائفة وحدها، ليست بها ولو حتى كلمة عن البلد الذي يعيشون فيه. طلبت ذات مرة أن أكون مدعوا علي الطائفة اليهودية ليلة السبت ونهاره، أن اذهب مع إحدى الأسر إلي الكنيس واشترك معهم في استقبال السبت. فرفضوا.

في يوم صلاة الاحتجاج التي حضرها ياسر عرفات في المسجد الأقصى ذهب بلجي للصلاة. اعتقدت شرطة حرس الحدود انه يهودي. بعد أن فحصوا جواز سفره سمحوا له بالدخول، دون أسئلة أخرى. أما الحراس العرب بالذات فقد عاملوه بشكل مختلف. فقد بدا لهم انه أوروبي، له ملامح يهودي اشكنازي. وطلب منه أحد الحراس جواز سفره. لكن ذلك لم يقنع الآخرين. وفي هذا المأزق بدا يتلو عليهم آيات من القرآن. عندئذ فقط أدخلوه.

بعد حوار طويل بدا لي عبد الكريم بلجي كأصولي مسلم في إطار إنساني، رجل التحولات. ولكن اتضح أن بلجي قد اصطدم كذلك بجوانب لا تقل سوءا في الحياة بإسرائيل.. في الشارع عندما يسمعون أنني من تركيا، يتوقفون ويبدأون الغناء لي بالتركية "أوستمام بيجام"،

تعلمت أن اصبر علي ذلك. لم أسمع في تركيا أبدا مثل هذه الأغنية. وهنا سجلوها علي ما يبدو، من أحد إعلانات الصابون علي قنوات تركية فضائية. (الأب يريد تزويج ابنته لكنها تريد الزواج من حبيبها) هكذا تقول الأغنية، فأوستمام بيجام بالتركية تعني أبي لا أريد. قوانينكم حديثة لكن قسما من الإسرائيليين يعيش في قرن آخر. السفارديم لديكم مازالوا يعيشون في تركيا العثمانية. صحيح كنا نحن الأتراك كذلك هناك، ولكن تغيرنا. أما السفارديم لديكم فلم يتغيروا. ربما تلك هي تهمة إسرائيل الاشكنازية فيبدو أنكم لا تريدون لهم أن يتقدموا.

= لم تقض فقط سوي شهر في إسرائيل وها أنت قد تأثرت بشرائط الكاسيت؟

- تأثرت في الطائرة وفي الطريق هنا، تحدثت مع يهودية واحدة نصحتني ألا افصح عن أنني تركي. بهذه الجبهة البيضاء مثل جبهتي، أوضحت لي، يمكنني أن امضي باعتباري يهودي اشكنازي. هذا افضل في إسرائيل. في تركيا اعتقدت أنكم تمثلون الحداثة، الأمر لم يكن هكذا بالضبط، ركبت الأتوبيس، السائق المسكين نسي الوقوف في محطة، كادوا يقتلونه، أي عنف هذا، طبعا ظلت صامتا مذهولا، كل ما في الأمر أن المسكين نسي أن يقف في محطة. وفي المحطة التالية وقف بالطبع. نزل الركاب وهم مازالوا يسبونونه ويشتمونه ملوحين بحركات بأيديهم.

في متحف تل أبيب رأيت مجموعة نساء يجلسن للراحة علي تماثيل معدة وكأنها مقاعد، حتى جاءت المرشدة وطردهن بعد أن عنفتهم. في الحدائق العامة يتبولون، أمر عادي. لقد رأيت أمهات شابات يقمن بتعرية أطفالهن الصغار ويساعدونهم علي التبول علانية. القدس العربية تمتلئ بالأوساخ. حتى لو افترضنا أن العرب قذرون، لماذا لا تنظف البلدية هناك كما تنظف في القدس اليهودية؟

= ضيف مسلم يتحدث هكذا عن العرب؟

- الشيء الوحيد المشترك لنا مع الغرب هو الدين. من الصعب أن يتقبل الأتراك حقيقة أن محمدا النبي كان عربيا. فدائما يحاولون إلباسه شيئا تركيا ما، لكنها خزعبلات. محمد النبي كان عربيا.

= ما الأمر عندما تعود لتركيا بدرجة أكاديمية من جامعة إسرائيلية؟ تقول أن المؤسسة هناك تتكرر للمسلمين.

- هذا صحيح، ولكن من ناحية أخرى، فالمؤسسة الرسمية توهق وتقدر إسرائيل تماما. فدرجة علمية من إسرائيل ستكون جواز مرور بالنسبة لي. كما أنني أمول دراستي وإقامتي في إسرائيل بمالي الخاص. فضي المستقبل عندما يعلو شأن الإسلام ويبدأون بالتحري وراء كل فرد، أريد أن يكون واضحا أنني لم احصل علي درجتي العلمية الثانية بأموال من دولة إسرائيل.

## الخط الأصفر

ملحق هـ آر تس ١٩٩٧/١/٢٤ - بقلم: جدعون ليفي

رجال الشرطة والجنود الإسرائيليين يملأهم الضجر وهم يبللون خبزاً مقطّماً في مزيج غير واضح ، يبدو أنه غدائهم .

ومن شرفة مبني السلطة قال عرفات : " حررنا الخليل بعد أن كان ٢٠ ألف نسمة من سكان المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلي . في شارع الشّهدا القريب طوى طفل فلسطيني صغير علمه عندما مر راكباً فوق دراجته بين المستوطنين وجنود كثيرين ، وعندما تبين الطفل أن مصوري العالم يصوبون كاميراتهم نحوه قرر أن يضع روحه علي كفه ، فرد العلم وركب دراجته وانطلق بأقصى سرعة وسط الشارع ، وخلال دقائق اختفي في إحدى الحارات في منطقة H-1 التي يمكنه فيها السير بأمان وفخر رافعا العلم بألوانه : الأحمر - الأسود - الأخضر فوق دراجته . عندئذ ظهر شاب مستوطن في شارع الشّهدا ، ونزل إلى نهر الشارع باتجاه الميدان وعلم إسرائيل في يده . ويبدو لي أن الطريقة التي مشي بها ملوحاً بالعلم كانت أكثر تردداً وأقل غروراً .

خط أصفر أرشدنا إلى طريق مبني السلطة في المدينة التي تتسم بالضجيج والزخرفة ، كان جيش الدفاع الإسرائيلي قد وضعه كعلامة على طريق الهرب والإنقاذ في المدينة الدموية : وهو ممتد على طول الطرق في بعض شوارع المدينة وحواريها ، ويؤدي من كل مكان إلى مبني السلطة . والآن الخط باهت اللون .

بالقرب من واجهات محلات قطع الأثاث البلاستيكية التي تحتوي مئات الكراسي عديمة المسند هناك سلعة جديدة : عدة أعلام فلسطينية .

" هذا الأسبوع هبط ياسر عرفات من السماء علي سكان الخليل، إلا أن الفرجة لم تتجاوز أسفل مبني الإدارة . وفي الوقت الذي أعلن فيه تحرير المدينة ، مر طفل فلسطيني في شارع الشّهدا القريب دون أن يلوح بالعلم - خوفاً من المستوطنين ورجال الشرطة والجنود الإسرائيليين " .

هناك ما هو أكثر من القوة في الزعماء الذين يهبطون من السماء . لدقائق طويلة دارت وحلقت طائرتان مروحيّتان في سماء المدينة أخذتان في الهبوط رويداً رويداً في شكل دائري وأخذ صوتهما يتخافت ، حتى أصبحت الصورة واضحة . فبينما كانت الهليكوبتر معلقة فوق رؤوس الجماهير انطلقت الزغاريد والأهازيج تسجل مظاهر فرح بالمدينة وروح معنوية عالية وقامات منتصبية علي الأقل للحظة واحدة : لحظة الهبوط .

هبط ياسر عرفات هذا الأسبوع علي أرض الخليل ، علي أسفلت المهبط المجاور لمقر السلطة . فحتى وقت غير بعيد كان عمداً جيش الدفاع فقط هم الذين يهبطون هنا . وقبل عدة دقائق من الهبوط ، غسل رجال إطفاء المدينة المهبط وأبعدوا عنه التراب بخراطيم المياه مخلفين وراءهم بركاً من الطين . ولكن الآن ، ودون علامات تميز الهليكوبتر الرئاسية ودون سجادة حمراء ، ينزل عرفات من الهليكوبتر، ينتقل إلي المرسيدس ، وبينما يظهر من سقفها تمضي السيارة وسط الجمهور الذي كان برمته من اتباعه إلي مدينة ينتمي غالبيتها فقط إليه . في نفس الوقت ، في ميدان جاروس "علي بعد عشر دقائق سيرا علي الأقدام من مكان الاحتفال ، جلس بضع عشرات من



لم يكن هناك طابور مشتريين . كانت أيام شهر رمضان ، والخليل الدينية تستعد لوجبة الإفطار التي تقام يوميا حوالي الساعة الخامسة عند أذان المغرب . في هذه الأثناء ، تملأ الطرق المؤدية لمبنى السلطة صفوف فتيات المدارس . كان اليوم باردا ، وهن يمشين بسرعة بفساتينهن الخضراء المقلمة وبأحذيتهن السوداء . وظهرن بعد ذلك أيضا ، بزحام عند مكان عرفات ، كبقعة في بحر من الرجال .

في الساحة المقابلة لمبنى السلطة يستعدون لمجيء عرفات وكان الضجيج والزحام كثيرا . وجاء بيان من شرفة المبنى يعلن أن الطفل حسين محمود يبحث عن والده . ظل يبكي وآثار البرد ظاهرة علي خديه ، وأخذ ينتقل من شرطي إلي آخر وهم لا يعرفون ماذا يفعلون به ، حتى ظهر أبوه فابتسم حسين ابتسامة سعادة وارتياح . كانت هذه الابتسامة في تصوري هي الابتسامة الصريحة الوحيدة التي رأيته في ذلك اليوم بالخليل .

عواجز جبل الخليل ، بعضهم من البدو ، يتذكرون . بينما هم جالسون علي الكافيتريات والمقاهي القريبة من المبنى ، يرسلون نظرات غير مكرثة علي ما يحدث . أنهم شاهدوا الكثير في حياتهم : هذا المبنى بناه المستعمرون البريطانيون قلعة مسورة ، بقع الصدا تنتظم عليها ، الطابع الإرهابي يطوق أبعادها : الهوائيات ، المداخل ، وصهاريج المياه السوداء فوق سطحها تضيف إلى رصيد كآبتها . العواجز يوجهون نظرهم : ها هنا كانت حجرات السجن وهناك شعبة التحقيقات التابعة لجهاز الأمن العام (شاباك) . وهنا ، انتظروا ساعات في طابور الحصول علي تصريح وهناك كانوا محبوسين . أمام مبني السلطة يقبع مبني من طابق واحد ، كان في السابق مكتب العمل المحلي ، وللعبور من مبني العمل لمبنى السلطة كان علي سكان الخليل الالتفاف حول المنطقة ، وهي منطقة سير محمية ، أما الآن فبوسعهم اختراق الطريق مباشرة عابرين إياه دون إزعاج من هنا إلى هناك في دقيقة واحدة . لقد تحررت الخليل .

أحد ضباط الشرطة ضخم الهيئة عابس الوجه ، بيده عصا حمراء ، يؤنب الأفراد الذين تحت إمرته . يبدو لي أن أي شرطي هنا ليست لديه خبرة بعد في تأمين الشخصيات . لذلك فالتوتر يتصاعد . اكتشاف : هناك حشد من أطفال الكشافة بالمدينة وشعارهم للعجب العجاب هو نفس الرمز أو الشارة التي يرتديها أطفال شبيبة أفيف "عندنا . وأفراد الكشافة الخليلية يمشون في موكب ، بطبولهم ومزاميرهم . الأحذية فقط كانت بالية وتشي أقدام بعضهم بالفقر الشديد .

سيارة إسعاف حديثة تابعة لبلدية بيت لحم . هدية من الاتحاد الأوروبي . تقف علي أهبة الاستعداد . لكن الجميع يعرفون أنه إذا حدث شئ لا قدر الله هنا يتسم بالخطورة فلن يكون أمام سيارة الإسعاف إلا تضليل من يستقلونها داخل حدود السلطة الفلسطينية . فالمستشفيات الحديثة توجد فقط في إسرائيل بعد ما يقرب من ٢٠ سنة احتلال إسرائيلي وسنتين حكم ذاتي فلسطيني . سيارات جيب من نوع "دفيندر لندروفر" تحمل جنودا مسلحين ، تخترق الجمهور وتضع ملصقات حتى علي نوافذها . والشعار الأجوف "أي جيش أجنبي لن يعبر نهر الأردن" تثير ابتسامة مريرة . "هذا المبنى يرمز إلى التعذيب والتحقيقات والاحتلال الإسرائيلي" هكذا قال مرافق الصحفيين المحلي لمرافقته الإنجليزية التي تسجل بجدية كل كلمة .

"أهلا بالخليليين ، أهلا بقسوات الأمن ، أهلا بالصحفيين ، أهلا بالسكان ، أهلا بأهالي القرى وأهلا بكل الموجودين في المكان وبكل من يسمعون بيان السلطة الذي بثه شيورام بينور علي القناة الثانية ويصفه بأنه "نشيد الحميمية لعرفات" . السكان المحليون يعرفون جميعا بينور . مراسل إخباري . ويكون له احترام . مستقبل مدينتهم يعرفونه جيدا ، انه مازال معلقا بما قيل في قناة بينور أكثر مما قيل في قناة رضوان عياش الفلسطينية ، الذي ظهر هو الآخر هنا اليوم . وقد سألت بينور متى في رأيه ستمتلئ من جديد زنازات السجن الكبير الموجود خلف هذا المبنى بمعتقلين فلسطينيين ، فحكى لي أن سجن الضهرية القريب من المكان لم يعد به مكان تقريبا . والجملة المحلية "كيفك .. بخير" لحياة أبو عمار ، هي النور في أعين فتيات وفتيان الكشافة كما ترجموها لي ، أنها تبث الحياة في الناس .

على المهبط المبلل ينتظر القوم : أغنياء المدينة ، ونبلاؤها وقادتها وعلي رأسهم جبريل الرجوب الذي أعلن راديو إسرائيل أنه انتقل ليسكن في المدينة . وبصرف النظر ، فستكون له فيها بالتأكيد أعمال كبيرة . كذلك صائب عريقات الذي يتمشى بالمهبط كعريس في يوم عرسه ويقترّب مرة بعد أخرى من طابور الصحفيين ليحروا معه مقابلة عبر شبكة أو أخرى .

علي جانب ، بقليل من الخجل ، يقف محمد ملحم ، رئيس بلدية حلحول المطرود : رجل قصير القامة ، يشبه ممثلي هوليوود الكبار ، بيده سبحة عنبرية . وكان رئيس بلدية الخليل المعزول فهد قواسمة قد مات في المنفى .

ومحمد ملحم الذي عاد يقف الآن مرتدياً بدلة أرجوانية ، علي هامش طابور الكبراء ، أربعة قضاة شرعيين يصعدون إلي مكان الانتظار بينهم واحد أعرج . يقول صديقي سامي سوكون أن بينهم تيسير التميمي رئيس المحاكم الشرعية في الضفة ، بالإضافة إلى رجل دين مسيحي بصحبة صليب عملاق جاء ليستقبل الزعيم .

تجاوزت الساعة الثانية عشرة ولم نر شيئاً في السماء ، علي أسطح المنازل يقف معظم الناس للتلويح ، كما رأينا في شارع بن يهودا في تل أبيب أيام العروض العسكرية في الخمسينيات والستينيات . في الساعة ١٢.٤٥ ظهرت الطائرات المروحية آتية من الشمال . أصوات وصفافير تصدر من الجمهور . مروحيتان بيضاوان لهم ، وواحدة داكنة لنا . عين الأخت الكبرى تراقب ، فحتى عندما حلقت المروحيات الفلسطينية فوق الجمهور وهبطت ، استمرت المروحية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي في المراقبة من أعلي ، والدخان يرسم علامة للطيارين باتجاه طريق الهبوط . سألت نفسي هل سيُقبل الأرض ، لكنه نزل ونقل بسرعة إلي المرسيدس ، ثم شق طريقه إلي مبني السلطة وسط الضجيج الذي تخلف حوله ، علي خلاف كل الاستعدادات الأمنية . وبالنسبة لمن لم ير عرفات عن قرب بقي الآن فقط ليحاول الوصول إلى إحدى المروحيتين تستقبله أكاليل الغار . أعضاء طاقم الطيران نظفوا في هذه الأثناء مقدمة المروحية الرئاسية ، في وضع استعداد للطلعة القادمة .

من شرفة مقر السلطة بدأ عرفات خطاب التحرير ، الذي بدا أكثر استرضاءً من خطبه السابقة . " نتانياهو سلام مضمون " هكذا كتب علي نافذة أحد أتوبيسات الخليل التي نقلت المستقبلين إلى هنا . " هناك شئ مختلف اليوم " قالها السائق محمد عبدان عند المعبر المتهالك . وصوت فلسطين يذيع علي الهواء خطاب السلام الذي يلقيه الرئيس بينما يلقي السائق عبدان خطابه الخاص عن السلام : إننا نستمع الآن إلي صوت فلسطين ، وكذلك صوت إسرائيل علي ما يرام ، لكن صوت فلسطين تخصصنا ،

أنهم في كريات أربع يشاهدون عرفات الآن . تصور . إنهم يشاهدون عرفات . نحن نريد السلام من كل قلبنا لكنهم (المستوطنين) لا يريدونه ، لقد جاءوا إلى الخليل من أمريكا ولم يكونوا سكانا هنا . أنهم ليسوا اليهود الطيبين الذين كانوا يسكنون هنا . أحيانا تمر فتاة منهم في السوق وبقدمها تضرب الخضار فتقلبه .

عملت في عدة مناطق ، لمدة خمس سنوات في بيت شيمش ، وعملت في عميدر ، استقبلت المهاجرين الجدد من روسيا ، جهزت لهم المنازل . قبل الانتفاضة ، كنت علي ما يرام مع السلطة وأقول لكل الإسرائيليين : الحرب لن تفعل أي شئ . الحرب نهاية العالم ، لا أكثر من طرف لديه القوة وآخر ليس بحوزته قوة . وإذا وضعت أمرا ما في رأسك - فأنت في النهاية تحصل عليه .

خمس دقائق سفر وينتهي العالم القديم . جنود جيش الدفاع يجلسون أمام حاجز عند مدخل شارع الشهدا ويفتشون العابرين ، الأمور تمضي كالعتاد . كل المدينة تواقفة للحدث والشهدا في وسطها خال . المدينة كلها مزدانة وهنا فقط صمت مطبق . كتبُ علي حاجز جيش الدفاع "ذئاب" جوارب عديدة سوداء وبيضاء معلقة لتجف فوق بيت هداسا . داخل القاعدة العسكرية القريية ونش عملاق تابع لشركة "بيت واحد" يضع خرسانة مسلحة ، في حين يقف المستوطن بن زيمرا في "ميدان جاروس" ينتظر إجراء مقابلة لمن يرغب في القيام بها معه .

عضو الكنيست بني ألون يقول بالإنجليزية لتليفزيون أجنبي انه بشكل شخصي يشعر بالخجل . " رئيس حكومة إسرائيل خيب أملنا ، لكن لدينا رئيس حكومة في السماء " ذلك ما قاله ابن النائب العام ، بينما الفلسطينيون الكثيرون الذين يعبرون الميدان يسرعون إلى وليمتهم الاحتفالية .

مستوطنة عجوز بطاقيّة صوف وبلكنة أمريكية ، صدمت زوجها منذ قليل سيارة أحد سكان الخليل ، تسب الشرطي الإسرائيلي لأنه تجرأ فأخذ متعلقات زوجها ، بينما الفلسطيني ينظر متعجباً .



## المسار الفلسطيني

هاآرتس ٢٠٠٢/١/٢  
مقال افتتاحي

## شارون ضد مبادرات الوفاق

في إجراء يفتقر إلى المنطقية، قرر رئيس الوزراء أريئيل شارون منع ممثل رئيس الدولة موشيه كاتساف أمام البرلمان الفلسطيني في رام الله. كان الرئيس سيعرب عن الأسف لموت ضحايا أبرياء من الجانبين ويعرض على الفلسطينيين هدنة لمدة عام، مع إمكانية مد العمل بها لعام آخر. ويقول اصحاب المبادرة بهذا الإجراء، إن روح الموضوع مقبولة لدى كاتساف ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات. ولكن الرئيس اشترط ذهابه بموافقة رئيس الوزراء. وما أن نشر هذا الكلام حتى رفضه شارون من أساسه.

ولا يمكن تفسير ممثل رئيس الدولة أمام البرلمان الفلسطيني إلا كمبادرة وفاق فالرئيس ليس بمسؤول سياسي ومثوله لا يعني تغيير في سياسة الحكومة. وليس في الاقتراح المطروح ما من شأنه المساس بالمواقف الأساسية لإسرائيل. فالاتجاه إلى الجهاز المنوط سوف يؤتي ثماره - سواء بتعزيز ظاهرة وقف إطلاق النار وتشجيع المسار السياسي أو في خلق شرعية متبادلة وإزالة الكراهية التي تغذي الأعمال العدائية.

إن رفض شارون لهذه المبادرة يضاف إلى سلسلة من الخطوات التي اتخذها حتى يؤكد رأيه القائل بأن (عرفات غير مؤثر): مثل منع زيارة عرفات لبيت لحم واحتجازه الطويل في مدينة رام الله، والنظرة

الرافضة لمحاولات شيمون بيريز مع عرفات أو ممثليه، والتكرار لأي مشروع أو مسودة أو حتى فكرة لدفع العملية السياسية، ومساندته لوزير الأمن الداخلي الذي منع اجتماع أعد له ساري نسيبه في القدس لندوبي الدول الأجنبية.

لا يمكن تفسير كل هذه الإجراءات على أنها رغبة فقط في ممارسة الضغط على عرفات من أجل إرغامه على وقف الإرهاب فمن الصعب أن نتفهم الغرض من الجهود الرامية إلى تحويل عرفات إلى غير مؤثر في الوقت الذي تراه الإدارة الأمريكية ودول أوروبا على وجه الخصوص شريكا في أي عملية سياسية.

لو كان شارون يطرح مشروعا واقعياً كبديل لأفكار بيريز وأبو علاء. ولو كان يعلن عن استعداد له لتجميد بناء المستوطنات كجزء لا يتجزأ من تقرير ميتشل، أو كان يستأنف الاتصالات السياسية في مبادرته إزاء التراجع الملحوظ في عدد الاعتداءات ولربما نجح في أن يقنعنا بصدق نواياه. ولكن عندما يحرص على بناء سياق محكم حول أي مبادرة أو فكرة سياسية، ورفضه كذلك لأي مبادرة لا تتطوي على أي مخاطرة بأمن الدولة أو الوضع السياسي لإسرائيل، فلا مفر من التساؤل عن نوايا شارون، الرجل الذي وعد بتحقيق السلام والأمن.

# جريمة ضد أبرياء

جريدة هآرتس  
٢٠٠٢/١/١٢  
بقلم: جدعون ليفي

النار علي جيش الدفاع الإسرائيلي وبأن قناعاتها استخدمت ربما لشق أنفاق لتهديب السلاح من مصر صحيحة ، فإن الأمر لا يمكن أن يبرر هدمها .

إن هدم منازل المدنيين هو من الأفعال التي لا ينبغي للدولة أن تقوم بها بأي حال من الأحوال . والدولة التي تعارض الإرهاب ضد المدنيين لا يحق لها أن تهدم بيوت مدنيين أبرياء وتزعم في نفس الوقت بأن هذا ليس فعلاً إرهابياً . إن الانطباع السائد . بعد هذا الحادث . جسد مظهراً آخر من مظاهر الحاجة الإسرائيلية إلى " الرد دائماً ، والعقاب ، أو بالأحرى الانتقام ، حتى لو لم يكن للفعل أي مبرر أخلاقي أو حتى فطنة سياسية .

إن إسرائيل تتصرف الآن في قطاع غزة كما تتصرف في داخلها ، تهدم المطار ثم تسمح بإعادة بناؤه ، وتصادر عشرات قوارب الصيد التي تمثل مصدر رزق نادر في المنطقة ، وتهدم بيوتاً بالجملة . ويصادق علي أفعالها ليس فقط وزراء اليمين المتطرفون ، وإنما أيضاً وزراء العمل المعتدلون وعلى رأسهم وزير الدفاع بنيامين بن اليعازر ووزير الخارجية شيمون بيريز ، اللذين سيضطران في يوم من الأيام إلى دفع الثمن بسبب بقائهما في حكومة كهذه ، وبسبب الدور الذي أدياه في عمليات من نوع ما حدث في رفح .

أيضاً فإن الضباط والجنود الذين شاركوا في عملية الهدم الحقيقية لن يستطيعوا بعد غسل أيديهم وتطهيرها ، بحجة أنهم فقط ينفذون أوامر . ما الذي يروونه لأسرهم عن هذا اليوم الذي هدموا فيه عشرات الأكواخ (البيوت الهزيلة ) ، وما الذي سوف يروونه مستقبلاً لأطفالهم ؟

في اجتماع كتلة سلام (جوش شال) الذي عقد الأسبوع الماضي في تل أبيب دعا العقيد (احتياط) يعثال شوحط - طيار مقاتل سابق - رفاهه في سلاح الجو إلى رفض الأمر ، لأنهم بمشاركتهم في عمليات القصف والتصفية الجسدية إنما ينفذون جرائم حرب .

"هذه أيام مقرفة " كما كتب هنا منذ أسبوع الأديب ديفيد جروسمان في تطرقه إلي قضية سفينة الأسلحة . وعملية العقاب التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي ردا علي هذه القضية تعطي ملاحظة الأديب اليائسة أهمية مضاعفة .

إن عمليات العقاب التي نفذتها إسرائيل في نهاية هذا الأسبوع في قطاع غزة ، وخاصة الهدم الجماعي لمنازل في رفح ليلة الخميس ، هي جريمة حرب . ففي جنح التعتيم الإعلامي الإسرائيلي حولت جرافات جيش الدفاع الإسرائيلي "المنازل إلى صحراء " كما قال عبر الهاتف (م) من سكان رفح .

وإذا كان جزء من الرأي العام الإسرائيلي قد تزلزل ذات مرة بسبب هدم بيت أسرة أحد المخربين ودارت نقاشات حول عدالة الفعل ، فإن إسرائيل تهدم الآن مئات المنازل لمواطنين ليس بينهم وبين الإرهاب أي علاقات أسرية - ولا أحد يففر فاه .

هل نحن ، الإسرائيليون ، قادرون بشكل عام علي تخيل شعور أناس تظهر الجرافات في جنح الليل وتدمر كل ما لديهم ، أمام أعينهم وعيون أطفالهم ؟ وهل وضع متخذو القرارات في اعتبارهم الكراهية التي يزرعونها في قلوب الأطفال الذين يرون منازلهم تهدم ؟ وماذا سيكون مصير هؤلاء الأناس البؤساء الذين يحيوا حياة بائسة في أحد مخيمات اللاجئين الأكثر فقراً ؟ أين سيقضون الليالي الباردة ؟ وماذا كان جرمهم ؟ صحيح أن رفح هي حصن حماس ، التي ليس للسلطة الفلسطينية تأثير كبير عليها ، لكن هل يبرر هذا شن حرب علي كل مواطن في المدينة ؟

لقد هدم جيش الدفاع الإسرائيلي في مخيم رفح للاجئين ، حسب تقديرات (الأونروا) ٥٤ منزلاً تاركاً ٥١٠ فلسطينيين بدون مأوي ، وطبقاً للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ، فإن عدد المشردين الجدد يقدر بـ ٧٠٠ فلسطيني ، وأضيفت بيوتهم إلى حوالي ٢٠٠ بيت سبق وأن هدمتها إسرائيل العام الماضي . وحتى لو صحت رواية المتحدث باسم جيش الدفاع الإسرائيلي ، الذي زعم بأن "بضعة بيوت " قد هدمت ، ثم اعترف بعد ذلك بأن " بعض البيوت كانت مركبة ولذا هُدمت ، فإن الأمر يظل متعلقاً بفعل وحشي وغير مبرر .

إن هدم البيوت في رفح قد جاء انتقاماً لمقتل أربعة جنود من موقع "أفريكا " والإمساك بسفينة الأسلحة "كارين A" ، وإن لم تبد ثمة أدنى علاقة بين ضحايا الهدم وبين هاتين العمليتين .

وحتى لو كانت رواية جيش الدفاع الإسرائيلي القائلة بأن هذه المنازل وفرت ملاذاً للفلسطينيين الذين أطلقوا



## توقيت سيئ وعدم تنسيق

يفكر في هدم منازل في رفح المصرية، حيث تبدأ الإنفاق ومن هناك يتم تهريب السلاح.

كان من الواضح، أن هدم عشرات المنازل في مخيم اللاجئين سوف يركز الاهتمام الدولي ويثير النقد بسبب الجانب الإنساني. لقد تعلمنا هذا في الانتفاضة الأولى. القصة الكلاسيكية تظهر في كتاب المدعى العسكري السابق أمنون سترشنوف، "العدالة تحت النار"، عندما تقرر هدم حوالي ١٥٠ منزلاً في مخيم للاجئين على طول كيلو متر. كانت الحجة هي مذبحة وقعت في ٢٠/٩/١٩٩٠ لجندي الاحتياط الرقيب أمنون فومرتنس، الذي ضل طريقه والذي قتل رجلاً بالحجارة والحرق. قبل العملية حضر إلى المكان رئيس هيئة الأركان دان شومرون والمدعى العام العسكري سترشنوف. بعد جدل شديد وإعلان سترشنوف أنه سيجد صعوبة في توفير الحماية القانونية للعملية، تم تخفيض عدد المنازل التي سيتم هدمها إلى عشرة منازل، تم إغلاق بعضها فقط. ليس واضحاً، هل في الاجتماع الذي تم فيه التصديق على العملية في مخيم رفح شارك المدعى العسكري، اللواء مناحم فنلكشتاين، الذي يحضر اجتماعات هيئة الأركان، أو رئيس فرع القانون الدولي، العقيد دانيا رايزنر؟ لقد كسبنا استراتيجية عندما استطعنا جذب انظار العالم إلى عمليات تهريب السلاح التي يأمر بها عرفات بالتعاون مع إيران، ولكن هذا المكسب سرعان ما تبدد بسبب سوء التوقيت لعملية هدم المنازل في مخيم رفح حيث جذبت هذه الأعمال انظار الدنيا بعيداً عن قضية تهريب السلاح، وحدث الأمر ذاته بسبب أوامر هدم منازل الفلسطينيين في القدس الشرقية،... وفي ظل ذلك كله يجب أن نتساءل عن كيفية التنسيق داخلاً للحكومة وهل يتم هذا التنسيق بصورة تخدم أهداف إسرائيل.

كان سوء التوقيت هو العامل المشترك لثلاثة أحداث وقعت هذا الأسبوع. هذه الأحداث هي القضاء على زعيم التنظيم رائد الكرمي في طولكرم، وهدم الحي السكني في مخيم اللاجئين برفح وهدم تسعة منازل في القدس الشرقية. أن تحديد توقيت مناسب لتنفيذ إجراء معين هو شرط مسبق لنجاح الاستراتيجية ونتيجة التوقيت السيئ هو الإضرار بأهداف استراتيجية أكثر أهمية.

مما لا شك فيه أن رائد الكرمي كان يستحق الموت. ذات مرة أخرج "المقاتل الحر" هذا مواطنين إسرائيليين من مطعم كانوا يجلسون فيه، وقتلهم بدم بارد، بل وتباهى بهذا العمل. إلا أن التوقيت الحالي يثير علاقات استفهام. منذ ثلاثة أسابيع طرأ هدوء على عمليات العنف، بما في ذلك منطقة طولكرم. قت الكرمي سوف يؤدي على الفور إلى موجة من الاعتداءات على سبيل الانتقام، ومرة أخرى سيضطرب جيش الدفاع لأن يحاصر طولكرم. لقد لقي أربعة إسرائيليين مصرعهم الواحد تلو الآخر، وانتهى الهدوء. لا يكفي القول بأن كانت هناك تحذيرات بوقوع عمليات إرهابية. لقد جاءت معلومات واضحة، بأن الرجل يعد لعملية إرهابية بنفسه، مما برر القيام بعملية الاغتيال، ولكن لم يقل أحد ذلك. من الطبيعي أن يسأل الكثيرون، هل إسرائيل مهتمة حقاً بتحقيق الهدوء؟

لم يكن النقد بسبب هدم الحي السكني في مخيم اللاجئين برفح لمنع إجهاض تهريب السلاح عبر الإنفاق من رفح التي في سيناء إلى رفح الفلسطينية. لا جدال حول ضرورة إغلاق الحدود الدولية بين إسرائيل (وليس المناطق) وبين مصر، وهي منطقة ليس بها مستوطنات. هذا الصراع مستمر منذ فترة، ودائماً ما عرفت إسرائيل كيف تضع في الحسبان الاعتبارات السياسية في هذا المكان. مثلاً، لا أحد

## عبء قطاع غزة

مواقع جديدة ولبناء جدار الكتروني يحيط بالمستوطنات في المنطقة. هذه الميزانية الإضافية تتضمن إلى مليارات الجنيهات التي تدفعها دولة إسرائيل منذ سنوات لحماية أقل من ألفي أسيرة إسرائيلية تقيم في قطاع غزة. أن ضرورة الحفاظ على حياة المستوطنين الذين أقاموا - تحت تأثير سياسة قصيرة النظر - منازلهم وحقوقهم في قلب تجمع جماهيري فلسطيني يضم أكثر من مليون نسمة، يجعلهم أغلى مواطنين في الدولة. أن انفصال المستوطنات عن إسرائيل يقتضي من جيش الدفاع تخصيص قوات

إلى جانب القرارات النابعة من تخصيص المخصصات المالية، وزيادة أعباء الضرائب وتعمق العجز في ميزانية الدولة، ينوي جيش الدفاع أن يخصص هذا العام مبلغ مقداره ٢٥٠ مليون شيكل لتحسين النظام الدفاعي في قطاع غزة وما حولها. بالأمس نقلت الصحيفة عن مسئول عسكري كبير، أن حوالي مائة مليون شيكل من هذا المبلغ سوف تستخدم في تحسين الجدار المحيط بالقطاع. سوف يخصص نصيب الأسد لتحسين الحماية لمواقع جيش الدفاع في جوش قطيف وفي شمال القطاع، لإقامة

كبيرة لتوفير الحماية الإقليمية والمحافظة على محاور الطرق.

أن الوجود الإسرائيلي في قطاع غزة، وهي من أكثر المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة في العالم، يعبر بوضوح عن غياب سياسة احتلال المناطق. لقد صودرت ربع أراضي الفلسطينيين من أجل المستوطنات الإسرائيلية ومعسكرات الجيش. من أجل إتاحة حرية الحركة للمستوطنين وحماية حقولهم أضطر الجيش لأن يحد من تحركات الجيران الفلسطينيين، وهدم منازلهم، واقتلاع مزارعهم التي على جوانب الطرق. في حوار أجراه مؤخرًا مع أحدي المجلات، قال رئيس الإدارة المدنية في الضفة الغربية، العميد رون سدكا، أن مثل هذه العمليات تزيد من الكراهية لإسرائيل ومن أعمال العنف ضد مواطنيها. لقد عاد رئيس الوزراء أريئيل شارون وكرر هذا الأسبوع استعدادة "لتقديم تنازلات مؤلمة من أجل السلام الحقيقي" فإذا كان قطاع غزة لا يدخل ضمن هذه التنازلات، فما هي التنازلات التي يقصدها رئيس الوزراء؟ إن قطاع غزة لا يدخل ضمن "مناطق الأمن". التي يريد إبقاء السيطرة

الإسرائيلية عليها في إطار "تسوية مرحلية طويلة الأجل". مثل الانسحاب من لبنان، فإن الخروج من قطاع غزة ليست مسألة مبدأ، وإنما مسألة توقيت. على النقيض من المناطق المحتلة في الضفة الغربية وعلى النقيض من القدس الشرقية، فإن القطاع ليس بمثابة (ورقة مساومة) في المفاوضات. من المعروف للجميع، أن إسرائيل، مثل مصر في حينها، لا يهتمها تحمل مسئولية إعاشة السكان الفلسطينيين المكسرين والفقراء في غزة.

بناء على ذلك ليس هناك أدنى منطوق في الاستمرار في عملية تطوير المستوطنات في المنطقة. كلما بكرت إسرائيل في الابتعاد عن هناك، وأن المساندة من الخارج لمشروعات التعمير والتشغيل، فسوف تتخذ حياة بشرية وتبتعد عن الكراهية وإنفاق لا لزوم له. في الوقت الذي يطلب فيه مواطنوا النقب الدعم، والقطاع العربي في إسرائيل يصرخ طالباً التنمية، والجمهور الحريدي قد نصبت مواعينه والمطلون والمعوقون يصارعون من أجل حقهم في الحياة باحترام، فإن من الغباء مواصلة إنفاق أموال حيوية على الحماية في رمال غزة.

معاريف ٢٢/١/٢٠٠٢

بقلم: يوسف حاريف

## من حسن الحظ أن بوش ليس كلينتون

كلينتون شخص يتمتع بمقامات الزعامة ومهذب وفتان في الحديث ويستحوذ على المحيطين به بسحره الشخصي ولكنه أيضاً ساذج ولا يشعر أحياناً بأنه يتدنى بأسلوب المفاوضات. هذا ما حدث في لقاءاته مع حافظ الأسد، وكذلك مع عرفات.

لقد وصفوا جورج بوش الابن بعدم الذكاء ومحدودي ثقافته، ذو شخصية غامضة وفشله في الرئاسة مضمون. وفجأة ظهر بوش كشخص عملي وشجاع، يحظى حالياً بشعبية جارفة في الولايات المتحدة، بل وتطفئ على تلك التي كانت لكلينتون. أنه يتصرف مثلاً ينبغي لرئيس أكبر وأقوى دولة في العالم، وليس بذلك التراخي المتردد الذي اصطبغ به كلينتون.

يقول سياسيون ومعلقون في واشنطن أنه لو كان كلينتون هو الرئيس في الحادي عشر من سبتمبر، لتهرب ومن المشكوك فيه أنه كان سيقوم بتصفية الإرهاب في أفغانستان. نفس الشئ بالنسبة للإرهاب الذي يمارسه عرفات، لقد حاول بوش في خطواته الأولية أن يتقرب منه، أعلن صراحة بأنه من حق الفلسطينيين دولة مستقلة، ولكن من لحظة أن أدرك أن عرفات يحاول خداعه، أنهى اللعبة. فقد تم إغلاق ابواب البيت الأبيض في وجهه وقيل له أنه لن تكون هناك مفاوضات طالما لم يقضي على المنظمات الإرهابية الفلسطينية. لن يصل بوش إلى وضع يضع فيه عرفات فرصة ذهبية للسلام. فهو لن يمنحه هذه الفرصة. في نظر بوش، عرفات لا يتجه للسلام، وهو منتهي.

(الرئيس الأمريكي يعتبر رئيس السلطة منتهياً)

خلال زيارته لإسرائيل امتنع بيل كلينتون عن التطرق إلى موضوع المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل التي تمت تحت إشرافه وكل ما قاله هو أن (عرفات اضاع فرصة ذهبية للسلام). هذه حقيقة، ولكنها ليست كل الحقيقة. فكلينتون هو الذي اضاع فرصة صنع السلام لأنه اتاح لعرفات أن يخدعه. لم يعرف ببساطة أنه يدير مفاوضات مع زيون مقعد اسمه عرفات دون أن لم يشعر أنه كلما اقترب منه، فإن هذا يزيد من صلابته موقفه.

يمكن أن يقال لصالح كلينتون أن الإسرائيليين، شلومو بن عامي وإيهود باراك، قد سببا له البلبلة عندما فاجأوه بتقديم تنازلات كبيرة وبخاصة تقسيم القدس. ولكنه إذا تباهى بأن يكون الوسيط وصانع السلام، كان يجب أن يقتصر خطواته بحذر ويعرف كيف يضع عرفات في حجه الحقيقي.

لقد قال ليندون جونسون، الذي كان يحكم في فترة حرب الأيام الستة، للملك حسين (عليك أن تضع في الحسبان أن ما كان لديك، لن يصبح لك)، أي: لا تتوقع إعادة كل المناطق، عليك أن تتوصل إلى حل إقليمي. لو عرف كلينتون كيف يتحدث مع عرفات، لا يمكن التحرر من الوهم بأنه يستطيع الحصول على كل المناطق والقدس الشرقية، وكذلك تنفيذ حق العودة للاجئين.

دائماً ما يقول عرفات أنه يجب التشدد مع الأمريكيين وفي النهاية سوف يستجيبون لك. أسلوب كلينتون زرع في نفسه الوهم بأنه في النهاية سوف يحقق مطلبه فعلاً.



## سفينة الأسلحة

معاريف ٢٠٠٢/١/٧  
بقلم: شالوم يروشليمي

## سفينة إنقاذ شارون

يفكر في الأفق السياسي ٩ حتى شيمون بيريز الذي كان في الحفل اعترف أن قضية السفينة ستؤثر علي ثقتنا في عرفات . باختصار، فإن شارون وفؤاد يستطيعان الشعور بالراحة الآن ، فقد جمعت بينهما سفينة المخربين جيداً ، وأوثقت الأحزمة حول المقعد المشترك ، وأبعدت إلى الهوامش مشاكل مشتتة مثل الميزانية وإضراب المعاقين وقانون النقب . وهناك أيضاً سبب آخر للاحتفال لدى بن اليعازر ، فخلال عشرين يوماً سوف يجتمع مركز حزب العمل لبحث طلب يوسي بيلين وزملائه بالخروج من الحكومة علي الفور . فقد جاءت قضية السفينة لتضعف من موقف مؤيدي الانسحاب من الحكومة ، وتجعل الملصقات القوية التي علقوها في الشوارع ( في ١٧ يناير ستنسحب من الحكومة ) بمثابة تهديد في غير محله . رغم ذلك يجب أن نتذكر أن السلطة الفلسطينية لن تختفي ، فمحاولة التهريب تدل علي أنها لن توافق أبداً علي إقامة دولة منزوعة السلاح ، وسوف تستمر محاولات التسليح إلى الأبد . فالاتفاقيات مع السلطة حتى التي ستبدو وكأنها التسوية الدائمة ستظل دائماً محل خرق وتغيير من الجانبين ، كما يبدو أن المشاكل الكبرى ستظل معلقة بيننا وبينهم مثل القدس واللاجئين ، اللتين ستمثلان سبب الانفجار الكبير . إن المطلوب - وبلا خيار - هو البحث المستمر عن الهدوء من خلال الخروج من هدنة إلي أخرى ، حتى لو دعا رئيس الأركان موفاز في اجتماع الحكومة إلى (الرد الاستراتيجي) في مواجهة السلطة الفلسطينية .

قال يوليوس قيصر بجوار نهر الريكون (مازال بأيدينا أن نعود ، ولكن إذا عبرنا هذا الجسر الصغير، سندع كل شيء لحسم السلاح) . نتمنى ألا نصل إلي هذا الحسم .

(فليطمئن زعماء الليكود والعمل .. لقد دفنت السفينة كارين A العملية السياسية مؤقتاً وجمعت فيما بينهم) .

كان أمس الأحد واحداً من أسعد أيام رئيس الوزراء منذ فوزه بانتخابات ١٧ فبراير ، فقد منحته عملية ضبط سفينة الأسلحة (كارين A) مصداقية أمنية ومبرراً للتكتيك السياسي الذي يتبعه . فقد انتابته حالة من الرضاء التام أثناء اجتماع الحكومة ، عندما قال ( إن هذه السفينة تكشف النقاب عن إرهاب السلطة الفلسطينية) . ففي المساء صعد علي سطح السفينة الراسية في إيلات بصحبة وزير الدفاع ورئيس الأركان ، حتى يكشفوا أمام العالم الوجه الفلسطيني علي حقيقته . إنها حقا خبطة إعلامية يستطيع شارون من خلالها اليوم القول بأنه لا قيمة لوقف إطلاق النار مع ياسر عرفات لأنه ليس الرجل الذي يمكن التوصل معه إلى اتفاقات أو حتى هدنة ، لأن الهدنة وما يستتبعها من هدوء في المناطق يمكن أن يأتي في سياق المناورة من أجل تنفيذ عمليات التهريب الكبيرة للأسلحة . وإذا قال أحد اتباع شارون أن فكرة انتقال الرئيس كاتساف إلى رام الله كانت فكرة غبية ، فهو محق تماماً ، فكيف كان سيبدو اليوم فخامة الرئيس - حسبما يقولون في مكتب شارون - بعد أن وقف أمام المجلس التشريعي الفلسطيني وهو يصافح بحرارة لأول مرة رجل يقوم بتسليح منظماته بقذائف الكاتيوشا ؟

لقد أنقذت السفينة التي تم القبض عليها حكومة شارون من عواصف ائتلافية . فقد أقام وزير الدفاع فؤاد بن اليعازر - الزعيم الجديد لحزب العمل - احتفالاً بفوزه عشية السبت . قال بن اليعازر مشيداً بجيش الدفاع والكوماندو البحري (إن ضبط هذه الأسلحة أمر مدهش بكل المقاييس) . هل هناك من يستطيع في لحظة كهذه أن

## أربع ملاحظات علي الوضع

١ - عضو الكنيست تسفي هاندل ليس وحده الذي لا يحب اليهود ، بل هناك أيضاً وزير خارجية إيران الذي حال دون تعيين سفير بريطاني من أصل يهودي . والفرق بينهما يكمن في أن الإيراني لا يجرو علي وصف السفير البريطاني الجديد بأنه "يهودي قزم" ، في حين مسموح لعضو كنيست يهودي أن يصف سفير يهودي من المحافظين علي الوصايا والمحبين لإسرائيل بهذا الوصف . ولو كان قد حدث عكس ذلك لما بقي السفير ٢٤ ساعة في إسرائيل . ووقاحة المعادي للسامية لدينا تكمن ليس فقط في هذا الوصف الهجومي، ولكن أيضاً في التتديد بتدخل السفير في الشؤون الداخلية لإسرائيل ، ونحن نعرف أن إسرائيل بمفوضياتها المختلفة تتدخل بدون خجل في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية وفي قرارات الحكومة وتحريض الرأي العام والكونجرس ضد الرئيس لخدمة مصالحها وهي التي تحدد من الذي ينتخب في الكونجرس . كل ذلك باستثناء حقيقة هامة وهي أن إسرائيل تعيش وتقوي عسكريا واقتصاديا منذ ثلاثين عاماً علي حساب دافع الضرائب الأمريكي ، ونحن في حاجة إلي قدر كبير من الوقاحة لنقول لهم أنه ليس من حقهم التدخل .

٢ - هذه السفينة ذات حظ سيء ، فقد كانت توشك علي إتمام عملية ناجحة ولكن فجأة ظهر لها كثير من الآباء في حين انتهى بها الحال إلي اليتيم . وتنفس شارون وبن اليعازر الصعداء والتقطت لهما الصور وهما يمانقان مدفع هاون قطره ١٢٠ ملليمتر تماماً مثل الزوجين السعيدين اللذين يصحبان ابنهما إلي ليلة عرسه . وقد عرفنا من خلال التقارير حول هذه العملية أن شارون هو الذي أدارها وأن بن اليعازر كان يشرف من مكتبه وأن رئيس الأركان يشرف من الجو بطائرة القيادة من طراز بوينج . وبعد ذلك أقاموا احتفالا كبيرا في إيلات وكأنهم اعترضوا صهاريج من فيروس الجمره الخبيثة وصناديق تحتوي علي اليورانيوم المخصب . وكان حجم خيبة الأمل مثل خيبة الشعور بالنصر - ولماذا خيبة الأمل .. لأن هذه العملية الرائعة وجدت رد فعل غير مبال من جانب العالم أجمع .

ولم يدرك آباء النجاح أن الدولة النووية التي تملك آلاف الدبابات ومئات الطائرات وصواريخ عابرة للقارات وصواريخ مضادة للصواريخ تثير ضجة بسبب

٥٠ طناً من المعدات العسكرية (وزن دبابة واحدة) فإن هذا شيئاً مثير للسخرية .. في حين أن وسائل الإعلام للأسف الشديد لم تركز علي جيش الدفاع العظيم أو سلاح البحرية الإسرائيلي ، إنما ركزت علي غلام يبلغ من العمر ١٥ عاماً اقتحم بطائرته أحد المباني في ميامي .. فهو الشيء الذي يهم العالم الآن .

٣ - نشر عنوان كبير في صحيفة معاريف يقول: "إن العالم كله ضدنا" . ونحن نجد صعوبة في استيعاب حقيقة أننا لم نعد نبذو مثل داود في مواجهة جوليات ولكن العكس هو الصحيح . وربما يكون الحق معنا إلا أن نظرة العالم لنا تجعلنا نبذو علي أننا قوة احتلال وأن الفلسطينيين خاضعين لهذا الاحتلال ، وماذا كنا نعتقد .. أنهم غير مزودين بالسلاح ؟ لقد كنا نحن هناك قبل إقامة الدولة وتأكدنا من أن هناك بعض الأمور لا تستطيع حتى دولة عظمى أن توقفها . فقد صادر لنا البريطانيون شحنات من السلاح واكتشفوا ورش ومصانع كاملة لإنتاج الأسلحة وطرردوا رؤساء المنظمات الإرهابية التابعة لنا إلي السجون في إريتريا وفرضوا علينا الحصار والتطويق وحظر التجول . وماذا حدث .. هل لم تقم دولتنا في نهاية الأمر ؟

٤ - نفترض أننا كنا جالسين أمام التلفزيون ونسمع أن شرطة سريلانكا ضبطت سفينة أسلحة تابعة للمتمردين التاميل ، هل كنا سنجلس فاغرين أفواهنا ؟ هل نسقط من فوق المقاعد ؟ المشكلة هي أننا لم نستوعب حتى الآن حقيقة أنه منذ الحادي عشر من سبتمبر نحى الصراع في المنطقة جانبا لصالح جدول أعمال أمريكي يتركز الآن حول الخليج العربي وأفغانستان وباكستان والهند والعراق واليمن والمنظمة الإرهابية الكبيرة التي خلفها بن لادن وراءه ، فليس لدي الحكومة الأمريكية حل للصراع الذي نخوضه . ونظراً لأنها لا ترغب في الإعلان عن عرفات كإرهابي، الأمر الذي يحد من تأييد الدول العربية الصديقة لها، ونظراً لأن شارون لم يطرح أي مبادرة للحل ، فإن كل ما تريده الحكومة الأمريكية هو الحفاظ علي الصراع علي نار هادئة شريطة ألا نزعجها ونعرقل تحقيق أهدافها الهامة في هذه اللحظة . وفي المقابل ، لدينا رئيس وزراء أدلي بكثير من الوعود ولم ينفذها حيث يحافظ علي جدول أعمال قومي يهدف إلي الإبقاء عليه في السلطة كهدف أسمي .



## إيران وسفينة الأسلحة

أن الضغط علي طهران مهم لأنه في الفترة الأخيرة تفاقمت - داخل إيران - حدة النقاش والجدل الجماهيري حول تحديد المصالح الحقيقية لطهران في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وفي مقابل ذلك ليس هناك جدل بين المحافظين وبين البرجماتيين فيما يتصل بضرورة أن تقوم إيران بإنتاج صواريخ أرض أرض. حيث أن الجميع يؤيدون هذا التطور، كذلك فيما يتصل بالمسألة النووية الإيرانية لا توجد أي معارضة داخلية. والجدل الذي دار في إيران في ندوة حول موضوع فلسطين من وجهه النظر الإيرانية " وتم تغطيتها في وسائل الإعلام هناك، كانت ندوة مثيرة للغاية من ناحية تنوع الآراء التي ترددت فيها. وكانت تصريحات محمد رضا تاجيك مستشار الرئيس خاتمي مثيرة أيضاً، حيث قال إنه يجب علي إيران أن تعمل هنا في نطاق بين الأيديولوجية وبين المصالح القومية من شأنه أن يمنع صدام ويجب أن تخرج القضية الفلسطينية بعيداً عن العنوان الديني من أجل دراستها من الزاوية الواقعية التي تتناسب مع سياستها. وأضاف أن القضية الفلسطينية تختلف في جوهرها عن القضية اللبنانية حيث أنه من المستحيل ومن المحذور استخدام نموذج حزب الله وجنوب لبنان في المناطق المحتلة. والعمليات الانتحارية لا تؤدي إلى أي شئ. ويجب أن تحد من دور الجماعات المزعجة إلى أقل درجة ممكنة.. وفيما يتصل بصراع القوي في إيران فإن أصحاب هذه الآراء ليسوا في موقف قوة. فعندما القى القبض علي رجالهم لم يحظوا حتى بتأييد الرئيس خاتمي. وعلي الرغم من ذلك فإنهم مستمرين وبشجاعة في الاعراب عن رأيهم. وقد صدق رئيس الموساد افرايم هاليفي الذي قال إن إيران سوف تهدد كيان إسرائيل ذاته. ولهذا السبب يجب علي إسرائيل أنه تبحث عن أي امكانية للتغيير. وتفسير ذلك هو أنه في مقابل المواجهة مع إيران لا يجب الخوف من الحوار الجاد معها عندما تكون هناك إمكانية لذلك.

بصورة طبيعية، نجد إسرائيل تتهم السلطة الفلسطينية بأنها وراء قضية سفينة الأسلحة، ولكن علي الرغم من هذا الاتهام إلا أن لإيران دور كبير في هذه القضية، حيث أنها مصدر الأسلحة التي حاول الفلسطينيون تهريبها ومتورطة أيضاً منذ وقت طويل في الهجوم المباشر ضد إسرائيل، مثل دفع مبلغ من المال مقابل كل عملية إرهابية تنفذها منظمة الجهاد الإسلامي ضد إسرائيل. وكل ذلك في الوقت الذي تدور فيه محادثات سرية بين ممثلين إيرانيين وأمريكيين. وقد تم دفع هذه العلاقات في أعقاب الحرب التي أعلنتها واشنطن ضد الإرهاب الدولي. وفجأة وجد الإيرانيون أن هناك تشابه في المصالح بينهم وبين الولايات المتحدة الأمريكية في العديد من المجالات. ونفس الشئ ينطبق علي مسألة طالبان والتهديدات التي يشكلها صدام حسين. إلا أن الإيرانيون يطالبون بالفصل بين مسألة العلاقات الإيرانية الأمريكية وبين مسألة علاقتهم بإسرائيل. وبعبارة أخرى فإنهم لا يرغبون في مناقشة ما تفعله دولتهم فيما يتصل بالصراع الإسرائيلي العربي وسياستها العدوانية. ودور إيران في سفينة الأسلحة، شأنه شأن أفعال أخرى، دليل آخر يثبت أنه يجب علي إسرائيل أن تعمل بجهد واصرار ضد هذا الفصل، وأن تنفذ عملها بالوسائل الدبلوماسية والسياسية وليس اعتماداً علي السلاح ولمخابرات والمعارضة السرية، أي مجاهدي خلق. والآن ترغب إيران في الاستفادة من العاملين.. أي أن تؤيد الإرهاب ضد إسرائيل من ناحية ومن ناحية أخرى تتظاهر بأنها تحارب الإرهاب الدولي. ولذلك لا يجب إعطاء الفرصة لطهران كي تفعل ذلك وفي نفس الوقت لا يجب إجبارها علي تأييد عملية السلام في الشرق الأوسط (وهناك إسرائيليين لا يؤيدون هذه العملية أيضاً)، ولكن من الممكن أن نطالب إيران بعدم تشجيع الإرهاب وعدم إنتاج أسلحة دمار شامل خاصة وأنها موقعه علي معاهدات تحظر نشر هذه الأسلحة. وتجدر الإشارة إلى

## التهديد الإيراني

النتائج السابقة فإن السلطة الفلسطينية لم تكن هي التي ابتاعت سفينة الأسلحة، وأن حزب الله يقف خلف الكواليس وهو الذي اشترى «كارين A» في لبنان مقابل ٤٠٠ ألف دولار عدا ونقداً، ولكن هذا لا يعني أن السلطة بعيدة عن تلك الصفقة، فقد كان هناك رجال من طرفها - وعلى رأسهم فتحي

بدأت نشرات الأخبار افتتاحياتها بالآتي : كلما تقدمنا في التحقيق مع طاقم سفينة «كارين A» تتضح أكثر تفاصيل مدهشة (ومخيفة) إزاء تورط إيران في تلك القضية، فضلاً عن التدخل السافر لحزب الله في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي . أجل ، لقد أوضحت التحقيقات أنه على عكس

رازم نائب رئيس جهاز الشرطة البحرية الفلسطينية ، وعادل مغربي المهندس الذي خطط لعمليات التهريب البحري - شركاء في اختيار تلك السفينة . ولكن هذا لم يكن كل شيء . وفي مقابل شراء السفينة في لبنان توجه فؤاد شبكي إلى إيران وهو المسؤول عن المشتريات في جهاز الأمن القومي الفلسطيني . وقد التقى شبكي في طهران مع العديد من كبار رجال الأمن الإيرانيين ، ومع بعض المسؤولين رفيعي المستوى في حكومة آية الله . وفي تلك اللقاءات قام بتلخيص تفاصيل الصفقة : لقد أعطى الإيرانيون وسائل قتالية للفلسطينيين مجاناً تحت شعار "الرغبة الطيبة في معاونتهم في نضالهم ضد الصهيانة" . ومن هنا فإن السلطة الفلسطينية قد استفادت من صفقة وهمية حيث حظيت بأكثر من ٥٠ طناً من المعدات القتالية، فضلاً عن سفينة نقل وكل هذا بالمجان ، أما المصاريف الوحيدة التي دفعتها السلطة فكانت مرتبات رجال طاقم السفينة الأربعة الذين كانوا يتبعون القوات البحرية (وعلى رأسهم عمر عكاوي الذي كان متخصصاً في كل التفاصيل والذي يعتبر منجم الذهب لـ أجهزة الأمن الإسرائيلية بالمعلومات في تلك القضية) فضلاً عن دفع بعض المرتبات لتسعة أفراد تم تأجيرهم من أجل القيام بعملية الإبحار وكان أغلبهم من المصريين . ورغم أن المصلحة الفلسطينية في تلك الصفقة واضحة للغاية - و بدأ أيضاً للقادة الإسرائيليين أن عرفات أصبح كمن عقد صفقة مع الشيطان - فإن العديد من العاملين في أجهزة الأمن الإسرائيلية شعروا بالخوف الشديد من إظهار مدى قوة العلاقات التي نسجتها إيران في أراضي الحكم الذاتي . وفي شهور المواجهة الخمسة عشر في الأراضي المحتلة تلقى رجال الأمن الإسرائيلي معلومات غزيرة عن العلاقات الفلسطينية الإيرانية وربما أوضحت قضية «كارين A» الواقع الخطير المترص لنا من تلك العلاقة ، وأكثر من هذا وعلى عكس الكثير من الادعاءات فإن مصدراً أميناً رفيع المستوى قال هذا الأسبوع أن إسرائيل لديها دلائل ثابتة بأن الصفقة لم تكن بين بعض الضباط الصغار إنما تورط في تلك القضية أغلب القادة من الجانبين : عرفات من الجانب الفلسطيني وعلى خامنئي من إيران وحسن نصر الله من لبنان . وكانت همزة الوصل بين هؤلاء القادة الثلاثة هي شخص يدعى عماد مورانيه رئيس جهاز العمليات الخارجية بحزب الله وهو أحد المطلوبين في الولايات المتحدة ، والمعلومات التي تلقاها الأمريكيون إزاء

تورط العديد من هؤلاء الأشخاص (وخاصة مورانيه) هو الذي أقنعهم بشكل نهائي بمطالبة الفلسطينيين بتقديم تفسير لتلك القضية .  
**مدى الإطلاق : ١٣٠٠ كم:**

وفي الفترة الأخيرة أصبح لدى العديد من رجال الأمن تقديرات تشير إلى أن محاولة تهريب الأسلحة للأراضي الفلسطينية تم تنفيذها في إطار المحاولات الإيرانية "لإيجاد تهديد استراتيجي على إسرائيل" . وقد قال بن اليعازر وزير الدفاع الإسرائيلي في محادثة شخصية هذا الأسبوع أن السلطة الفلسطينية أو حزب الله - كل منهما على حدة - لا يمثل تهديداً استراتيجياً على إسرائيل ولكن ارتباطهما ببعض يمثل تهديداً حقيقياً ومخيفاً للغاية على إسرائيل . "وأكثر من ذلك فإن بن اليعازر يخشى بشكل كبير الضلع الثالث وهو الدولة الإيرانية . وفي رحلته المرتقبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتي سيلتقي فيها بالعديد من كبار رجال الإدارة الأمريكية ينوي فؤاد أن يضع في مركز مباحثاته الجهود الإيرانية الحثيثة للتسلح بالصواريخ بعيدة المدى وخاصة التي تحمل رؤوساً نووية ويقول بن اليعازر لصحيفة معاريف «أن الأمريكيين ودول الغرب يحتاجون بشدة لإدراك أن التهديد الإيراني لا يشمل إسرائيل فقط، إنما يستهدف العالم بأكمله، لأنه إذا تملك نظام حكم متطرف مثل آية الله القدرة الاستراتيجية فإن تهديداً مباشراً سيتوجه صوب دول الخليج أيضاً وستصبح لإيران السلطة الكاملة والمطلقة على مصادر النفط العالمي» . وأضاف بن اليعازر أن إيران تخطط لتطوير الصواريخ بعيدة المدى أكثر من (شهاب ٣) (١٣٠٠ كم) التي تسمح بضرب أي هدف في أوروبا وفي المستقبل ستصبح الولايات المتحدة داخل نطاق الصواريخ الإيرانية ، ولذلك فمن لا يريد قراءة الخريطة اليوم سيستيقظ في الغد على التهديد وهو ماثل أمامه .

إن وزير الدفاع واثق ان الوقت قد حان للعمل، حيث يقول أنه في غضون ثلاثة أعوام فإن إيران ستملك أول قنبلة نووية . إن خبراء المخابرات يختلفون مع بن اليعازر ولكنهم يوافقونه في الخط العام . وفي العديد من المحادثات التي تم إجراؤها مع المسؤولين الأمريكيين توصل الإسرائيليون ونظراؤهم في واشنطن إلى تحديد آرائهم تجاه المشروع الإيراني وتجاه التورط (الذي رغم كل الجهود المبذولة لا يستطيع أحد وقفه) الروسي السريع وعدة دول أخرى في البرنامج الإيراني للتسلح بصواريخ غير تقليدية . وقد قال مصدر



إسرائيلي مسؤول أن إيران تبذل في الفترة الأخيرة جهوداً مضنية للوقوف بثبات في ذلك المشروع . وأضاف المسئول رفيع المستوى أن كوريا الشمالية والصين متورطتان أيضاً في ذلك البرنامج ، وهذا يعطى لإسرائيل ذريعة للضغط على الإدارة الصينية حتى تعدل عن الدخول في ذلك البرنامج ، خاصة بعد إلغائها صفقة الفالكون .

#### تدريبات وإعداد للجهاد:

ورغم أن المحاولات الإيرانية لتصدير فكر الثورة الإسلامية ليست بحديثة العهد ، فإنه كلما تتكشف تفاصيل يتضح لنا عمق تلك الصورة . وفي الأشهر الأخيرة قامت إيران بتسليح حزب الله بكميات هائلة - لم يسبق لها مثيل - من المعدات القتالية وعلى رأسها صواريخ الكاتيوشا وصواريخ أخرى بعيدة المدى . والخلاصة التي توصلت إليها هي أن حزب الله سيستخدم تلك الصواريخ فقط في الحالات النادرة ، ورداً على عمل إسرائيلي .

وأشار المصدر رفيع المستوى إلى أن السيناريو القادم هو : عملية هجومية عنيفة يشنها حزب الله الأمر الذي يجبر إسرائيل على الرد بقسوة عليه ، مما سيؤدي إلى قيام حزب الله بإطلاق صواريخه على المستوطنات الشمالية ، وستضطر إسرائيل مرة أخرى إلى الرد وبذلك ستشاكس حزب الله وستدفعه إلى إدخال الصواريخ في مجال المواجهة مع سكان حيفا ، وفي غضون ذلك فإن هذا التصعيد سينخفض ، ليس فقط بسبب جهود القوات الشمالية الإسرائيلية ، إنما أيضاً لأن السوريين الواقعين تحت ضغوط أمريكية تهدف لجعلهم يحدون من مد يد العون للإرهاب (وذلك نتيجة لأحداث ١١ سبتمبر) سيصبحون عاملاً محايداً . وللتدليل على ذلك فمنذ ٢٢ أكتوبر لم يتم ضرب حزب الله في الجنوب اللبناني . وحتى الآن لا يمكن القول أن الهدوء السائد في المنطقة يشير إلى استتبابه في طهران . وفي المقابل من محاولات تسليح السلطة الفلسطينية بأسلحة استراتيجية فقد أسرعت إيران بالقيام بعمليات تدريب وإعداد للمنظمات الإرهابية المتطرفة وعلى رأسها الجهاد الإسلامي ، وما ينتظره الإسرائيليون في الوقت الحالي هو : عمليات شديدة العنف داخل الخط الأخضر ، وأيضاً بعض العمليات

ضد بعض الأهداف الإسرائيلية واليهودية خارج الدولة العبرية . وحول سباق التسلح ، تحاول إيران تسويق للعالم صورة هادئة للدولة الساعية للسلام . وقد اقتنعت بذلك بعض دول الغرب ( خاصة بسبب رغبة تلك الدول في الاستفادة من بعض الصفقات الهائلة مع إيران ) وقد اختارت بعض الدول الأخرى الوقوف موقف المتفرج في هذا الشأن . والجهود الإسرائيلية الحالية تسعى لإقناع تلك الدول للحفاظ على السلوك الإيراني وإعادته إلى فئة الأشرار . ولكن ما تقوم إسرائيل به هو جهد غير هين فهو يسير على المسارين الدبلوماسي والأمني وتوضيح أن التهديد الإيراني لا يغير فقط من طبيعة الحياة داخل إسرائيل إنما يهدد وجودها أيضاً . وقبل بضعة أسابيع تفوه الرئيس الإيراني السابق رافسنجاني بجملة أثبتت للجميع نوايا إيران الحقيقية : " بواسطة القدرة النووية سيصبح في يد الإسلام السلاح الذي سندمر به إسرائيل في الوقت الذي لن تستطيع فيه إسرائيل تدميرنا رغم ترسانة السلاح النووي الذي تملكه " وما يقصده رافسنجاني هو أن إسرائيل دولة صغيرة من الممكن تدميرها بسهولة ولو قامت إسرائيل بإطلاق صواريخ نووية علينا فإنها لن تستطيع إبادةنا تماماً . ورغم أن رافسنجاني حاول بعد ذلك التراجع عن أقواله بل وحاول إنكارها فقد أهتم العديد من المسؤولين بنشر تلك الجملة في سائر أنحاء العالم . وقد قال بعض المسؤولين الدبلوماسيين في محادثات داخل دول أوروبا أن إسرائيل هي أول من يقف في الطابور وبعد ذلك سيأتي على دول الغرب وإذا لم نوقفهم الآن فإننا سنواجه عما قريب خطراً حقيقياً . وفي غضون ذلك لم تقتنع دول العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة بضرورة العمل ضد إيران بالأسلوب العسكري ، والتقدير الإسرائيلي هو أن الأسلوب العسكري لن يتم استخدامه في المستقبل ، وأن الضغوط ستتركز على المستوى الدبلوماسي فقط كما أنها ستتم بشكل شديد السرية ، ومن هنا تتصاعد النداءات الإسرائيلية بضرورة عقد مباحثات استراتيجية تحت عنوان " استمرار الوجود الإسرائيلي مقابل محو عصر إيران النووي " .

## الرأي العام في إسرائيل

### الحرب الإعلامية ستحسم لصالحنا في النهاية

موشيه شمعون

مهندس قني في القناة الأولى بالتلفزيون الإسرائيلي  
من موقع القناة السابعة علي الانترنت يوم ٢٠٠٢/١/٣

والعرض السياسي والتفهم الواضح لكافة الأمور والقضايا الداخلية والخارجية المختلفة.

إلا أنه يحسب للمصريين نجاحهم في تشغيل تلك القناة وبثها عن طريق طاقم من الفنيين ومترجمي اللغة العبرية الشبان من الجنسين وعدد من الخبراء وهو ما يدق «جرس خطر» واضح يجب الحذر منه والاعتراف بأن المصريين حققوا سبقاً إعلامياً متميزاً لهم. شاهد العالم كله وأطلع عليه.

إلا أن العزاء الوحيد لنا هو اقتراب موعد تدشيننا للقناة العربية الجديدة الخاصة في التلفزيون الإسرائيلي وهي القناة التي ستعتمد علي طاقم محررين ومذيعين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ومتميزة إلي حد كبير، ومن المقرر أن يبدأ بث تلك القناة خلال شهر فبراير المقبل حسبما أطلعني أكثر من مسؤول وصرح به لوسائل الإعلام المختلفة.

وستقوم تلك القناة بالطبع بتشريح المجتمعات العربية بمختلف جنسياتها وأصولها. وهذا أمر هام للغاية خاصة في ظل أحداث العنف الإرهابي (الانتفاضة) التي اندلعت خلال العام ٢٠٠٠ ومستمرة حتي الآن، فضلاً عن بروز أكثر من دولة معادية لنا ولتوجهاتنا وسط العرب، وهو ما يفرض علينا معرفة وإدراك الطريقة التي يفكرون بها حتي نستطيع في النهاية مجاراتهم ومعرفة طريقة تفكيرهم والتغلب عليهم في النهاية.

وتلك القناة ستكون وسيلة جيدة من أجل تحقيق ذلك النصر في النهاية وإطلاعنا بصورة متواصلة علي جميع التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية داخل

هل مازال العرب بصفة عامة والمصريين بصفة خاصة يجهلون قدراتنا وإمكاناتنا الإعلامية؟

سؤال ظللت أطرحه علي نفسي لفترة طويلة بعدما علمت من وسائل الإعلام أن «التلفزيون المصري» بدأ بث برامج ثقافية وأخبارية لمدة نصف ساعة من إحدى قنواته الفضائية وهي قناة الـ «Nile.TV» باللغة العبرية وأثار هذا السؤال «ضحكي» و«اشمئزازي» في وقت واحد.

فقد أثار «ضحكي» لأنني أعرف وبفضل عملي في التلفزيون الإسرائيلي إننا نعتمد علي إمكانيات طائلة تجعل من مهمة أي تلفزيون أو جهة إعلامية خارجية أخرى مستحيلة من أجل اللحاق بنا لأننا نعتمد علي إمكانيات ضخمة لا يمكن أن تتوافر أو تتواجد لدي المصريين أو أي تلفزيون عربي آخر بسهولة لأن اقتصاديات الدول العربية - حتي الغنية منها - تعاني من أزمات لا يمكن التخلص منها بسهولة حيث ترتبط بميزانية وإمكانيات محددة وضعيفة لتطوير نفسها إعلامياً، وهذا أمر لا يحدث في إسرائيل علي الإطلاق لأن الإعلام عندنا جزء هام من حرية الرأي والتعبير التي توليها جميع الحكومات وكبار المسؤولين أهمية خاصة جعلتها ركناً أساسياً في حياتنا اليومية.

أما السبب الثاني وراء شعوري «بالاشمئزاز» اعتقاد المصريين، وكبار مسؤوليهم بأننا سنترك قنواتنا الرسمية ونتوجه إليهم لنسمع الأخبار منهم، وهذا شيء عجيب ومقزز للغاية لأن إمكانيات تلك القناة والعاملين فيها ممن يتحدثون العبرية لن تصرفنا عن متابعة وسائل الإعلام الخاصة بنا ذات البعد الهام في التحليل



المجتمعات العربية المختلفة.

ومن المنتظر أن تعتمد تلك القناة الجديدة أيضاً علي قاعدة تكنولوجية قوية لا تتوافر في أي تليفزيون أو جهاز إعلامي عربي آخر لأن إسرائيل وصلت إلي مرحلة متطورة للغاية في مجال التكنولوجيا لم تصل إليه أي دولة عربية أخرى، فعلي سبيل المثال أنشأت شركة «مايكروسوفت» فرعاً خاصاً لدينا لتصنيع المكونات التكنولوجية وتصديرها بعد ذلك، وكذلك شركة «كومباك» العالمية ونفس الأمر مع شركة «إنيتيل» وجميع تلك الشركات حضرت إلي إسرائيل لكي تستثمر فيها وتكون قاعدة جيدة لها في الشرق الأوسط مركزها إسرائيل. وهو أمر يدل علي مدي تطورنا الكبير. وهذا التطور اعترف به عدد كبير من العرب أنفسهم مثل العالم الأمريكي ذو الأصل المصري «أحمد زويل» الفائز بجائزة «نوبل» للعلوم، والذي قضى أكثر من عام في إسرائيل يقوم بتدريس العلوم الحديثة لطلابنا في المعاهد العلمية المختلفة. وقد حصل «زويل» علي جائزة إسرائيل للعلوم من الطبقة الأولى من معهد

وايزمان أحد أشهر المعاهد العلمية، ليس فقط في إسرائيل، بل في العالم كله واعترف زويل أكثر من مرة بمدى التطور العلمي الكبير الحادث في إسرائيل غير مكترث علي الإطلاق بالانتقادات الشديدة التي وجهت له وعنفته لقيامه بتلك الزيارة. وكان رده دائماً أن إسرائيل تمتلك تقنية تكنولوجية وأساساً علمياً لا يوجد في أي دولة أخرى بالشرق الأوسط.

الأمر الذي يؤكد أنه مهما ساءت العلاقات السياسية بيننا وبين أي دولة فإن تقدمنا العلمي سيجبرها علي التعاون معنا، وفتح آفاق جديدة لتلك العلاقات مع كافة الأطراف التي ستضطر لاستخدام تكنولوجيتنا وعلومنا المختلفة المتطورة والرخيصة عن أي دولة أخرى تتعامل معها تلك الدول. وأياً كان الأمر فإن بلدنا الجميلة إسرائيل حققت تطوراً كبيراً في المجال التكنولوجي والمعلوماتي وهو ما يحقق في النهاية تطوراً ونصراً إعلامي كبير لصالحنا. وهو النصر الذي سيستمر في التحقق مادامنا نمتلك وسائل تقنية متطورة تعجز أي دولة عربية عن امتلاكها.

## الارهاب الإسلامي .. طريق ترابطنا مع القوى الآسيوية

عوزي هاس - بائع في إحدى المكتبات - נתانيا  
من موقع WWW.Walla.co.il  
٢٠٠٢/١/١٤

الذي يجلس فيه كبار الساسة والمفكرين من كلا الطرفين يتحاورون من أجل وضع خطة عامة تهدف لتعميق التعاون بين الطرفين واستمراره وبحرارة أقوى لعقود قادمة حتى لا تعود فقط بالنفع علينا ولكن علي جميع الأجيال القادمة الأخرى التي ستتفع بالتأكد من تلك العلاقة.

وهذه النقطة بالتحديد أثارها عضو الكنيست الحكيم والعظيم "أمنون روبنشتاين" بعد ذلك والذي ترأس الوفد البرلماني الذي زار الهند واجتمع مع رئيس الوزراء "ايتال بهاري فاجبايه" ونجح في بلورة وثيقة تعاون تقضي بتبادل رحلات الأطفال بين نيودلهي وتل أبيب لمزيد من التعارف وغرس بذور الحب بين الطرفين .

فضلا عن نقطة أخرى هامة ، وهي توثيق العلاقات الاقتصادية بين الطرفين والتي وصل حجم تبادلاتها قرابة المليار دولار، وهو رقم كبير وسيزداد في المستقبل، خاصة وأن الرسم البياني لحجم التجارة في تصاعد مستمر ، في حين وصلت الصادرات الإسرائيلية للهند وحدها ٦٢٠ مليون دولار. وهو أمر هام للغاية، خاصة لو وضعنا في الاعتبار أن الهند هي أفضل سوق لبيع التكنولوجيا

قال لي والدي - طيب الله ثراه - ذات مرة وأنا طفل صغير بعد أن كسرت إحدى دميتي "من الممكن أن يكون لديك لعبة جميلة ولكنك دائماً تبتعد عنها ولا تتصور علي الإطلاق أنها ستصبح اللعبة المفضلة لك في المستقبل، إلا أن الأوضاع تتغير بعد ذلك وتصبح تلك اللعبة بالفعل أجمل الألعاب في عينيك ولا تفارقك أبداً ."

تذكرت تلك الكلمات الطيبة بالضبط فجأة خلال متابعتي لنشرة الأخبار مؤخراً ورأيت وزير الخارجية شيمون بيريز يزور الهند ويجتمع مع كبار المسؤولين الهنود ويعلن في ختام زيارته إنه نجح في وضع أسس قوية للعلاقات بين تل أبيب ونيودلهي وهي الأسس التي ستعود بالفائدة الكبرى علي كلا الطرفين .

وزادت سمعاتي لأن كلام بيريز لم يكن مجرد تصريحات سياسية فارغة مثل التي يطلقها كبار السياسيين حالياً ولكنه كان يعتمد علي حقائق وأدلة فعلية أبرزها قيام ثلاثة وفود إسرائيلية بزيارات رسمية إلي نيودلهي وهي الزيارات التي توجت بالنجاح بعد أن أنجز كل وفد المطلوب منه بالفعل.

ففي منتصف ديسمبر الماضي أجري الحوار السياسي السنوي بين إسرائيل والهند ، وهو الحوار

## الإسرائيلية المتطورة.

ومنذ مدة قصيرة أعرب الرئيس الهندي "رمان كوتشيريل" عن رغبته في زيارة إسرائيل وقوبلت تلك الرغبة بترحاب شديد، خاصة من أريئيل شارون الذي أعرب عن نيته زيارة الهند هذا العام ومشاهدة هذه البلاد العظيمة، حتى أنه أمر رئيس هيئة البريد بضرورة إصدار طابع بريد مشترك يوضع فيه العلمين الإسرائيلي والهندي.

وقد أدى كل ذلك - وبمساعدة أبنائنا الأبرار - إلى وضع أساس تعاوني أمني بين وزراتي الدفاع في الدولتين، حيث زار مدير عام وزارة الدفاع النابغة اللواء احتياط "عاموس يارون" نيودلهي ووقع هناك على عدد من اتفاقيات التعاون الأمني وهو التعاون الذي سيولد عملاقاً لعدة عوامل أهمها أن لإسرائيل والهند عدواً مشتركاً وهو الإرهاب الأصولي.

والواضح أن الاستقرار السياسي الذي حظيت به الهند ساعد بصورة أساسية إسرائيل على تعميق العلاقات، وهو الاستقرار الذي تحقق بصورة كاملة عقب انتخابات عام ١٩٩٨ وفوز الحزب الوطني الهندي برئاسة فاجبايه بالانتخابات بعد أن هزم الحزب الاشتراكي وجاء تشكيل الحكومة الهندية ليصبح عامل إيجابي في ذلك الصدد، خاصة ضمها لوزير الدفاع جورج فرناندو الذي يعتز بإسرائيل ويعتبرها دولة هامة تقيد علاقتها بلاده بقوة خاصة في حربها ضد الإرهاب الإسلامي البربري القادم من باكستان والذي يهدد الهند وأمن مواطنيها وهو ما يحدث أيضاً لإسرائيل المعرضة دائماً للإرهاب القادم من الأوغاد الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين وحتى من بلاد العباءات السوداء واللى القذرة "إيران".

وكل تلك العوامل ستزيد من الترابط في العلاقات، خاصة وأننا لو تحدثنا وبموضوعية ووفقاً للمعطيات الحالية والأحداث المتفجرة الصعبة التي تعيشها كلتا الدولتين، فإن إسرائيل والهند تمثلان مع بعضهما البعض النظامين الديمقراطيّين الأساسيين في العالم، اللذان يحترمان الآراء المعارضة الصادرة من الأقليات المختلفة علي أراضيها وبالتحديد الأقليات والجماعات الإسلامية. ورغم الطابع والسلوك الإرهابي الذي تنتهجه تلك الأقليات إلا أن أعضائها يجدون طريقهم للتعبير عن آراءهم بحرية في كلتا الدولتين، فهناك مسلمون في البرلمان الهندي وكذلك أعضاء للحركة الإسلامية في الكنيست. ويكفي ما حدث في الهند التي تعرض مبنى البرلمان فيها

لاعتداء كبير أسفر عن وقوع عدد كبير من الضحايا، وكذلك إسرائيل التي مازالت حتى الآن تشهد عمليات إرهابية بشعة علي يد المتشددین الإسلاميين من داخل البؤر الإرهابية الفلسطينية وكذلك من داخل إسرائيل نفسها، الأمر الذي يفرض علينا مواجهة تلك القوى بحزم ومنعها من استغلال طابع الحرية الذي أعطيناه لها نظراً لأننا يجب أن نضع في الاعتبار أن كل الجماعات الإرهابية في العالم حالياً هي جماعات إسلامية بغض النظر عن اتجاه البعض الآخر منها والذي مهما كان اتجاهه الفكري فلن يقارن بتلك الجماعات التي تحمل دلائل من الكتب الإسلامية المقدسة بضرورة جعل العنف السلوك الأمثل في كافة توجهاتها ووسيلة للتعبير عن أفكارها.

وبالتالي فإن مصلحة إسرائيل والهند واحدة ومشتركة. وعلي سبيل المثال، فقد أوضحت الهند أكثر من مرة بواسطة مسؤوليها الأمنيين أن أخطر عقبة تواجهها في تصديها للجماعات الأصولية الباكستانية الطبيعة الجغرافية الصعبة لمنطقة الحدود الهندية - الباكستانية التي تتمركز فيها تلك الجماعات سواء من طرق جبلية رديئة وحالة طقس وتضاريس صعبة للغاية، وفي هذا الصدد يمكن الاستفادة من إسرائيل نظراً لما لها من خبرة كبيرة في مجال مكافحة الإرهاب حيث، خاضت قبل ذلك حرب عصابات طويلة لأكثر من ١٨ عاماً ضد مخربي حزب الله في جنوب لبنان، وهي الحرب التي دارت في ظروف مناخية وتضاريسية لا تختلف كثيراً عن نفس الظروف المتواجدة في منطقة الحدود الهندية الباكستانية، بالإضافة إلى أنها وجهت في الأساس لعصابات إرهابية إسلامية مماثلة وهو ما سترغب الهند في الاستفادة منها بالتأكيد.

وعلي غرار التحالف الذي كونه الولايات المتحدة في أفغانستان ونجح في القضاء علي التطرف الإسلامي في أفغانستان، يجب علي كبار مسؤولينا الالتفات إلى ضرورة إنشاء تحالف دولي كبير موجه ضد الإرهاب الأصولي مع كبار القوى الآسيوية المختلفة التي أصبحت تمثل حالياً ثقلًا لا يستهان به في العالم ولا تقل عن أي قوة أوروبية موجودة. وسيكون الإرهاب الإسلامي هو الطريق نحو ترابطنا الوثيق مع الهند من خلال ذلك التحالف الدولي الذي سترفرف عليه نجمة داود التي ستحرسه كما تحرس إسرائيل.



# نحتاج لزعيم ليكودي

البعازر بن كسييت - مزارع في مستوطنة "بيت تكفا" من موقع الإذاعة على الإنترنت (٢٠٠٢/١/١٥)

عندما نتحدث عن الفلسطينيين ووسائل العناد والأسلحة التي يملكونها أعترف وبحق أنني أصاب بالرعب والفرع ليس خوفاً علي نفسي فقط ولكن خوفاً علي مستقبل أولادي وحياة زوجتي وأصدقائي حتى والدي الكبير في السن أخشى أن يصيبه مكروه ولا يستطيع أحد إنقاذه. ورغم أنني مجرد عامل بسيط في مستوطنة "بيت تكفا" ولا تشغلني إلا الأنباء الخاصة بالزراعة وأسعار العلف الحيواني أو النباتات إلا أن خبر وصول شحنة من الأسلحة الإرهابية أصابني بالقلق الشديد، خاصة وأن التقارير أكدت أن تلك السفينة جاءت محملة بأطنان من الأسلحة وليس بعشرين أو ثلاثين كيلو جراماً، وبالطبع كان سيتم استخدامها لضرب أراضينا الطاهرة ومواطنينا المساكين.

الوضع بالتالي يحتاج إلى تغيير استراتيجي كبير في جميع البنى الأساسية المتعلقة بمحاربة الإرهاب وهو التغيير الذي يتطلب في الأساس تغيير النظرة للعدو الذي نحاربه والذي تحول من مجرد عدو ينفذ العمليات الانتحارية التقليدية ويعتمد علي تطوير الأسلحة البدائية إلى عدو خطير يحارب بأسلوب استراتيجي لا يختلف عن أساليب الحروب التي تخوضها الدول بأكملها. وتحولت السلطة الفلسطينية ومجموعة السفلة ممن يترأسونها إلى مجرد أناس لم يقدرُوا معروفنا والأراضي التي أعطيناها لهم ويقودون جيشاً منظماً مكوناً من عدة "عصابات إرهابية" تهدف لحرق الأرض من تحتنا.

وقد نادينا في مستوطنة "بيت تكفا" - أول مستوطنة أنشأت في إسرائيل - بضرورة معاقبة السلطة الفلسطينية، خاصة بعد أن تكررت حوادث الاعتداء علي المستوطنات، وهي الاعتداءات التي تقع وللأسف الشديد بالصواريخ التي أنتجتها كتائب عز الدين القسام الإرهابية والتي قرأت عنها وعلمت أن مداها يصل لعدة كيلو مترات وتحمل الواحدة منها متفجرات تزن ١٠ كيلو جرامات. وكانت كتائب القسام تفتخر بتلك الصواريخ وتضع صور لها من خلال موقعها على الإنترنت وتهدد بأن الخطوة القادمة لتلك الصواريخ هو ضرب المستوطنات.

وبالفعل حاول هؤلاء الإرهابيون ضربنا أكثر من مرة، بالإضافة لمحاولتهم ضرب المستوطنات الأخرى الواقعة داخل إسرائيل في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والتي تقع جميعها في مدى الصواريخ الفلسطينية.

ومن هنا تكمن الخطورة بعد أن شاهدنا عشرات الصواريخ والمدافع علي متن السفينة المضبوطة وهو ما يدل علي أن الفلسطينيين يتبعون حالياً تكتيكاً قوياً لتنفيذ العمليات الإرهابية التي تفك بمدننا البسيطة ومواطنينا

الأمين. ووضع أن جلب تلك الأسلحة يهدف في النهاية لانتهاج نفس سلوك "إرهابي حزب الله" الأصوليين الذين كانوا يستخدمون الكاتيشا نموذجاً للردع علي الحدود الشمالية ونجحوا في تحويل حياة أصدقائنا في المستوطنات الشمالية لجحيم هائل يصعب القضاء عليه بسهولة. وبصورة عامة، فإن الوضع بذلك بات خطير جداً، خاصة لو وضع في الحسبان أيضاً تهريب الأسلحة من البلدان المجاورة مثل مصر والتي نعرف كلنا مشكلة السرايب المحفورة تحت الأرض في سيناء، وكذلك الضفة الغربية وجنوب لبنان حيث رُصدت عدة محاولات لتهريب الأسلحة، خاصة بعد أن ثبت أخيراً تورط حزب الله في دعم عدة منظمات إرهابية مسلحة داخل إسرائيل. ويجب أن نلتفت جيداً إلى هذه المحاولات ونواجه تلك الدول الإرهابية علي جميع الساحات السياسية والدبلوماسية حتى ولو وصل الأمر لضربها ومحاربتها. نعم نضربها ولم لا؟ فحزب إسرائيل لإيران لا يعد مستحيلاً إذا تخيلنا وصول تلك الأسلحة إلى الضفة الغربية ونصب المدافع تجاه إسرائيل

إلى متى ستظل إيران تدعم المنظمات الإرهابية الفلسطينية والعربية الموجهة ضد إسرائيل والتي يجب أن توقف ولو بالقوة، وأحمد الله علي كفاءة شباب ومقاتلي الكوماندوز في الجيش الإسرائيلي الذين خرجوا إلى هدفهم منذ يومين ونفذوا المهمة بنجاح، ورافقهم في تلك المهمة الصعبة رئيس هيئة الأركان اللواء "شاؤول موفاز" وقائد سلاح البحرية اللواء "دان حلوتس" اللذان ركبا مع الطائرة وأخذوا يحلقان فوق الحداث حتى تأكدا وشاهدا العملية وكان أول تعليق لموفاز هو إشادته بجدارة وعظمة أولاده. إن هذا الهجوم الإرهابي الذي نتعرض له يستلزم قيادة حكيمة لشخص قادر علي توجيهنا لطريق الأمان، وهذا الشخص يجب أن تكون علي رأس أولوياته الأمن وأن يكون مؤمناً به. إذن وببساطة شديدة، نحن نريد شخص ليكودي تربى في مستوطنة، صلى في المعابد، حارب العرب، يكره الفلسطينيين ولا يحترمهم ويقتل أكبر عدد منهم دون أن تهتز أعصابه حتى يتحقق لنا الأمان ونستطيع التغلب علي تلك الحوادث الإرهابية.

وشارون لن يستمر طوال عمره في الحكم وسيأتي غيره وهو ما أتمنى أن يصبح من الليكود وبالتحديد من جيل الشباب القادر علي حل الأزمات، ويا ليتة يكون بنيامين نتانياهو الذي نندم الآن علي خسارته لانتخابات عام ١٩٩٩ وخروجه من السلطة. فنحن نحتاج بالفعل لزعيم ليكودي قادر علي انتشالنا من الأزمة العالقة بها.

## المشكلة ليست حضارات .. بل دين إسلامي

الدول العربية بصفة خاصة والشرق الأوسط بصفة عامة ، حتى أن المعهد الديني في القدس أصدر دراسة أخيرة أشارت إلى أن أكثر من ١٢٠ كنيسة و ٢٢ معبدًا يهوديًا في الدول العربية لا يتلقون الخدمات الاجتماعية والإنسانية الواجبة بل ويُجبر اتباعها في بعض الأحيان على عدم الذهاب إليها للعبادة ، الأمر الذي يدفع كبار الكهنة والقساوسة في تلك الأدوار إلى اللجوء للقوى الغربية حتى تساعدتهم وتعينهم على ما يتعرضون له من مشاكل واضطهادات دينية ، التي تهاجم بدورها تلك الدول العربية مهددة إياها بتوقيع عقوبات صارمة حال قمعها للحريات الدينية ومعاداة أصحاب الديانات التوحيدية الأخرى، بل وحتى الديانات غير التوحيدية. وقد انعكس ذلك على العلاقات بين تلك الدول والقوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، التي تعتبر حامية الحريات في العالم .

وأبرز مثال على ذلك وجود حساسية كبيرة بين مصر والولايات المتحدة في هذا الصدد ، حيث تواجه الأولي ضغوطاً قوية من الثانية من أجل حماية تلك الأدوار سواء الكنائس المسيحية أو المعابد اليهودية . والمسيحيون في مصر يعلمون ذلك، خاصة وأن الأمريكيين . من ذوي الأصول المصرية . يكرهون النظام الحاكم في القاهرة ويصفونه بالعنصرية لأنه يضطهد ويحقر من شأن كل من هو غير مسلم ... إنها حقاً مأساة.

إذن وكما قلت فالمشكلة هنا مشكلة دين لا حضارة وأبرز دليل على صحة كلامي بجانب كل المعطيات السابقة هو الثقافة العربية المعروفة والتي تأثر بها العالم .

فلو فحصنا جميع الدراسات الخاصة والأدبيات المختلفة الخاصة بالعرب بداية من العصور القديمة حتى الآن سنكتشف، وللأسف الشديد، تميز تلك الدراسات . ويوجد العديد من المفكرين في تلك الدول مثل المصري نجيب محفوظ الفائز بجائزة نوبل للأدب والذي يوجد له العديد من الأعمال المترجمة في إسرائيل فضلاً عن العديد من النماذج الأدبية الأخرى. ولو فحصنا تلك النماذج وأعمال الأدب العربي سنكتشف أنها تحمل العديد من النواحي الفنية الراقية الجميلة في ثناياها بشكل يعكس الطبيعة الفكرية للعرب، خاصة أن حضارتهم حضارة متطورة لا تصطدم في جوانبها المختلفة مع الحضارة الغربية .

ومن ثم فالحل هو "التصالح الديني" بين أتباع الديانات التوحيدية، وهو ما يجب أن يتم من خلال اللقاءات والمؤتمرات المختلفة التي تجمع كبار رجال الدين في تلك الديانات ، مثل "ملتقى الديانات" الذي يعقد حالياً في مدينة الإسكندرية الساحلية والذي أرجو أن يخرج بتوصيات تضع أسساً للتعاون والحب بين أتباع الديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام وتخفف ولو قليلاً من الكراهية الإسلامية للآخرين .

تحول مصطلح "صراع الحضارات" الذي يُداول حالياً في الشرق الأوسط إلى المصطلح الرسمي لأغلب العرب لوصف الصدام الحادث حالياً بين ثقافتهم وفكرهم من جانب، والثقافة والفكر الغربي من جانب آخر، ووسيلة لتبرير الهجوم المتواصل الذي يتعرضون له في وسائل الإعلام العالمية سواء الأمريكية أو الأوروبية التي تنتقد بموضوعية وصراحة شديدة ما يدور في تلك الدول العربية من انتهاكات . وقد تصاعد ذلك الهجوم بشدة بعد الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر الماضي وأسفرت عن مصرع المئات ، وبعدما أكدت التحقيقات الأمريكية ضلوع عدد من الشباب العرب فيها . وقد تزايد الشعور العربي بالاضطهاد من المعاملة السيئة التي كانوا يتعرضون لها على يد السلطات الرسمية الغربية، حيث كانت توبخهم وتضيق الخناق عليهم وتحث المواطنين على الابتعاد عنهم مصنفة إياهم كإرهابيين يجب الحذر منهم وحظر الاختلاط بهم ، ووصل الأمر إلى حد منع عدد من رحلات الطيران المشتركة بين عدد من تلك الدول والدول العربية، بل ومنع إقلاع العديد من رحلات الطيران المتوجهة للدول الغربية وأمريكا بسبب وجود مواطنين عرب على متنها . والواضح أنه - ومن خلال قراءتي للأحداث سواء التاريخية أو الحديثة الحالية - تبلورت لدي فكرة هامة مفادها أن المشكلة في الصراع بين الغرب والشرق تعتبر في الأساس مشكلة عقائدية دينية وهذا ما يجب أن نقر ونعترف به .

ورغم كل المصطلحات والمسميات الضخمة التي يرددها العرب من أجل التصدي لموجة الكراهية الغربية لهم ورغم مجهوداتهم من أجل صد ذلك الهجوم ، إلا أنهم لا يعترفون بتلك الحقيقة ربما لحساسية تلك المسألة الدينية لديهم .

إن الفكر الديني لديهم وبالتحديد لدى المسلمين منهم يعتبر وبكل صراحة فكراً متطرفاً وأصولياً ، حيث حمل كتاب المسلمين المقدس "القرآن" قطعاً وعبارات إرهابية تكره الغير ولا تحترم أديانهم بل وتعلن كل من لا يدين بالإسلام سواء كان يهودياً أو مسيحياً ، ويا للكارثة لو كان لا يؤمن بعقيدة التوحيد فيعتبر في نظرهم كافر لا يستحق شفقة أو رحمة . وهذا خطأ كبير وفادح أن تكفر ديانة أتباع ديانة أخرى أو اتجاه روحي معين بسبب عقائدهم لأن هذا يولد العنصرية والكراهية الفطرية للغير من خلال المساوي التي وضعها المسلمون على مر التاريخ مع كل من لا يتبع الإسلام ويدين به ، بداية من فرض مبدأ الجزية الذي يقوم على أن يدفع كل من هو غير مسلم مبلغاً من المال مقابل حمايته وحتى سياسة هدم أدوار العبادات الأخرى مثل الكنائس والمعابد وتصنيفها كأدوار عبادة للكفار والمشركين ممن لا يعترفون بالله ولا يثقون بوجوده ، فضلاً عن الوضع المتدهور والسيئ الذي يعيشه العديد من هذه الأدوار في



## حوارات

معاريف ٢٨/١٢/٢٠٠١  
بقلم /دان شيلون

### حديث خاص مع إيلي يشاي

=إيلي يشاي ، هل يمكن اعتبارك "فتجري كلام" مثل  
مسدس الصوت ؟  
- أنا لا أستخدم تلك الألفاظ على الإطلاق ؟  
= ولكن هذا بالفعل ما تفعله ؟  
- لقد بذلت الكثير من أجل إقامة تلك الحكومة ، وعملت  
بشكل شخصي حتى يصبح أريئيل شارون رئيساً للوزراء ،  
واليوم أحافظ على تلك الحكومة من اليمين ومن اليسار .  
= تحافظ على وجودها ولكنك تهدد بقائها ؟  
- لا أستطيع أن أكون شريكا في حكومة لا تخدم الطبقات  
الدنيا من الشعب . إن مثل تلك الحكومة لا وجود لها بيتنا .  
= ولكنك تبدو كمن يستخدم مسدس أطفال دون أعيرة  
حقيقية ؟  
- الجميع يقولون ذلك . وأيضا في الحكومة السابقة قالوا  
لنا : لا تستقيلوا من الحكومة فلن تجرأوا على الانسحاب  
ولكننا انسحبنا على عكس كل التوقعات . وإذا كان هناك  
اختيار بين كرسي الوزارة في حكومة شارون وبين مساعدة  
الفقراء فإنني سأختار المعارضة ، ولا يمكن اعتبار المعارضة  
معاقبة ، فهي جزء من خدمة العمل الوطني .  
= هل خانك شارون ؟  
- إذا استمر شارون في السير خلف كلاين محافظ  
البنك القومي الإسرائيلي وخلف رجال وزارة المالية فإنه  
يريد الانتحار .  
= يريد الانتحار ؟  
- إذا سار خلفهم فإنه كمن يريد الانتحار .  
= وعندئذ يكون قد خانك ؟  
- أشعر بضرر بالغ عندما لا ينصت شارون للضعفاء .  
فهناك بدائل متعددة للأزمة الطاحنة التي تمر بها إسرائيل .

= هل ستصوت ضد الميزانية في الكنيست ؟  
- نعم .  
= ألن تفكر قليلا وتمتنع عن التصويت ؟  
- سأصوت ضد الميزانية ! .  
= هل سترفع يديك ضد الحكومة ؟  
- كل وزراء شاس سيفعلون ذلك ، بكل ما يتضمن ذلك من  
مضامين سياسية ؟  
= ولكن تلك المضامين تعني استقالتكم من الحكومة ؟  
- لن نستطيع التصويت لصالح تلك الميزانية ، حتى وإن  
كان المعنى هو استقالتنا من الحكومة .  
= ولكن لا وجود لك أو وزراء شاس أي مكان في المعارضة ؟  
- أنا أعيش الواقع ، ولقد نضجت وسط الجمهور وبين  
الطبقات الدنيا من الشعب .  
= ولكنك ستبتعد بذلك عن حياة المناصب ؟  
- المعارضة لا يمكن أن تكون عقاباً . ففي الثمانية عشر  
عاما الماضية كنتم تقولون أن أحزاب المعارضة هي  
للمغضوب عليهم ، هذا ليس بسبب كراهيتنا للمعارضة ،  
ولكنني - كمندوب عن الجمهور - إذا وجدت أنه لا يوجد  
سبيل لخدمة الجمهور فإنني لن أصبح شريكا في هذه  
المسرحية أو تلك اللعبة .  
= ولكن الانتخابات الجديدة ستحطمتك وتحطم حزب  
شاس ؟  
- لقد قالوا لي هذا أثناء فترة ولاية باراك ، وكان هذا  
آخر شيء أريد فيه ، ولكن إذا كنا في وضع الاختيار فإننا  
سنفعل ما يملية علينا ضميرنا .  
= وعندئذ سينخفض عدد مقاعد الحزب من ١٧ مقعداً  
إلى ٨-١٠ مقاعد !

- انظر ، لقد قدرنا البعض أننا سنحصل على عشرة مقاعد . وإذا أعطونا عشرة مقاعد قبل الانتخابات - وقبل أن تشتمل الأوضاع الانتخابية - فإني سأكون هادئاً .

= وهل يعنى هذا أنك ستقوم بشراء عشرة مقاعد فى الكنيست ؟

- أنا لا أفعل هذا ، ولكن عندما يتم تغيير طريقة الانتخابات ويتم التصويت فى ورقة انتخابية واحدة فإننا نتق فى الحصول على ١٧ مقعد فى الكنيست .

= شاس لم تكن مثلما كانت عليه فى الماضى ؟

- يشأى بيتسم !

= لماذا تضحك ؟

- أضحك لأنه لا يوجد أى حزب اجتماعى فى إسرائيل سوى شاس وكل من ينشرون لافتات تشير إلى إصلاح البنية التحتية والتعليم وباقى النواحي الاجتماعية لا يفعلون شيئاً . وفى وقت الجد نصبح الحزب الوحيد الذى يواجه الصراع ويناضل بحزم ، والحزب الوحيد الذى يوفر مليارات الشواكل للطبقات الدنيا . إننى أتحدث عن حزب شاس ولذلك فأنا لست قلقاً .

= عند بداية خوض المعركة الانتخابية هل سترشح بنيامين نتانياهو ؟

- ليست لدى أية مشكلة مع نتانياهو ، وسنخوض الانتخابات معه .

= هل يعتبر نتانياهو شخصاً مفيداً لليهود ؟

- إذا رشح نتانياهو نفسه ضد حزب العمل ، فإننا سنخوض الانتخابات معه .

= هل تأسف اليوم على أنكم كبحتم عودة نتانياهو ، ولم تصوتوا على حل الكنيست ؟

- ما فعلناه كان خطوة صحيحة للغاية ، وهى إحدى أفضل الخطوات التى قامت بها حركة شاس .

= وحتى إن كان هذا من الناحية النفعية ؟

- كلا ، لقد كان هذا من الناحية المنطقية .

= وهل يعتبر المنطق - فى نظرك - هو المصلحة السياسية ؟

- لن يقوم أحد بإملاء قواعد اللعبة السياسية علينا . لقد قلت لبنيامين نتانياهو : لديك ما يسمى «قانون بيبي» .

وكنت سأخوض الانتخابات معه . ولكن إذا كانت هناك انتخابات للكنيست ويحين موعدها بعد ثلاثة أشهر من الإعلان عن حل الكنيست فإن باراك كان سينهى اتفاقاً ما وكان سيقود الدولة إلى كارثة محققة . ولذلك فقد عملنا على كبح تيار التنازلات البعيدة المدى ، واتجهنا إلى الحكومة اليمينية التى تطمح لتحقيق أهداف لا بأس بها .

= عن أية أهداف تتحدث ؟ وهل ترى أن وضع الطبقات الدنيا فى إسرائيل هو الأسوأ فى تاريخ الدولة ؟

- لقد زادت الفجوات حقاً ، ولكن فقراء إسرائيل لا يعيشون فقر مدقع ، وإذا لم يكن هناك حزب مثل شاس لكنا شاهدنا أرجنتين ثانية .

= هل يعتبر نجاحكم الكبير منذ إقامة الحزب هو الاهتمام بالآلاف العمال الذين تعولهم ؟

- الحمد لله ، أعمالنا لها صدى على أرض الواقع طوال

فترة رئاستى للحزب .

= هل تستطيع تأكيد هذا ؟

- كلا ، اسمعنى جيداً ، لقد بدأنا أعمالنا من اليوم الاول بعد ظهور نتيجة الانتخابات . ونحن موجودون وسط الجمهور يوماً بيوم فعندما تعمل وتسخر جهاز ضخم لخدمة الجمهور فإنك ستحصل على نتيجة إيجابية لذلك الجهد .

= آرييه درعى الورع ؟

- آرييه درعى شخص غال بالنسبة لى للغاية .

= هل هو رجل ورع ؟

- نعم ، هو رجل ورع ، وقد فعل الكثير من أجل حركة شاس .

ولكنه سرق أشياء كثيرة ، فقد تم اتهامه بارتكاب مخالفات فظيعة . إلا أنني مؤمن أنه برئ .

= ولا تتق فى حكم تلك المحاكم بمختلف درجاتها وفئاتها ؟

- أتمنى أن يكون لدرعى حكم استئناف يعلن فيه أنه برئ ، وإن كانت هناك محاكمة فى محكمة العدل العليا فإنه سيحصل على البراءة بشكل مؤكد .

= ولكن لماذا يبدو لى أنك لا تريد أن يخرج بريئاً من تلك القضية ؟

- أتمنى بشدة أن يخرج بريئاً .

= أنت تقول هذا قولاً وليس فعلاً ، فأنت لا تريده بريئاً فى الواقع .

- دان ، أنت يهودى غير مؤمن ، لماذا تقول هذا ؟

- أما أنت ، فرغم أنك يهودى مؤمن إلا أنك بشر من لحم ودم وآرييه درعى يعرض مكانتك داخل الحزب للخطر !

- آرييه درعى لا يعرض مكانتى داخل الحزب لأى خطر ، ليته يخرج بريئاً ويعود للحياة السياسية وسأوافق على كل ما يقوله ويحكم به الراب عوفديا يوسف ، فلن أتمسك بالسلطة أبداً .

= ولا تخاف من خروج درعى من السجن ؟

- "قلت لك ، كلا"

= هل ستقاسم معه زعامة الحزب ؟

- ما يحكم به الراب يوسف على درعى سيقوم بتنفيذه ، وما سيحكمه علي سأنفذه ، وما سيقوله لنا سنفعله سوباً .

لم تكن هناك أبداً أية كراهية فى حركة شاس داخل المعسكران (معسكر ومعسكر درعى) بالنسبة لى ، فإن أى فرد يدعى أنه موال لى ويقوم بترديد أقوال ضد درعى فإن مصيره هو الطرد من الحزب ، ومن دائرة معارفى . وعلى العكس من ذلك فإنه لشدة أسفى هناك العديد من الشخصيات المرافقين لدرعى يقومون بهذا ، رغم أن درعى نفسه يرفض ذلك . لذا فقد حان الوقت لعدم التطرق إليهم بشكل عام .

= ما هى آخر مرة تحدثت فيها إلى درعى ؟

- منذ حوالى ستة أشهر .

= ستة أشهر لم تتحدث فيها مع أفضل الصديقين ؟

- نعم ، لمدة ستة أشهر .

= ألم تشعر بالرغبة فى مكالمته هاتفياً وهو فى السجن ؟



- عندما تستوجب الضرورة ، وعندما أشعر بالرغبة في التحدث مع درعى أو عندما يشعر هو بتلك الرغبة فإننا نعلم الوسيلة التي نتحدث بها . إنه يتحدث مع العالم بأكمله ، ولكن لماذا لا يحدثك أنت خصوصاً .

كنت سأشعر بالسعادة الجمة لو كنت تحدثت إليه ، وأشعر بالأسف لأن هناك أشخاص يريدون إبعادنا عن بعض ، وفي نهاية الأمر فإن هؤلاء الأشخاص سيدركون لاحقاً أنهم ارتكبوا جرماً فظيماً .

= لماذا تضطهد الهجرات الروسية ؟

- لقد كنا في حركة شاس نصلى نهاراً وليلاً حتى يصل اليهود الروس إلى إسرائيل ، ولكننا صلينا من أجل مجئ اليهود المتدينين وليس من أجل اليهود المزيفين .

= ولذلك فأنت تضطهد تلك الهجرات ؟

- لن أسمح باستغلال الخروج عن القانون للسماح لهؤلاء المدعين بالمجئ إلى هنا . ولكنى سأبدل قصارى جهدى لمحاربة التصاريح المزيفة وجوازات السفر المزورة .

= وهل ستوافق على إعطاء اليهود حق الشذوذ الجنسي ؟

- كلا .

= لماذا ؟

- إنها مشكلة طبية . وحتى اليوم يتم تسريح العديد من الجنود من الجيش بسبب تلك التصرفات .

= لقد كان هذا منذ زمن . ولكن إذا افترضنا أن هذا مرض ألا يتم إعطاء المرضى بعض الحقوق ؟

- إنها مشكلة طبية عويصة ، وإذا شجعناها فإن هناك خطورة على الأصحاء أن يسيروا في ذلك الاتجاه .

= ولكن الشواذ لا يشعرون أنهم مرضى ، بل أنهم فخورون بما يفعلونه ؟

- لم أسألهم ، بل أشفق عليهم .

= ما تقوله يعتبر تطرف عنصرياً ؟

- لماذا ؟ أنا أشفق عليهم ، هل تعتبر الشفقة عنصرية .

= وإذا جاء أحد أطفالك إليك وقال لك : أبى ، لدى ميول للشذوذ الجنسي ، ماذا ستفعل ؟

- بعداً للشر ، والعياذ بالله . هذا لن يحدث .

= ولكنه قد يحدث . فليس لك سيطرة على هذا ؟

- هذا لن يحدث ، لأن أى إنسان يشعر بتلك الأعراض فإنه يدرك كيف يعالج نفسه ، وأن يتصرف كما يتوجب على أى إنسان فعله ، وبهذا سيخرج من تلك الدائرة .

= هل أنت واثق من هذا ؟

- أنا مقتنع بما قلته ، إننا نصلى ألا يخرج الأمر من أيدينا ، وأنت يا دان كشخص يهودى غير متدين كنت ستصاب بالاكْتئاب إذا أصيبت ابنتك أو ابنك بتلك الأعراض . فإذا حدث لشخص متدين مثل تلك الأمور وشعر بتلك الانحرافات فإنه سيقوم بتقويم نفسه ولن ينجر خلف ما ينجر إليه الآخرون .

= وإذا قرر أحد أبناءك تكرار هذا السؤال ؟

- لقد ربيت أطفالي على التوراة واحترام وصايا الرب .

= وإذا حدث هذا ، هل ستطرده من المنزل ؟

- أمل أن يسير أولادى في الطريق الذى رسمته لهم ، ولكن إذا والعياذ بالله تثقف أحد اليهود المتدينين بثقافة

مريضة فيجب عندئذ الاقتراب منه بشدة وليس العكس .  
= نعود من فضلك إلى السياسة . هل يمكن اعتبار أريئيل شارون شخصاً فاشلاً ؟  
- كلا .

= الأمر الوحيد الذى كان شارون فيه واعداً وصادقاً هو لا سلام ولا أمن ولا اقتصاد ، هل هذا صحيح ؟  
- صحيح إننى محبط من شارون فى المجال الاقتصادى ولكن بالنسبة للمجالين الأمنى والسياسى ، فهو يتصرف بحكمة شديدة .

= أى حكمة تتحدث عنها ، إن رئيس الوزراء يقول أن مشروع بيريز للسلام يمثل خطراً على وجود الدولة ، ثم يأتى بعد ذلك ويعطى الجباية والحماية له ، ويرعى ورقة بيريز - أبو علاء ؟

- لقد أخطأ رئيس الوزراء عندما تحدث عن الدولة الفلسطينية فى الوقت الذى كان فيه الإرهاب يقضى على الأخضر واليابس .

= أين حكمته التى تتحدث عنها إذن ؟

- لقد أخطأ شارون عندما تحدث على هذا فى ذلك الوقت ، ولكنه أيضاً قال أنه إذا تم تحقيق السلام ستكون لهم دولة فلسطينية .

= هل تؤيد الاعتراف بالدولة الفلسطينية ؟

- أنا لست مستعد لإجراء مفاوضات أو مباحثات من خلف ظهورنا ولا أريد العودة لما فعلوه فى أوسلو ، لقد طلبت من رئيس الوزراء التعامل بمنتهى الشفافية ، فلن أصبح شريكاً فى شئ لا أعلمه .

= وفى هذا الخصوص ؟

- لست مستعداً للتحدث فى هذا الأمر فى الوقت الحالى ، فمن المحذور علينا التحدث فيه طالما استمر الإرهاب .

= لقد حيد شارون وزير خارجيته بيريز عندما أعطاه الحماية لما يفعله ، وذلك لكى يفوز بتأييده وتأييد حزبه حول الميزانية ؟

- تأييد حزب العمل للميزانية أمر أصابنا بالأسف .

= هل هى مناورة سياسية ؟

- لا أعلم إن كانت هناك مناورة سياسية ، قبيحة أو عفنة .

= أنت تعلم أن هناك مناورة ؟

- إذا كانت هناك مناورة فإن هذا سيصبح أمراً خطيراً .

= إذن فقد كان الرب عوفديا يوسف عبقرياً .

- دان ، الذين لا يعرفون الرب ويلتقون به يخرجون بعد ذلك قائلين لى : إيلي ، كم تعرض الرب للظلم . إنهم يندهشون من قوته ، ومن عبقريته !

ومن السخف إعطاء عبقريته أى تقويم ، اقرأ الكتب التى كتبها ، إن كل عباقرة العصر يقولون أن تفاسير الرب لأحكام الديانة لم يكتب مثلها منذ مئات السنين .

= حكيم وعبقرى مثله يلعب يوسى ساريد بأنه فرعون أو أحد العمالقة الذين يجب تدميرهم وفى نفس الوقت يعد بالاحتفال على قبر شلوميت ألونى ؟

- الرب عوفديا لم يقصد الموت الجسدى لشلوميت

ألوني. إنما أراد القول أنه سيعقد احتفالاً لخروجها من عالم السياسة. أما في مسألة يوسى ساريد، فقد أشار إلى أن ساريد يتصرف مثل العمالقة لأنه يريد إبادة وجود وجذور الشعب اليهودي.

= ولذلك فهل من المسموح بإباحة دم ساريد ؟  
- الرب عوفديا لم يستبح دمه، ولم يريد التحريض، وإنما قال ما يريد، وقد انحاز الجمهور بأكمله لما قاله.

= الرب لا يحترم النساء !  
- القليل من البشر الذين يقدمون هذا الكم الهائل من الاحترام للمرأة مثلما يفعل الرب عوفديا .

= لقد قال الرب أنه إذا مر رجل بين امرأتين فإنه كمن يمر بين حمارين فهل يعتبر هذا احترام ؟

- أنا أجلس مع الرب واتحدث إليه، والمشاعر التي يظهرها للنساء تدهش أي فرد .

= وهل يمكن القول أن العبور بين سيدتين مثل العبور بين حمارين ؟

- لقد قال الرب ما ذكرته الوصايا الصوفية ( القبالا )، من المحذور المرور بين سيدتين أو بين شجرتين معينتين. إذن ماذا في هذا ؟

= وهل تعتبر النساء مثل الأشجار أو مثل الحمير ؟  
- من المحذور أيضاً العبور بين رجلين في بعض الحالات المعينة، إننا ندخل بذلك إلى علم الصوفية، وأنا لم أدرس الصوفية جيداً، ولكن من يدرس ذلك العلم يستطيع تفسير ما نقوله بشكل آخر .

= هل تريد إقحام زوجتك "تسيفي" في مسيرتك السياسية ؟

- كم اعتز بزوجتي، وأنا أحافظ على منزلي بشدة ولن أدخل زوجتي أو أطفالي في السياسة .  
= ولكن ألا تستشيرها ؟

- زوجتي امرأة متواضعة جداً، وبطبيعة الأمور فهي تستمع إلى أشياء كثيرة، ولذلك فهي تمنحني بعض النصائح .

= وهل تهتم بآرائها ؟  
- لدى امرأة حكيمة، وكل نصيحة تمنحها لي كانت مفيدة للغاية .

= هل ستؤيد إعطاء السيدات مكانة سياسية ؟  
- كل فرد يفعل ما يؤمن به، وكل رجل سياسي يعرف أين يضع زوجته، في المواجهة السياسية أو بعيداً عن تلك الممارك. وهناك زوجات لا تسأل أزواجهن عن موافقتهم في دخولهن عالم السياسة .

= مثل زوجة وزير المالية ؟  
- لقد قال سيلبان بنفسه أنه لا يسأل زوجته عندما يقوم بإجراء أي حوار صحفي، كما لا تسأله زوجته عندما تقوم بإجراء حديث صحفي، كل زوجين ونمط حياتهما .

= هل سيخدم ابنك في الجيش مثلما فعلت أنت ؟  
- لقد خدمت في الجيش، وأغلب ناخبي حركة شاس وكل أعضاء الحركة خدموا أيضاً في الجيش، ولكنك ستجد وزراء في حزب العمل وميرتس لم يخدموا في الجيش .

= وابنك وابنتك هل سيخدمان في الجيش ؟

- سيفعل ابني ما يرغب فيه، وما يفهمه .  
= ولن تتدخل في قراراته ؟

- سأطمح أن يكون ابني حاخاما متخصصاً في التوراة .  
= عملاقاً في التوراة وقرماً في الجيش ؟

- عندما يكبر ابني ويصبح بالغاً بالقدر الكاف سيقرر ما سيفعله وسيقرر في أي سن سيخدم في الجيش، فهذا شأنه .

= نعم، هل أنت شخص حساس ؟  
- أجل، لدى مشاعر جياشة .

= هل تتفاخر بقوتك ؟  
- أنا مندوب الجمهور، وما أقوله دائماً لأصدقائي هو:

احذروا من التباهي بالقوة، يجب أن تعلموا أنكم نواب عن الشعب، فلا تسقطوا في هوة القوة أو جرم التفاخر .  
= أنت تشبه النجم اللامع المتدين ؟

- ماذا تعني ؟  
= زوجتي على سبيل المثال تقول أنك رجل جميل، والوظيفة التي تناسبك هي عارض أزياء . هل فكرت قبل ذلك فيما قالت زوجتي ؟

- أشكر خالق الكون على كل ما أعطاه لي، فهناك طفل يولد جميلاً وهناك طفل آخر يولد أقل جمالاً، وهناك طفل له صوت عذب وهناك غير ذلك، وهذا خلق الله .  
= تهتم بملبسك بشدة !  
- يشاي يبتسم !

= لماذا تضحك ؟  
- أضحك، لأن كل فرد يهتم بمأكله ومشربه وملبسه .

= ولكنك لست شخصاً كاريزماتياً مثل درعي على سبيل المثال ؟  
- أنا أتصرف بما أملك، أما الكاريزما فهي هبة من الله .

= وهل يمكن أن يحدث هذا ؟  
- أي فرد لم يولد قائد، ولكنه بمرور الوقت يتعلم من الحياة .

= لقد اختارتك صحيفة معاريف أكثر رجال دولة إسرائيل إثارة من الناحية الجنسية هل تسبب لك هذا في شيء ؟

- لم أفكر في الأمر .  
= لا أصدقك ؟  
- لست مجبراً أن تصدقني .

= حاول أن تقنعني !  
- لقد كان من المثلى على بشدة أن أقوم بالابتعاد عن العديد من الظروف القاسية التي يتعرض لها أي رجل .

= ولكنك في النهاية بشر !  
- نعم، أنا بشر، ولكني لست عازياً، أنا رجل متزوج ولدي زوجة ولدي أطفال، ربما يكون من الجميل أن أسمع أنهم يصفونني بالوسامة. ومثل أي شخص في العالم عندما يقولون أنه وسيم فهذا يكون إطراء عليه، ولذلك فأنا أقول للجميع شكراً لكم، ولكن هذا الأمر ليس أساسياً في حياتي = إيلي يشاي، شكراً لك .

= نعم أدرك ذلك



# إنه يفسد لنا الصراع

هاآرتس ٢٧/١٢/٢٠٠١  
بقلم: فيريد ليفي بيرزيلي

في شتاء عام ١٩٨٠ اندهش طلاب قسم الفلسفة بجامعة بير زيت متسائلين أين اختفى محاضرهم الدكتور ساري نسيبه . وعندما عاد قص عليهم أن أحد زملاء الإنجليز أرسل إليه كتاباً فريداً من نوعه يحمل عنوان "الحفل" بقلم / كيت ويليامس وكان الكتاب في مضمونه يمثل لغزا على طريقة "ابحث عن الكنز" وكان ذلك الكنز هو أرنب ذهبي صغير موضوع في منطقة ما بانجلترا . وقد نسي الدكتور نسيبه القضية الفلسطينية والفلسفة الإسلامية ( د . أستاذ الفلسفة الإسلامية ) وغرق بكامل فكره في محاولة لفك طلاسم ذلك اللغز وبعد عدد من الليالي لم يذق فيها طعم النوم سمعت زوجته صرخة سعادة مدوية انطلقت من حجرة عمله ، لقد كان مقتنعا أنه توصل إلى الحل . إن الأرنب مدفون في نقطة محددة في مقاطعة سساكس في جنوب شرق إنجلترا ، وفي نفس اليوم اتصل بصديقه بسام العيسى وهو أحد المهندسين القاطنين بانجلترا وقال له " انتظرني في المطار هذا المساء ، ولتحضر معك فأساً " . وعندما هبط من الطائرة خرج الاثنان بسيارة العيسى دون أن يستريحا في سساكس ، لقد كان البرد هناك يجمد العظام ولكنهما خرجا في منتصف الليل وعندما اقتريا من النقطة المنشودة اتضح لهما أنها تقع داخل ساحة كبيرة محاطة بالأسوار من كل جانب ، ثم اقترح العيسى عليه الذهاب في الغد حتى يصبحا في وضع النهار ولكن د . نسيبه بدأ في تسلق الجدار وبعد فترة قصيرة هبطا على الأرض الخضراء ثم تحسسا طريقهما في الظلام حتى قال نسيبه " هنا " ثم بدأ في الحفر ، لقد حفرا وحفرا حتى الصباح ، ولكنهما لم يعثرا على أي أرنب . ثم عاد نسيبه إلى منزله بعد ثلاثة أيام خائب الرجاء ، واجداً صعوبة في العودة إلى عمله التقليدي . ومر عامان وقرر ويليامس نشر حل اللغز وكشفه في كتيب صغير ، وقد أسرع نسيبه إلى شراء ذلك الكتاب - بالمناسبة ذلك الكتاب موضوع فوق أحد أرفف مكتبته حتى الآن - وقال لماذا ؟ إن الحل الذي توصلت إليه أفضل بكثير . إنه قريحة تفكيرى ، وأنا لست مستعداً أن أهدم نظريتي فقط بسبب وجود حل قتي ابتدعه شخص غيرى .

إن ما حدث لم يكن المرة الأولى كما لم تكن الأخيرة ، فقد اكتظت حياة نسيبه بالعديد من الأحداث التي تصيبه بالإحباط بسبب فكره المتميز الذي يتحطم على أرض الواقع . لقد كان هذا في بداية الثمانينيات عندما وجد صعوبة شديدة في فهم رفض إخوته الفلسطينيين قبول اقتراحه العبقري بالانضمام إلى إسرائيل كمواطنين لهم نفس الحقوق .

وفي عام ١٩٩١ وبعد أن أجرى اتصالاً هاتفياً عادياً مع أحد الأشخاص الذي عرض نفسه على أنه سفير العراق في تونس وسأله أين وقعت الصواريخ العراقية فأجاب دون تفكير " في مكان ما في تل أبيب " وبعد ذلك تم القبض عليه بتهمة التجسس لمدة ثلاثة أشهر . وقد حدث أيضاً شئ مماثل يوم الأحد الماضى عندما ارتدى أزهى ملابسه احتفالاً بعيد الفطر وقام - بإسم منظمة التحرير الفلسطينية - بدعوة العديد من المثقفين ، وبعد فترة قصيرة تم إبلاغه أن ذلك الاحتفال قد تم إلغاؤه بواسطة السلطات الإسرائيلية كما تم التحقيق في الشرطة الإسرائيلية .

= وماذا حدث لك عندما قامت الشرطة بإلغاء الاحتفال بشكل مفاجئ في فندق "إمبريال" وقامت بالتحقيق معك في قسم الشرطة ؟

- "لقد كنت مندهشاً ، فعندما تم الاتصال بي وقفت أمام المرأة وقمت بحلق ذقتى ولم أفهم ما هي القصة بالتحديد . ولم أتخيل أن هناك مشكلة في عقد احتفال مثل هذا بمناسبة عيد الفطر " .

= ولكن ما الأسلوب الذي تتخذه ، هل وداعة أم تظاهر بالسذاجة ؟

- "أعتقد أنها وداعة ، وأظن أن الناس يعتقدون ذلك بالنسبة لى ، إن أغلب أصدقائى يقولون هذا على " .

= ولكن هل تمت إهانتك أو إكسابك مثل هذا الشعور ؟  
- "كلا ، لقد عاملونى بلطف ، وبشكل طبيعي . لقد كانت الشرطة على أحسن ما يرام في تعاملها معى . فمن الصعب أن يعاملنى أحد بذلك ، فمن يحترم نفسه يحترمه الآخرون " .

= وهل غضبت من هذا ؟

- "كلا ، لقد كنت مندهشاً ، وبعد فترة طويلة شعرت بالقليل من التسلية من ذلك الأمر . ولم يكن من الصعب توقع نتائج تلك الخطوة القريبة في إسرائيل وفي العالم أجمع . ولم أظن أن رمز منظمة التحرير الفلسطينية عام ٢٠٠١ سيؤدى إلى ذلك الرد العنيف . ولكن منذ اللحظة التي أعلن فيها أن ذلك الحفل سيتم اعتباره وأنه يمثل تهديداً أو إعلاناً للمواجهة السافرة ضد الإسرائيليين حتى حدث ما حدث ، ومن الواضح أن هناك العديد من النقاط في تلك الحادثة ستصبح في صالحنا " .

= إذن فإن الحادث الذي كنت في مركزه وتسبب في خلق اضطرابات إعلامية في إسرائيل وفي العالم أجمع مر عليك دون أن يترك أى رواسب شعورية ؟

- "هذا صحيح ، أنا إنسان بإمكانه كبح زمام أعصابه ، وأسعى دائماً أن أكون رجلاً عقلاً ، ولكن هذا لا يعنى

أننى بلا مشاعر ولكنى لا أجعل المشاعر تتحكم فى تصرفاتى . وبشكل عام فإننى أستخدم أساليب متعددة للتعامل مع تلك المواقف ومع المشاعر والأحاسيس السلبية حتى لا يجبروننى على فعل تصرف معين . ومن المحتمل أن أكون قد أخطأت . ولكنها وجهة نظرى الشخصية ، فأنا لست خبيراً فى التعامل مع الآخرين أو شئ من هذا القبيل ، ولكن يبدو لى أنه من الجدير للبشر أن يفكروا بعقولهم وليس ببطونهم " .

#### أصدقائى

#### هجمة على قرية ياسيف :

فى يوم الخميس الماضى ، الساعة الرابعة بعد الظهر ، بدأ الحوار مع نسيبه خلال سفره إلى قرية ياسيف فى الجليل ، حيث سيحضر حفل سيكون فيه ضيف الشرف . أما المحامى جواد بولس فقد قاد السيارة وكان فى السيارة المضيف والمستشار القضائى لسارى نسيبه - وهو المستشار القضائى واليد اليمنى لفيصل الحسينى - وفى منزله كان ينتظره رؤساء تحرير بعض الصحف مثل "الاتحاد" و"كل العرب" و"فصل المقال" و"السنارة" ، فضلاً عن بعض أعضاء لجنة المحررين .

وبعد ذلك اتضح أن نسيبه يجذب النيران إليه من جميع الاتجاهات ، وما كان من المقرر أن يصبح حفل تبرعات إلى المدرسة الثانوية سرعان ما تحول إلى ساحة ترقب علنية . فالتصريحات التى كتبها ورددها نسيبه فى الماضى - فيما يتعلق بالتنازل الفلسطينى عن حق العودة ، وممارسة العنف بين الطرفين ، والتنازل عن مصطلح الانتفاضة كوصف لما يحدث فى المنطقة - جعلت كل الحاضرين يقفزون من فوق مقاعدهم فى القاعة . وبدعوا يتحدثون إلى نسيبه بلهجة ضمنية . حتى أن أحد الأشخاص توجه إليه بلهجة شديدة : « أنت تتحدث كمن يقف موقف المتفرج ويعطى بعض المقترحات لقادتنا ولكنك جزء من تلك القيادة ، أليس كذلك ؟ إذن فأنا أطلب منك أن تكون حذراً فى أقوالك ؟ فهل ما قلته هو الموقف الرسمى لمنظمة التحرير ؟ » .

ثم هاجمه أحد الأفراد : " لن نتنازل عن حق العودة أبداً . إنه الحق الذى اعترف به القانون الدولى ، فمن وضعك لإلغائه ؟ " وقام بعده أحد الصبية بتأنيب نسيبه : فى الفترة التى يواجه فيها الشعب الفلسطينى عنفاً لم يسبق له مثيل من قبل الدولة الإسرائيلية ، يتوجب علينا أن نعمل من أجل الوحدة الوطنية ولا نقدم آراء تقسم الشعب وتضعفه .

أما رؤساء تحرير الصحف الذين تصرفوا منذ فترة قليلة وهم فى منزل بولس بأدب شديد بدأوا فى تغيير جلدتهم على الفور . أحمد سعد رئيس تحرير صحيفة "الاتحاد" وهى الجريدة اليومية للشيوخيين تحدث بفضب شديد ضد فكرة التنازل عن حق العودة . إبراهيم مالك رئيس تحرير "فصل المقال" وهى المجلة الأسبوعية للحركة الإسلامية انضم إلى موجة الاحتجاج : " كيف

تقارن بشكل عام بين عنف الاحتلال الإسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى وبين الانتفاضة التى تأتى كرد فعل لها ؟ " .

ولكن هذا استمر واستمر ، فقد جلس نسيبه على قمة المجد . وعلى يساره جلس رئيس القرية عونى توما . أما بولس المضيف - على الجانب الآخر - فقد بدأ فى التحرك فى ساحته بعدم راحة . ولكن نسيبه لم يفزع من الهجمات المسلطة عليه . فقد بدا مفكراً يدون لنفسه العديد من الملاحظات . وقد ارتدى ملابس عادية للغاية ، وفوق ظهر المقعد كان ملقى عليه البالطو الذى يملكه .

#### الخلط يثير التعصب

إن نسيبه البالغ من العمر ٥٢ عاماً هو ابن لأسرة فلسطينية راقية . لقد تربى فى حي الشيخ جراح بالقدس وهو ابن أنور نسيبه وقد عمل وزيراً للدفاع فى عهد الملك حسين كما عمل سفيراً للأردن فى إنجلترا . أما المنزل الذى تسكن والدته فيه كان ولازال منزلاً فلسطينياً أرسنقراطياً مبهرراً به أثاث يدل على ثراء فاحش ، وفى طفولته كان ذلك المنزل تجمع لأغلب السفراء الأجانب . وقد كان المربين الأجانب يعنون بأطفال ذلك المنزل لتعليمهم الإنجليزية . وقال أن هجاء اسمه الصحيح بالعبرية يكون باستخدام السين العادية (وليس سين سامخ) وأن خطأ استخدام السين السامخ يعود إلى سنين مضت . إن أصل اسمه يعود إلى اسم سارة ومعناه بالعربية هو السمو والارتقاء بالأمر ، وقد أعده والداه لكى يصبح كبيراً منذ طفولته . إن نسيبه هو خريج جامعة أوكسفورد وقد حصل على الدكتوراة من نفس الجامعة فى الفلسفة الإسلامية وعمل لفترة فى جامعة هارفارد . أما زوجته لوسى فهى ابنة الفيلسوف البريطانى جون أوستين ، ولديهما ثلاثة أبناء كبار جمال (٢٤ عاماً) وعبسال (٢٢ عاماً) وبوريك (١٩ عاماً) وابنة صغيرة تسمى نزهة تبلغ من العمر تسعة أعوام . والأسرة كلها تسكن فى منزل واحد فى منطقة بيت حنينا وينتظرون استصدار تصريح بناء على ساحة اشتراها نسيبه فى منطقة أبو طور الواقعة بجوار قصر المندوب السامى . كما أن لديهم كلباً من سلالة مشتركة اسمه روبير .

إن نسيبه هو ابن أسرة أحد قادة الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ والذى كان يعمل لسنين طويلة مع رؤساء حركة فتح فى الأراضي المحتلة ، ثم اختفى منذ عام ١٩٩٢ من الساحة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبذل جهده فى الجانب الأكاديمي . والآن أصبح نسيبه فى أوج عودته السياسية ، وحتى الآن لا يزال فى جامعة القدس التى يرأسها ولكنه سيأخذ اجازة عما قريب وينقل كل عمله على الجانب الآخر من عمله وهو العمل السياسى المختلط فى المعتزك السياسى لعرفات . لقد اشترك نسيبه فى العديد من المناقشات المهمة وأعرب عن آرائه فى كثير من المرات كما أنه التقى مع القائد عرفات أكثر من مرة ، وقد كانت تلك اللقاءات منفردة مع عرفات . ويقول نسيبه أنه



لا يملك أية تطلعات سياسية وإذا قال عرفات له أن يذهب بعيداً عن السياسة فإنه سيعود إلى الحرم الجامعي بكل سعادة .

إن هذا الخلط المثير للتعصب يسمح لنسيبه بالاشتراك في اللعبة وفقاً لقواعده الشخصية . وبرغبته ، أصبح بروفيسوراً لمادة الفلسفة وهو يتمتع بمكانة سياسية خاصة . وبرغبته أيضاً أصبح أحد الأعضاء في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ويتمتع أيضاً بمكانة المثقف . وبهذا فهو يسمح لنفسه بفعل ما يخشى أغلب من يحيط بعرفات فعله ، فهو يوجه سياسة انتقادية حادة له ويقوم بتقديم مقترحات لا تتماشى مع الخط الرسمي للسياسة الفلسطينية . وربما بسبب هذا فإن عدداً غير قليل من الناس - من الشارع الفلسطيني والإسرائيلي - لا يعرفون كيف يتغلبون عليه . وفي إسرائيل كان على علاقة برجال حزب ميرتس وحمام حزب العمل ، أما حليفه الفلسطيني فهو جبريل الراجوب . والآن يعمل بصورة مكثفة من أجل دفع المصالح الفلسطينية قدماً في القدس ، منذ أن تم تعيينه بواسطة عرفات كممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في القدس ، وفي أكتوبر الماضي طرأ تغيير فوري في مكانته الإعلامية . وفي لقاء منتدى " حقيقة القرن الحادي والعشرين " الذي عقده يوسى بيلين مع أعضاء حزب العمل ، وفي صباح يوم الجمعة في " بيت سوكلوف " أثار المندوبون الإسرائيليون عاصفة حادة ضده وكانها جاء للتوقيع مع بيلين على اتفاق سلام مع إسرائيل . وفي وزارة الدفاع كان هناك شخص رفيع المستوى يقول " يجب توخي الحذر من أشخاص مثل نسيبه بشكل كبير " وعندما استمع بيلين إلى مثل تلك الأقوال انفجر بالضحك . وقال " بلى ، بلا شك نسيبه خطر حقيقي ، على اليمين الإسرائيلي . فمن السهل عليهم التعامل مع الشيخ أحمد ياسين وأمثاله . ولكن ماذا سيفعلون مع قائد فلسطيني مستعد لإخلاء اللاجئين من دولة فلسطين بدلاً من دولة إسرائيل ، ثم يعلن أن حلفاءه الحقيقيين هم نحن الإسرائيليون ؟ . وهنا تكمن مشكلة معقدة وخطيرة " . وربما بسبب هذا لقبه الوزير عوزي لنداو " أنه الوجه الجميل للإرهاب " ، وقد امتدح رئيس الوزراء لنداو على عملياته الجريئة التي شنّها ضد مبادراته الأخيرة . ولكن وزير الدفاع بنيامين بن إيلعازر قال عنه قبل بضعة أسابيع في محادثة داخلية : هذا الرجل له خط براجماتي ، وقادة مثل نسيبه غير متعنتين كما أنهم غير متعصبين في مطالبهم ، ولكن مع هؤلاء هناك فرصة لإقامة محادثة تؤدي إلى اتفاق واقعي . إن عرفات أسير تاريخه ، وشخص مثل نسيبه يطلب تقريباً نفس المطلب القومي ، ولكنه يدرك أن مطلب حق العودة الفلسطيني هو عبث دون أن توافق إسرائيل عليه ولذلك فهو مستعد للتنازل فيما يتعلق بهذا الشأن " .

وفي الشارع الفلسطيني يعد نسيبه شخصية محل خلاف ، فقد تم اعتباره كمن يجلس في البرج الأكاديمي

المعاجي رافضاً تلطيخ يديه في وحل السياسة ، ولكن أفكاره ونسبه الرفيع - حيث أنه واحد من أهم وأبرز أربع أسر فلسطينية في القدس - تشير خوفاً شديداً ، فهو يجلب عداءً شديداً بسبب آرائه غير الرسمية وغير القابلة للهضم ولذلك يتم تقديره على خلفية مواقفه تجاه الحرية بأنه يسمح لنفسه أنه يتظاهر بتأييده لتلك الحرية . لقد ادعى معارضوه أنه رجل اجنبي وغير فلسطيني كما أنه لا يشعر على الإطلاق بمأساة الشعب الفلسطيني ، حيث أنه رجل من الأثرياء البريطانيين أكثر من كونه لاجئ فلسطيني . إن جزءاً مما قيل بالقطع صحيح ، فهو رجل لا يشعر بالفقر الفلسطيني كما أن أبناءه ساروا في أعقابهم للتعليم بالانجلترا . ابنه جمال يبدو عليه أنه أحد النبلاء البريطانيين . ولكن هناك أيضاً آراء سابقة في كل الادعاءات ضده . فمن جانب والدته - رئيس منظمة النساء المسلمات الدولية والمرأة الشهيرة والمعروفة بأنها ذات شخصية صارمة - فإن نسيبه ابن لأسرة لاجئين من رام الله تعرضت للطرود وفقد المنزل والثروات . فالأسرة - مثل أسر أخرى عديدة - تشتت في أرجاء المعمورة . أفراد معدودون في أسرة نسيبه هي التي بقيت في منزلها بالأردن والبعض الآخر كان في إمارات الخليج . وبالإضافة إلى ما سبق فقد أصيب والده أنور إصابة بالغة وفقد إحدى أقدامه في حرب ١٩٤٨ عندما وطأ أحد الألقام . لقد تعرض نسيبه لألم ومعاناة لا تقل عن أي فلسطيني ، ولكن ما دعم آراءه هو أنه أحد القادة الفلسطينيين ، وأنه يملك العديد من الصفات مثل الحكمة والرقّة والفطنة والتواضع وفضلاً عن كل هذا فهو مهاجر من الدرجة الأولى .

#### لا يزال تحقيق المعجزة أمراً ممكن:

في القاعة الثقافية بقرية ياسيف تلقى نسيبه موجة واسعة من الانتقادات بقوة وحزم . ولكنه لم ينفلق على نفسه أو يحتّمى بذاته أو يستخدم لهجة غير واثقة ، وإنما كان يلقي نظرات غير مباشرة تجاه المتحدثين ضده ويرد على أسئلتهم وتعليقاتهم بهدوء وجدية من خلال اقتناع تام بفكره ولكن دون أي تعال أو كبرياء ، وعندما كان يتحدث كانت تعلو فوق فمه ابتسامة هادئة

قال نسيبه : " أشكركم من صميم قلبي على ما قلتموه هذا المساء ، إنها أمور مهمة وتشهد على رقي فكري وبعد نظر واسع ، ومثلما قلت لكم فيما سبق فإنني لست خبيراً في تلك الشؤون ، وتقريباً ليس لدي معلومات أكثر من التي لديكم . ومن المحتمل أن أكون مخطئاً على الدوام . ولكن على أية حال فليس من المفروض أن تكون الحقيقة على طول الخط بجانبى ، ولكني أريد توضيح الأمر بشكل صريح حتى النهاية ، فإن أردت خداع نفسي بوجود شيء ما فإنني لن أستطيع النوم طيلة الليل . يجب أن أكون صريحاً مع نفسي قبل أي شيء . وينفس المقدار معكم جميعاً ومع أي فرد أرغب في أنقل له أفكارى وآرائى . أتمنى أن تصدقوا ما قلته ولا تصدقوا شيئاً سواه . ثم أضاف في

نهاية حديثه لا يوجد أى جديد فى مسألة التنازل عن حق العودة . فاللاجئون سيعودون إلى دولة فلسطين المستقبلية بدلا من إسرائيل . وقد أوضح المفاوضون الفلسطينيون ذلك الأمر فى كامب ديفيد الثانية للإسرائيليين . ويتوجب على الفلسطينيين إدراك أنه لا يحتمل وجود اتفاق بدون هذا التنازل ، مثلما يتوجب على الإسرائيليين إدراك أنه لن يتم التوقيع على اتفاق سلام بدون العودة إلى حدود ١٩٦٧ فضلا عن ضرورة تقسيم القدس . وحول هذا أضاف نسيبه بعض النقاط التالية : يتوجب على إسرائيل الاعتراف بمسؤوليتها الأخلاقية عن التسبب فى أزمة اللاجئين ووضعهم المتردى كما يتوجب عليها تقديم المعونات والتعويضات ، إن الأحداث التى تمت منذ سبتمبر ٢٠٠٠ هى رد فعل فلسطينى للاستفزاز الإسرائيلى (زيارة أريئيل شارون للحرم الإبراهيمي) والذى أدى إلى حدوث رد فعل إسرائيلى وهكذا دواليك . إن ما حدث لا يمكن تسميته انتفاضة ، إنما عنف مسلح ومتبادل مشيع بالدم والغضب وعلى كل طرف من الطرفين وقف العنف تجاه الآخر ، فالعنف والاحتلال الإسرائيلى هو أمر سئ وفظيع لا أكثر ولا أقل من عنف إرهاب الانتحاريين ، والعكس صحيح . ويقول نسيبه أن هناك احتمالا لحل النزاع إما دولة واحدة ثنائية القومية أو دولتين لشعبيين . والحل الثانى هو أفضل الحلول على الإطلاق ولكن بسبب أخطاء صغيرة لم يتقدم قادة الشعبين تقديم التنازلات التى سبق ذكرها من أجل التوقيع على اتفاق سلام كامل . كما يعتقد نسيبه أن الوقت الذى يضيع بسبب خسارة كبيرة للفلسطينيين ، وأن الوقت الحالى يعتبر بمثابة الدقيقة التسعين فى المباراة . وبعد حوالى عشرة أو خمسة عشر عاماً لن نجد من يتحدث عن قيام دولة فلسطينية مستقلة . والآن أيضا فإن الحقائق التى تستخدمها إسرائيل فيما يتعلق بأسلوب الأمر الواقع (المستوطنات) تجعل مسألة تقسيم الأرض أمر شبه مستحيل . ويضيف نسيبه أنه رغم هذا لا يمكن أن نفقد الأمل . وكلما زاد الأمر سوءا انفتحت أمامنا الفرصة لبذل جهد أكثر . وعلى كلا الطرفين أن يقولوا بوضوح يجب ترك العواطف والاتجاه إلى قرارات الشجعان . وبهذا يمكن تحقيق تلك المعجزة .

ولكن كيف ؟

"يتوجب على كل طرف من الطرفين القيام بتقديم أصعب التنازلات من جانبه فهذه هى مسؤولية قيادتهما كلا الطرفين . وبالنسبة للشعبين فإن هناك استعداد ضخم لقبول تلك التنازلات . ولكن يتوجب على القادة بذل المزيد من الجهد لإقناع الفئة المعارضة ، ثم تقوم برسم الخطوط العريضة لمحو حلم الماضى القديم ، واستبداله بحلم واقعى جديد له صلة بالحاضر والمستقبل . ومن يتمسك بالماضى فإنه يريد إعادة سماع الشريط القديم مرة أخرى ، وبهذا يعلن عن عدم قدرته على تغيير الحاضر ، كما أنه لن ينطلق إلى آفاق جديدة " .

= ماذا يتوجب على السلطة الفلسطينية التى تعتبر

اليوم أحد أفرادها ؟

- "الفلسطينيون يعيشون فى تلك الفترة حياة قاسية ، فهم يشعرون بالقهر والظلم ، وبصعوبة يحصلون على ما يسد رمقهم ، لقد أوشكوا تقريبا على نسيان معنى كلمة الحياة الطبيعية . والحلم الجديد سيوفر لهم حياة طبيعية . وما يتوجب علينا فى تلك الفترة هو زرع ذلك الحلم فى عقول الفلسطينيين ومحاولة تحقيقه لهم " .

= وهل سيكون هذا عوضاً عن حلم حور العين العذارى اللاتى ينتظرن الانتحاريين فى العالم الآخر ؟

"هذا أمر فظيع ، أى نوع من الأحلام هذا ! وهل من الممكن أن يضعى فرد بحياته وهو فى العشرين من عمره من أجل العنف والقتل ؟ ربما أكون مخطئاً ولكنى مؤمن أن المستقبل الذى سنحلم به هو ما يجب أن يكون ، ولهذا فأنا أناشد أخوتى الفلسطينيين أن يحلموا بالأحياء الراقية التى تنتظرهم ، والأجور المرتفعة والمنازل المرفهة وبالعلاقات المتميزة بالآخرين وبالأطفال الذين يرتدون أفضل الملابس ويدرسون فى مدارس تحسن تعليمهم وعندما نطلب من هؤلاء البشر أن يقدموا تنازلاً ضخماً يجب أن نعطيهم سبباً جيداً وحقيقياً لهذا التنازل " .

ذات مرة قمت بتعريف المجتمع الإسرائيلى بأنه مصاب بمرض الانفصام النفسى (الشيزوفرانيا) فى علاقته مع العرب . فما مشكلة الفلسطينيين بشأن تقديمهم التنازل الأكبر ؟ بمعنى آخر ما هو المرض الذى تعانيون منه ؟

المهانة التى يشعر بها الفلسطينيون تجاه عدم الاعتراف الإسرائيلى بالمسؤولية عما قامت به إسرائيل .

= وهل هذا هو مصدر الكراهية والغضب ؟

- "فى رأيى نعم ، أنا لست خبيراً فى تلك الشؤون ، ولكنى أعتقد أن هناك تشابهاً شديداً بين السلوك النفسى للفرد وللجماعة . فماذا يريد هؤلاء البشر ؟ أنهم يريدون أن يحترم الآخرون مشاعرهم . وأن يداووهم إذا أصيبوا . فإذا تسببت فى ضرر لشخص ما ولم أطلب الصفح منه ولم أعلن مسؤوليتى عما حدث له فإن دائرة الغضب والكراهية ستظل مفتوحة " .

= إذن ، هل إذا طلبت إسرائيل الصفح فإن السلام سيتحقق ؟

- "يبدو ما تقوله بسيطاً ، وسطحياً ولكن فى نظرى لا يبدو كذلك ، إن كل ما حدث لدينا متشعب فى طبقات مختلفة من الثقافة والعادات والتقاليد ، فإذا دهس شخص ما صبيياً صغيراً فى السن وحتى إن قتله - وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث - فإنه ملزم بالذهاب إلى والديه والوقوف أمامهما وإعلان مسؤوليته عن الحادث وطلب العفو والصفح منهما . ثم يعرض عليهما تعويضاً عما حدث ، وهذا لا يغير بشكل عام إن كان - قضائياً - مذنباً أم غير مذنب . بتلك الوسيلة فقط يمكنهما التغلب على الألم والاستمرار فى حياتهما . أما إذا لم يذهب إليهما فإنهما لن ينسيا الأمر وسيظل الحساب بينهما مفتوحاً وسيظلان يريدان الانتقام إلى الأبد . واعتقد أن الفلسطينيين



سيجدون صعوبة شديدة في الاستمرار في حياتهما لأن إسرائيل غير مستعدة للإعلان عن مسؤوليتها فيما حدث للفلسطينيين ولذلك فإن دائرة الانتقام ستظل تدور".  
= وماذا يعنى هذا بالنسبة للفلسطينيين ، أنه دائماً في موقف الضحية ؟

- دائماً أمل ألا يحدث هذا ، ولكنى أوافق أن هناك شيئاً ما يستحق هذا الوصف . وخاصة فيما يتعلق بالممارسات اللانهائية التي يقوم بها الجانب الإسرائيلي تجاهنا . وهذا الأمر يغذى نفسه بصورة سلبية داخل دائرة مغلقة .

= لقد دعوت الفلسطينيين أكثر من مرة الخروج من وصف الضحية ، وعدم الوقوف في موقف المنتظر ، إنما يتوجب البدء في اللعبة ولكن من مكان جديد ومن موقف جديد . ثم اقترحت أن تقوم إسرائيل بضم الضفة الغربية وقطاع غزة وتعطى للفلسطينيين حقوقاً مثل عرب إسرائيل . ومرة أخرى يجب على الفلسطينيين الإعلان عن قيام دولة لها حدود واضحة لهم ، دون الاهتمام بالرأى العام الإسرائيلي أو العالمى . ثم اقترحت إقامة حكومة مؤقتة ، ما تعليقك حول هذا ؟

- "هذا صحيح . ولشدة أسفى فإن اقتراحاتى لم يتم قبولها وأنا مؤمن أن مسيرة الإصلاح القومى يجب أن تتفصل عن الماضى . ويجب أن يحدث تغيير فى جدول الأولويات ، فضلاً عن ضرورة اتخاذ مبادرة واضحة".  
دعنا ننتقل إلى مسألة المرض القومى الإسرائيلي .

بكل سرور

= ما هو موطن المشكلة الإسرائيلية فى رأيك ؟  
- «مرة أخرى ، وربما أكون مخطئاً ، ولكن يبدو لى أن عدم القدرة على تقبل الإسرائيليين لفكرة أن دولة إسرائيل نشأت عن طريق الخطأ هو الخوف الفطرى من العرب .  
= هل تقصد - عندما استخدمت كلمة خطأ - النكبة ؟  
- نعم ، وما هو أن حدث خيراً للإسرائيليين كان وبالا على الفلسطينيين ، فما يرغبه الإسرائيليون فى الدولة لى تكون جنة الله فى أرضه يستلزم منهم إدراك أن قيام دولتهم وجنتهم طوى بين جناباته كارثة لشعب آخر ، وهذا أمر لا يستطيع اليهود أنفسهم تحمله وهو التسبب فى ظلم الآخرين ، الأمر الذى ألحق بإسرائيل وصمة عار لا يمكن محوها وقد سمعت هذا من العديد من المثقفين الإسرائيليين .

= وماذا عن الخوف الفطرى من العرب ؟  
- "أعتقد أن أغلب الإسرائيليين عندما يسمعون عن "حق العودة" فإن الرعب يملكهم . فهم يرون فى خيالهم ملايين العرب ينقضون على إسرائيل ويستولون عليها . ولا يفهمون أن هناك فارقاً جوهرياً بين حلم العودة الشخصى والجرح الدامى فى قلب كل لاجئ وبين حق العودة كمصطلح سياسى يتم النقاش العام حوله".  
= هل من الممكن أن توضح ذلك ؟

- "لن أذهب بعيداً ، لقد كانت والدتى إحدى اللاجئات

، وتم طردها من منزلها فى رام الله ورغم أنها قضت أغلب سنوات حياتها فى القدس إلا أنها لم تكف عن التحدث إزاء ذلك . إن شوقها وحنينها للعودة إلى بلدتها كانا بلا حدود ، وعندما كنت صغيراً سألت نفسى هل هذا حقاً ما تريده أمى ؟ وهل تريد العودة حقاً إلى رام الله ؟ حتى بعد أن أدركنا أن منزلنا تهدم واصلت الحديث فى ذلك الأمر . وعندئذ فهمت أنها تريد العودة ١٥ كم غرباً وأكثر من ستين عاماً للخلف . وهذا أمر مستحيل .

إن حلم عودة اللاجئين لا يمكن وصفه بالمصطلحات الجغرافية ، إنما بالمصطلحات الزمنية . وهذا الحلم يعبر عن أحاسيس عميقة من الألم والرغبة فى الحصول على تعويض . ولكن فى عالم الواقع يتم ترجمة تلك المشاعر إلى مصطلحات سياسية فنية ، وعندما قلت هذا فى إحدى الندوات التى حضرها ياسر عرفات هاجمنى بعض الحاضرين . فقلت لهم : يجب علينا التحدث بصدق وأن نميز بين ما هو ممكن وبين ما هو مستحيل . إن أمى لا يمكنها العودة إلى منزلها القديم فى رام الله . ولكن حق العودة هو حق مقدس كما أن حقنا فى إقامة دولة مستقلة هو أمر لا يقل قدسية . وأيضاً حق اللاجئين فى سوريا ولبنان للعودة فى بناء حياة جديدة داخل دولة فلسطين المستقبلية هو أيضاً حق مقدس . وحقوق الطفل القاطن فى معسكر اللاجئين فى غزة ورغبته فى العيش حياة كريمة الآن وليس بعد ستين عاماً هى أيضاً حقوقاً مقدسة . والإسرائيليون فى سعيهم للإصلاح القومى يحتاجون إلى الاعتراف بأن إسرائيل ليست بريئة أو خالية الوفاض مثلما يدعون ، بل هى على العكس من ذلك .

= وعندئذ ماذا سيحدث ؟

- "وعندئذ سيتوجب على الفلسطينيين تقديم أكثر التنازلات إيلاًماً وهو التنازل عن فلسطين الكبرى ، ومن ثم سيتنازل الإسرائيليون عن حلم إسرائيل الكبرى والقيام باتخاذ قرار شجاع يقضى بالتقسيم العادل للأرض بما فيها القدس .

عندما وافق فيصل الحسينى المنية بالسكتة القلبية فى الكويت فى مايو الماضى ، ترددت شائعات أن عرفات جعل شخصاً ما يضع له سما فى قهوته . وهذه الشائعة بالطبع لا أساس لها من الصحة ، ولكنها تشير إلى الاتجاه العام الذى ساد الأجواء حول قصة وفاة الحسينى . والآن يتوخى العديد من المقربين من نسيبه الحذر حتى لا يجعلونه يتعدى الخط الأحمر الذى قد يثير الرئيس عرفات ، وهو الخط الذى لا يعرفه أى فرد . وقد قال نسيبه فى ذلك الأمر أنه غير خائف ، سواء من هذا الجانب أو من جانب الشارع الفلسطينى ، فالفارق بينه وبين الحسينى يوضح أن الأخير كان رجلاً سياسياً وزعيماً له طموحاته السياسية أما هو فليس لديه أى من تلك الطموحات ولذلك فهو لا يشكل تهديداً على أى فرد .  
الفرغ الذى تركه الحسينى خلفه بعد وفاته ابتلع نسيبه

بسهولة ، الذي قال أنه لولا وفاة الحسيني وإذا لم يكن هناك تدهور حاد في الأوضاع بين كلا الشعبين لكانت ستصبح هناك شكوكاً كثيرة حول تحول وجهة نسيبه وعودته إلى السياسة مرة أخرى . وعندما كانت المسيرة السلمية قائمة شعر نسيبه أنه يستطيع السماح لنفسه بالدخول في العالم الأكاديمي . ولكنه عندما رأى الأخطاء الفظيعة التي يرتكبها القادة ، فضلاً عن التصعيد الخطير في الوضع الأمني بين الطرفين وجد أنه لا يستطيع الجلوس صامتاً أكثر من هذا .

= هل أخطأ عرفات عندما رفض عرض باراك في كامب ديفيد ؟

- "نعم ، لقد أضاع فرصة ذهبية ، وقد أوضحت هذا في مناسبات عديدة . فلو كنت مكانه لقلت في البداية نعم ، وبعد ذلك كنت سأقترح على باراك برنامجاً معيناً : حسناً ، هيا توقع على تلك الاتفاقية ، سنتنازل عن حق العودة وأنتم ستوافقون على الانسحاب لحدود ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى تسليمنا نصف القدس ، وأنا أقولها لك اليوم أن باراك كان سيوافق وكنا سنصبح اليوم في وضع مختلف تماماً عما نحن فيه ."

= وهل كانت ستصبح هناك دولة للشعب الفلسطيني ؟

- "بالطبع ، نعم ."

= وكيف سيحتل عرفات تلك الأقوال التي صرحت بها ؟

- "أنتم تنظرون لعرفات بشكل غير حقيقي وغير عادل بالمرّة ، إن عرفات يتعامل بتسامح واحترام شديد مع أي فرد . إنه إنسان يحترم كل الناس ، وهو يدرك وجهات نظري الليبرالية ، كما أنه يهتم بسماعها والإنصات إليها" = إلى أي حد تصل ليبراليتك على المستوى الشخصي ؟

- "لا أعلم"

= هل من الممكن أن تتزوج ابنتك نزهة - عندما تكبر - بشخص مسيحي أو يهودي ؟

- سأحترم قراراتها وعلى أية حال سأدعم فكرها بأرائي بالطبع .

= ما رأيك إزاء قتل النساء المسلمات تحت ما يسمى بـ " تطهير شرف العائلة " ؟

- "ماذا يعني هذا ؟" هذا قتل ، جريمة ، عمل إجرامي فظيع لا إجابة عليه ."

= كيف ترى بن لادن ؟

- "شخص مهووس ، مجنون . وما قام به لا صلة له بدين الإسلام الذي اعتقه ."

= وظاهرة الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم في الشوارع الإسرائيلية ؟

- "أنا ضد قتل المدنيين بأي شكل وأي صورة . ومن

جانب آخر ، فإن هؤلاء الانتحاريين يضرون بشدة الشعب الفلسطيني ، ويشكلون واقعاً نفسياً قاسياً يحتاج إلى الدراسة . ولكن مثل بن لادن ، فإن ربط ما يفعلونه بالدين هو أمر ضروري بالنسبة لهم . أنا شخص غير متزمت بالجانب الديني ، وأي طموح أخروي لا يطرأ على ذهني أبداً . فالقرآن - حسبما أفهمه - ملئ بالرافة وحب الآخرين ."

= إذن من أين ولدت فكرة الشهداء والجهاد الداعي لقتل الشعوب ؟

- هذا أمر لا يقتصر على الدين الإسلامي فحسب ، ولشدة أسفى فإن التفاسير التي توضح الأديان تبعث برسالة تختلف عما يريد أصل المصدر إبلاغنا به . لقد تم تزيف روح النص وتم طمسه واستخدامه أسوأ استغلال تحت شعار عمل الخير وأداء ما هو مفروض . إن الجهاد الحقيقي أمر يختلف تماماً عما يحدث الآن ، وفهمي الشخصى للمعنى المراد هو عمل داخلي ينبع من داخل الفرد للارتقاء بذاته . ومجاهدة الإنسان لنزواته ورغباته الشريرة هي نضاله الحقيقي للوصول إلى درجات أخلاقية سامية ."

= وعندما ترى تلك الفجوة ، هل تصاب باليأس ؟

- "أحياناً ، نعم"

= ألا تسأل نفسك لماذا أفعل كل هذا ولماذا إن لديك العديد من البدائل الأخرى ؟ تستطيع العمل في جامعات كثيرة في العالم ، وتأخذ أسرتك وتهرب من هنا !

"هذا صحيح . وهذه الفكرة تدور في رأسي تقريباً يومياً . أنا أشتاق إلى المناظر الطبيعية في أوروبا ، وأعشق التنزه في الجبال وأن أكون في حضن الطبيعة . أنا دائماً أحلم بهذا فأنا أكره المدن وأتمنى أن أكون دائماً في المناطق الخضراء القروية ، في مكان هادئ رومانيكي ."

= هل ترى ذلك في القدس الشرقية أو رام الله ؟

- نعم ، بالضبط ، وعندئذ سأفكر أنني لا يمكن البقاء في ذلك المسكن ، وهذا أمر قد يحدث لي ولأسرتي .

= إذن لماذا لا يحدث هذا في الوقت الحالي ؟ هل بسبب واجبات أخلاقية تشعر بها ؟

- "كلا ، فأنا لم أصل إلى تلك الدرجة المتطورة من الفكر ، ولكن من المعقول أن يكون هذا بسبب أنني خائف للغاية ، وليست لدى الشجاعة الآن للإقدام على مثل تلك الخطوة ."

= وهل ستعامل مع هذا الأمر بجدية ؟

- "بالطبع ، وإذا أردت أن أكون صادقاً مع نفسي فإن الحقيقة هي أنني كسول للغاية ."

هوامش:

(♦) بيت سوكلوف هو أحد مراكز حزب العمل.



وانخفاض حاد في اعتقاد الرأي العام بعم في السنوات الأخيرة. فقدّر كبير من التوافق يمكن ملاحظته، ولكن ليس كلياً، من درجة الثقة والمعيّار العام للأداء والوحدة لكل من مجموعات في الأسئلة .

فعلي سبيل المثال اظهر ٢٧ استئناف العملية السياسية

فقط من اليهود رضاهم و ثقتهم الكاملة في الحكومة؛ بينما عبر ٢٥ استئناف العملية السياسية فقط عن ثقتهم في الكنيست؛ بينما وضع ١٦ استئناف العملية السياسية فقط من ثقتهم في الأحزاب السياسية . في استطلاع تم بواسطتنا في ١٩٩٦ ، وعلى الرغم من أن درجة الثقة ، بالمقارنة بباقي المؤسسات متدنية، ولكنها كانت أكثر ارتفاعاً من اليوم، حيث عبر وقتها ٦٢ استئناف العملية السياسية عن ثقتهم في الحكومة ؛

٦٢ استئناف العملية السياسية في الكنيست؛ ٢٦ استئناف العملية السياسية في الأحزاب السياسية. بتعبير آخر ، فخلال الخمس سنوات الماضية فقدت المؤسسات السياسية الثلاثة المركزية في إسرائيل نحو ٥٠ استئناف العملية السياسية أو أكثر من ايمان الجمهور بها وثقتهم فيها . وبينما الرقم كان إلى حد ما منخفض، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي يأتي في قمة المؤسسات التي اعرب المشتركين في الاستطلاع ثقتهم فيها بنسبة ٨٨ استئناف العملية السياسية ( مقارنة بـ ٩٦ استئناف العملية السياسية ) في الاستطلاع السابق استئناف العملية السياسية، بينما حازت المحكمة العليا على ثقة ٦٩ استئناف العملية السياسية (مقارنة بـ ٨٥ استئناف العملية السياسية) في الاستطلاع السابق استئناف العملية السياسية، والشرطة ٦٦ استئناف العملية السياسية (مقابل ٨٢ استئناف العملية السياسية) في الاستطلاع السابق استئناف العملية السياسية هذه المعدلات أو النسب المرتفعة تستحق اهتماماً خاصاً، حيث كل من هذه المؤسسات الثلاثة كانت مركز للنقد في السنة الأخيرة استئناف العملية السياسية جيش الدفاع لأدائه في مواجهة الفلسطينيين ؛ والشرطة في ضوء أحداث أكتوبر ٢٠٠٠ ؛ المحكمة العليا في إطار تزايد خلافاتها مع الارثوذكس والمتدينين.

هذا وقد جاءت مؤسسات الإعلام في المنتصف حيث حصلت على ثقة ٤٦ استئناف العملية السياسية ( مقابل ٥٠ استئناف العملية السياسية) في ١٩٩٦ استئناف العملية السياسية ، وقد كانت فيدرالية العمال الجديدة هي المؤسسة الوحيدة التي حازت على

أشربنا في استطلاع الشهر الماضي ( نوفمبر ٢٠٠١ ) استئناف العملية السياسية إلى نقد الرأي العام للحكومة الإسرائيلية على نطاق ترتيب الأولويات، وخاصة الحاجة إلى تحويل جزء كبير من الاهتمام إلى المشكلات الاجتماعية والاقتصادية . وهي الحاجة التي لم يتم التعاطي معها أو الاستجابة لها إلى الآن . هذا على الرغم من تزايد الصعوبات الخاصة بالوضع الأمني . في هذا الإطار ، يختبر استطلاع شهر ديسمبر تقييم الرأي العام الإسرائيلي ومدى ثقته في الهيئات العامة والمؤسسات السياسية المختلفة، ودرجة ثقة الجمهور الإسرائيلي في أي من هذه المؤسسات أو الهيئات . وهو ما كشف عن وجود مؤشرات - تشير الاهتمام - على مشكلة حادة بصدد العلاقة بين السلطات والجمهور .

فتقيم المؤسسات الحاكمين في الديمقراطية الإسرائيلية استئناف العملية السياسية، الحكومة والكنيست، ومعهم الأحزاب السياسية، وضعهم في أسفل القائمة بالنسبة لأدائها مقارنة بالحكومة السابقة وتزايد ثقة الرأي العام بهم في الماضي، فجاءت في مقدمتهم أشكال أو مؤسسات غير سياسية ، مثل قوات الأمن ( جيش الدفاع الإسرائيلي والشرطة استئناف العملية السياسية والمحكمة العليا . على الرغم من تراجع ثقة الجمهور في هذه المؤسسات، ولكن ليس بنفس السوء مقارنة بتراجع الثقة في المؤسسات الحاكمة.

وكما هو متوقع، فقد وجدنا مؤشرات على اختلاف بين كيفية تقييم كل من اليهود والعرب لأداء المؤسسات المختلفة .

إلا انه وفقاً للصورة العامة التي أظهرها هذا الاستطلاع، وعلى عكس ما يقال ، فإن الجمهور العربي بشكل عام أكثر بشكل نادر وقليل اختلافاً عن معظم المؤسسات الإسرائيلية الحاكمة ( ماعدا جيش الدفاع الإسرائيلي استئناف العملية السياسية عن الجمهور اليهودي).

بالنسبة لمسألة عملية السلام، فإن الغالبية من الجمهور في البلاد تدعم الآن خطة بيريز - ابو علاء، وتشعر الاغلبية أن الخطة تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء ، وقد ارتبط إلى حد كبير تأييدها لهذه الخطة أو رفضها لها بالاعتقاد بأنها تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء أرييل شارون ام لا.

كما ذكرنا من قبل، فإن هذا الاستطلاع يشير إلى انخفاض درجة الثقة في المؤسسات السياسية المختلفة

زيادة في ثقة الرأي العام، حيث حصلت علي  
٤١ استئناف العملية السياسية

مقابل ٢٣ استئناف العملية السياسية في الاستطلاع  
السابق.

ولأول مرة أظهر استطلاعنا ثقة الرأي العام اليهودي  
في عدد من مؤسسات الخدمة العامة، مثل الصحة  
والتعليم وخدمات الرفاهة، علي الرغم من استمرار  
الانتقادات الموجهة لاداءات أي منها، ن حيث عبر  
٦٥ استئناف العملية السياسية من اليهود عن ثقتهم في  
نظام الصحة، و٥٧ استئناف العملية السياسية في  
النظام التعليمي و٤٨ استئناف العملية السياسية  
في نظام خدمات الرفاهة.

عكس الرأي العام العربي مواقف مختلفة نسبيا ،  
ولكن الفروق كانت اقل مما هو متوقع، علي الرغم من  
بعض التشابهات ، حيث جاءت المؤسسات السياسية  
الثلاث ( الحكومة، الكنيست ، الأحزاب  
السياسية) استئناف العملية السياسية) في زيل  
المؤسسات التي تحوز الثقة ، حيث حصلت الأحزاب  
السياسية علي ٢٤ استئناف العملية السياسية من ثقة  
المستجيبين والكنيست ٢٥ استئناف العملية السياسية  
والحكومة ٢٦ استئناف العملية السياسية . وجاء جيش  
الدفاع الإسرائيلي اعلي بشكل قليل من المؤسسات  
السياسية حيث عبر ٣٥ استئناف العملية السياسية  
فقط من العرب الإسرائيليين عن ثقتهم فيه، وفوق  
جيش الدفاع بنسبة قليلة جاءت الشرطة، وهو ما  
يشكل مصدر للتعجب، في ضوء الأحداث والنقاش  
حول لجنة التحقيقات، حيث حازت علي ٢٨ استئناف  
العملية السياسية

من ثقة الرأي العام العربي .بينما كانت المحكمة العليا  
هي أكثر المؤسسات التي حصلت علي ثقة الرأي العام  
العربي بنسبة ٥٨ استئناف العملية السياسية من  
المستجيبين وخلفها جاء الإعلام بنسبة ٤٤ استئناف  
العملية السياسية.

بالنسبة لأنظمة الخدمات الحكومية، جاءت النتائج  
علي خلاف المتوقع بالنسبة للرأي العام العربي ، حيث  
برز أنه أكثر ثقة واعتقاداً بشكل واضح بهذه الأنظمة  
من الرأي العام اليهودي . حيث حصل النظام الصحي  
علي ٨٢ استئناف العملية السياسية من ثقة القطاع  
العربي والنظام التعليمي ٧٧ استئناف العملية السياسية  
ونظام خدمات الرفاهة ٦٢ استئناف العملية السياسية ،  
وهو ما قد يعكس انخفاض نسبة التوقعات بالنسبة  
للعرب من هذه الخدمات وبالتالي فإن معدلات  
التحسين التي يطلبوها فيها منخفضة .

بعيدا عن الفروق بين اتجاهات الرأي العام اليهودي  
والعربي نحو الخدمات الحكومية، فإن الصورة العامة  
تظهر أن انخفاض ثقة المواطن في الخدمات  
والمؤسسات الحكومية بشكل عام، وهو ما يبرز تخوفات

حول استقرار الديمقراطية الإسرائيلية، في حالة  
الاقدم علي خطوات من شأنها اصلاح هذا الوضع في  
الأمد القريب.

بالنسبة لقضية السلام، فإن نسبة المؤيدين لخطة  
بيريز - أبو علاء ( كما ذكرت تفاصيلها في وسائل  
الإعلام) استئناف العملية السياسية ، بلغت نحو نصف  
العينة، وبالتحديد ٥٢ استئناف العملية السياسية ،  
بينما بلغت نسبة الراضين لها نحو ٢٩ استئناف  
العملية السياسية ، وعند سؤالهم إذا كانوا يعتقدون أن  
الخطة المذكورة تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء أرييل  
شارون ام لا ، اجاب ٤٥ استئناف العملية السياسية من  
العينة باعتقادهم بانها تمت بالتنسيق مع رئيس  
الوزراء، بينما اعتقد ٣٠ استئناف العملية السياسية  
بأنها لم تتم عبر التنسيق . وعند الربط بين  
السؤالين استئناف العملية السياسية الموقف من الخطة  
والتنسيق مع رئيس الوزراء، ظهر ارتباط واضح بين  
الأثنين، حيث أن ٦٥ استئناف العملية السياسية ممن  
اعتقدوا انها تمت بالتنسيق مع رئيس الوزراء اظهروا  
تأييدهم للخطة . بينما رفض ٦٠ استئناف العملية  
السياسية ممن اعتقدوا انها لم تتم عبر التنسيق مع  
شارون الخطة وايدها منهم ٢٧ استئناف العملية  
السياسية) فقط (النسبة الباقي لم يدلي بإجابة علي  
هذا السؤال استئناف العملية السياسية.

يمكن تفسير هذه الظاهرة بتفسيرين مختلفين،  
الأول استئناف العملية السياسية أن تقويم الخطة في  
ضوء التنسيق مع رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل  
شارون أعطاها المزيد من الشرعية، وقلل المخاوف وزاد  
من التأييد لها، أكثر منها لو كانت قائمة فقط علي  
مبادرة من بيريز من الجانب الإسرائيلي.  
الثاني استئناف العملية السياسية أن رفض الخطة لم  
يأتي من جوهر الخطة نفسها، ولكن لانخفاض الثقة  
في بيريز ، الشخص الذي لعب الدور الرئيسي بها.  
علي العموم فقد جاءت نسبة المعارضين للخطة مرتفعة  
جدا وسط المستجيبين الذين يعتقدون بأنه لم يحدث  
تنسيق مع شارون ، أو الذين ابدوا اهتماما أكبر  
بالقضايا الأمنية.

تكون مقياس السلام العام الخاص بهذا الشهر من  
٥٢.٥ نقطة (٥٢.٢) نقطة في العينة اليهودية استئناف  
العملية السياسية ، واشتمل مقياس أوصلو علي ٢٤.٤  
نقطة (٢١.٥ نقطة) في العينة اليهودية استئناف العملية  
السياسية، ومقياس سوريا علي ٣٧.٤ نقطة (٣٣.٢)  
نقطة في العينة اليهودية استئناف العملية السياسية ) .

قام بمقياس السلام فريق بحث تابع لمؤسسة  
السلام بجامعة تل أبيب، بقيادة كل من افرايم يعر  
وتمر هيرمان، وتم خلال الفترة من ٣٠ ديسمبر ٢٠٠١  
إلى ٢ يناير ٢٠٠٢ وضم ٥٧٨ مستجيب من البالغين



اليهود والعرب في إسرائيل ( بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة والكيبوتزات استئناف العملية السياسية .

هل تعتقد ام لا تعتقد في أن السنوات القادمة سوف تشهد سلام بين إسرائيل والعرب؟ ( للعرب استئناف العملية السياسية ) بين إسرائيل والدول العربية استئناف العملية السياسية .

السؤال

اليهود

اليهود + العرب

١

بالتاكيد سوف يكون هناك سلام

٤.٦

٦.٤

٢

ربما سيكون هناك سلام

١٥.٥

١٦.٥

٣

موقف وسطي

١٢.١

١٢.٨

٤

ربما لن يكون هناك سلام

٣٠.٤

٢٧.٤

٥

متأكد أنه لن يكون سلام

٢٤.٩

٣٥.٤

٦

لا اعرف ( لا رأي استئناف العملية السياسية )

١.٦

١.٦

بشكل عام، هل تعتبر نفسك مؤيد ام رافض لعملية التسوية بين إسرائيل والعرب ( للعرب استئناف العملية السياسية ) بين إسرائيل والدول العربية استئناف العملية السياسية .

السؤال

اليهود

اليهود + العرب

١

رافض بشدة

٩.٣

٨.٥

٢

رافض

٨.٥

٧.٦

٣

موقف وسطي

٩.٧

٩.٠

٤

مؤيد

٢٧.٦

٢٤.١

٥

مؤيد بشدة

٢٣.١

٢٩.٣

٦

لا اعرف ( لا رأي استئناف العملية السياسية )

١.٨

١.٨

ما هو رأيك في الاتفاق الذي وقع في أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ( اتفاق إعلان المبادئ استئناف العملية السياسية )

السؤال

اليهود

اليهود + العرب

١

مؤيد بشدة

٨.٠

١١.٦

٢

مؤيد

١٥.١

١٥.٥

٣

موقف وسطي

١٩.٣

١٨.٦

٤

رافض

١٤.٥

١٤.٢

٥

رافض بشدة

٢٢.٦

٢٩.٢

٦

لا اعرف

١٠.٥

١٠.٩

-هل تعتقد ام لا تعتقد أن اتفاقية أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية سوف تؤدي إلى سلام بين إسرائيل والفلسطينيين في الاعوام المقبلة ؟

السؤال

اليهود

اليهود + العرب

١

مؤيد بشدة

٣.٦

٤.٣

٢

مؤيد

١١.٩

١٢.٧

٣

موقف وسطي

١٤.٣

١٥.٢

٤

رافض

١٦.٤

١٥.٦

٥

رافض بشدة

٤٦.٩

٤٣.٨

٦

لا اعرف

٦.٩

٧.٤

هل تعتقد ام لا تعتقد انه في السنوات المقبلة سوف يكون هناك سلام بين إسرائيل وسوريا؟

السؤال

اليهود

اليهود + العرب

١

بالتاكيد سوف يكون هناك سلام

٣.٦

٥.٢

٢

ربما سيكون هناك سلام

٢٠.٤

٢٠.٨

٣

موقف وسطي

١٨.٤

١٧.٠

٤

ربما لن يكون هناك سلام

٣٠.٣

٢٨.٧

٥

بالتاكيد لن يكون سلام

٢٢.٨

٢٣.٩

٦

لا اعرف ( لا رأاستئناف العملية السياسية )

٤.٦

٤.٥

ما هو موقفك بالنسبة تأييد اتفاقية سلام كاملة بين إسرائيل وسوريا علي أساس الانسحاب من مرتفعات الجولان؟

السؤال

اليهود

اليهود + العرب

١

مؤيد بشدة

٩.٥

١٧.٦

٢

مؤيد

١٠.٥

١٠.٧

٣

موقف وسطي

١٤.٧

١٢.٧

٤

رافض

١٤.٧

١٢.٣

٥

رافض بشدة

٤٧.٩

٤٢.٢

٦

لا اعرف

٢.٨

٢.٤





## «سفينة الأسلحة» والكفاح الفلسطيني المشروع

هاني عياد

يبدو المشهد الدولي الراهن، وفي القلب منه الشرق الأوسط، مشحوناً بالكثير من الخيوط والخطوط المتناقضة أحياناً والمتداخلة في أحيان أخرى، معظمها يثير الشجن والبعض منها يستفز سخرية أقرب ما تكون إلى الكوميديا السوداء. هناك بعض العالم مشغول بمطاردة فلول الإرهاب في أفغانستان، والبحث في نفس الوقت عن مصادر تمويل إعادة إعمارها التي قدرت تكاليفها بحوالي ٤٥ مليار دولار، على مدى خمس عشرة سنة منها ١٥ مليار مطلوبة فوراً خلال العامين القادمين، والبعض الآخر مشغول بإعادة النظر في قوائم الدول والمنظمات الإرهابية، حسب التوصيف والتصنيف الأمريكي، والممتدة مساحاتها من الصومال واليمن والعراق إلى حزب الله وحماس والجبهة الشعبية، بينما البعض الثالث من العالم، وعلى وجه الخصوص في عالمنا الممتد من المحيط إلى الخليج، مشغول في معركة وهمية ينفي عن نفسه فيها تهمة الإرهاب. وهكذا لم يبق لقضية الصراع العربي الإسرائيلي، ووصم المقاومة الفلسطينية المشروعة بالإرهاب واعتقال رئيس السلطة الوطنية بين جدران مكتبه في رام الله، سوى ركن صغير وبعيد في أحد زوايا المشهد، وكأن القضية والمقاومة والاعتقال، مسائل لم تعد تعنى أحداً بمن فيهم هؤلاء الممتدين أو المتمددين في المساحة المحصورة بين مياه المحيط ومياه الخليج.

الأدهى من ذلك أنه عندما فجرت إسرائيل «قنبلة» سفينة الأسلحة، كان أن جاءت شظاياها برئيس السلطة الوطنية (معتقلاً أيضاً)، لكنه جاء معتقلاً ومتهماً يدافع عن نفسه من شبهة الحصول على سلاح، ويدرك عن الذات «تهمة» وجود علاقة من أي نوع وعلى أي مستوى

مع إيران! (ليس من الضروري أن نشير هنا إلى أننا لسنا معنيين هنا بتحديد موقف من إيران أو من العلاقة معها لكننا معنيون فقط بالمبدأ الذي يعطى السلطة الحق في إقامة علاقاتها وفق مصالحها وحسب ماتراه، وخاصة أن التبرؤ من العلاقة مع إيران جاء على خلفية قضية سفينة الأسلحة وفي ظلال الاتهام الإسرائيلي لإيران بأنها مصدر هذه الأسلحة).

### مقدمات مباشرة:

يحلو للكثيرين التوقف أمام أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي هزت الولايات المتحدة باعتبارها خطأ فاصلاً في التاريخ المعاصر، بمعنى أن العالم بعدها لن يعود مثلاً عرفناه قبلها. لسنا في حاجة إلى الدخول في جدل (لا يتسع له المكان، ولا يسمح به زمان تفاقم الأوضاع في منطقتنا) حول ما إذا كان العالم قد تغير. أو هو في الطريق إلى ذلك. بالفعل بعد ١١ سبتمبر، أم لا، بقدر ما يبدو ضرورياً أن نشير إلى «المقدمات المباشرة» التي أدت إلى رسم المشهد الدولي وتحديد معالمه على النحو السابق الإشارة إليه.

لم تزل وقائع تداعيات أحداث سبتمبر الماضي في الولايات المتحدة طرية في الأذهان بحيث يمكننا أن نكتفي هنا دون إخلال أو تسطيح بالإشارة إلى أن موقف النظام العربي الرسمي من جانب، وإسرائيل من الجانب الآخر من الجهود الأمريكية التي تلت تلك الأحداث واستهدفت تشكيل تحالف دولي مناهض للإرهاب، أو للدقة مؤيد لها في حملتها على أفغانستان تحت عنوان «محرارية الإرهاب». لقد ربطت إسرائيل بين ضحايا مركز التجارة العالمي ومقر البنتاجون وبين ضحاياها الذين سقطوا في حيفا وتل أبيب وغيرهما من المدن

الإسرائيلية في خضم عمليات المقاومة الفلسطينية المشروعة بكل المقاييس والمعايير، وكان أن الموقف الإسرائيلي بدأ مناصراً للحملة الأمريكية على أرواح بن لادن بقدر ما يعزز من مقاومته «الأرهاب الفلسطيني»، في حين قدم الموقف العربي الرسمي كل الدعم للولايات المتحدة الأمريكية في حرب كان من المعروف سلفاً أنها تخدم المصالح الأمريكية وحدها دون غيرها، بدءاً من حصر الأرواح في تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن، فيما هو أقرب ما يكون إلى الانتقام منه إلى مقاومة الأرواح، ثم توسيع رقعته. إن اقتضت الضرورة ذلك. ليشمل دولاً ومنظمات عربية فيما كان واضحاً أنه لا يصب إلا في طاحونة أرثيل شارون واستكمال مخططة إبادة الشعب الفلسطيني وتصفية الصراع العربي الإسرائيلي ومن ثم فرض «السلام» في طبيعته الإسرائيلية ووفق الشروط والمواصفات الأمريكية. هكذا يمكن القول دون أية مبالغة أو تجاوز أن النظام العربي الرسمي، من حيث كونه دخل شريكاً (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) مع واشنطن في حربها الخاصة ضد «الأرهاب»، فإنه يوعى أو بدونه. قدم ما يلزم من تسهيلات ضرورية لرئيس الوزراء الإسرائيلي في حربه من أجل إبادة الشعب الفلسطيني، لذا لم يكن من قبيل المصادفة أن تتزامن مطاردة بن لادن وتنظيمه في أفغانستان مع توسيع دائرة حرب شارون لتشمل تدمير مؤسسات السلطة الفلسطينية و«اعتقال» رئيسها في رام الله، ثم يتفق العالم اجمع، أو يكاد، على شجب (أو على الأقل ابداء عدم الارتياح) للعنف الفلسطيني، ووصمه في أحيان ليست قليلة بأنه أرواح، وفي أحسن الأحوال اعتبار حرب الإبادة التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي بأنها نوع من الدفاع عن النفس.

والاعتقاد بأن بعض العمليات التي نفذتها المقاومة الفلسطينية (أو الانتفاضة) ضد «مدنيين» إسرائيليين قد ساهمت في رسم الصورة على هذا النحو، بقدر ما يبدو. لوهلة. اعتقاداً وجيهاً، بقدر ما يتيح لنا فرصة التوقف امامه والتأمل في مدى جديته اكتشاف أبعاد أخرى ربما تكون أكثر وجاهة. هناك. أولاً. الجدل الموضوعي حول مفهوم المدنيين، وما إذا كان يمكن اعتبار المستوطنون الإسرائيليون، المسلحون غالباً. مدنيين أم لا، حتى الذين تعرضوا لعمليات الانتفاضة في الديسكوهات، يصعب الجزم أنهم مدنيون (لمجرد أنهم كانوا في حالة سكر ورقص) لأنه يصعب الجزم ما إذا كان بينهم مسلحون أم لا (من سكان المستوطنات مثلاً)، وما إذا كان بينهم من سبق له أن شارك في اغتيال طفل أو امرأة فلسطينية من قبل. ثم هناك. ثانياً. وهذا هو الأهم، حرب الإبادة التي يشنها جيش «الدفاع» الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني، وهي حرب ضد أناس مدنيون بكل المقاييس. إن هدم المنازل ومحاصرة القرى والمدن وحتى اغتيال من تقول عنهم إسرائيل أنهم من ناشطي الانتفاضة، هي أعمال عدوانية

عسكرية ضد شعب اعزل، أي ضد مدنيين. ويبدو من الغريب أن تتبجح إسرائيل في إثارة العالم لسقوط بضع عشرات من «المدنيين» الإسرائيليين في خضم أعمال مقاومة الاحتلال بينما هي تخوض حرباً ضد شعب لا يستطيع أحد أن يدعى أنه شعب من العسكريين المقاتلين؟

#### من ضباب إلى ضباب:

«المقدمات المباشرة» التي تلت أحداث سبتمبر الماضي، وقادت إلى الوضع الراهن، كانت بدورها نتائج لما سبقها من أحداث أو مقدمات، ولعله يكون مفيداً هنا أن نعود إلى الوراء قليلاً ■

في انعكاساتها على الصراع العربي الإسرائيلي، تستدعي الحرب الأمريكية ضد أرواح بن لادن في أفغانستان إلى الذاكرة وقائع ما جرى في العالم قبل ثلاثين عاماً بالضبط، عندما اندلعت، أواخر عام ١٩٧١، نيران الحرب الهندية الباكستانية. في ذلك الوقت. منذ ثلاثين عاماً. أدى «الضباب» - المعنى الرمزي لصعوبة تعامل القوي الكبرى مع صراعين في وقت واحد - الذي قيل إن تلك الحرب تسببت في نشره، إلى تأجيل عام الحسم الشهير. وكان أن الحسم تحول بمرور الأيام وتتابع الأحداث إلى حالة من السيولة (رغم الانتصار العسكري عام ١٩٧٢، أو ربما في ظلال ذلك الانتصار) لعلنا لم نزل نعانى من أثارها حتى الآن.

ورغم أن مياه كثيرة جرت في الأنهار وتحت الجسور خلال العقود الثلاثة الماضية، إلا أن أحداثاً مشابهة تعاودنا، بحيث يبدو لوهلة وكأن التاريخ يعيد نفسه، رغم انف مقولة ماركس الشهيرة.

والذي حدث أنه في أواخر عام ٢٠٠١ (٧ أكتوبر على وجه الدقة) وعلى تخوم شبه القارة الهندية، التي شهدت قبل ثلاثين عاماً انبعاث «الضباب» الشهير، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية حربها ضد الأرواح، بعدما اختزلت مساحاته التي تكاد تغطي العالم في حدود الأراضي الأفغانية، واختصرت شخوصه وتنظيماته وأنظمتها في شخص أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة ونظام طالبان.

لكن لأن التاريخ لا يعيد نفسه بالفعل إلا في صورة هزلية، فكان أنه بينما أدى «ضباب» عام ١٩٧١ إلى «انقاذ» إسرائيل من حسم الرئيس السادات، فإن «ضباب» عام ٢٠٠١ أسفر عن حبس الرئيس عرفات في رام الله. والفارق أن النظام العربي الرسمي. في مواجهة «ضباب» عام ١٩٧١. اختار أن يضع اجندته جانباً ويقف في مواقع المتفرجين يراقب ما يجري هناك، في إشارة لا ينقصها الوضوح إلى أن ذلك النظام بينيته الاجتماعية. الاقتصادية لم يعد قادراً على تجاوز عجزه الذي بلغ ذروته المساوية في صيف عام ١٩٦٧، بل لعله كان يقترب بسرعة ملفتة من حافة الانهيار، الذي تجسد لاحقاً إبان غزو بيروت (صيف ١٩٨٢) ثم خلال حرب الخليج الثانية

(خريف وشتاء ١٩٩١/٩٠)، ولم تعد لديه (النظام الرسمي العربي) منذ ذلك الحين اجندة، اللهم إلا ردود الفعل، التي كان من الطبيعي والمنطقي أن تنحسر مساحاتها وتضيق حدودها يوماً بعد يوم. على الجانب الآخر، كان أن إسرائيل التي «افلتت» من حسم ١٩٧١، وجدت في ضباب عام ٢٠٠١ فرصتها الذهبية لوضع اجندتها موضع التطبيق، أو بالأحرى مواصلة فرضها على الأرض، والعالم مشغول بالتصدي للأرهاب الذي اطاح بالهيبة الأمريكية مع ابراج مركز التجارة العالمي ومقر البنتاجون. وكان من الطبيعي أن نجد النظام الرسمي العربي وقد ادمن مواقعه على مقاعد المتفرجين، بعدما فقد خلال ثلاثين عاماً من التنازلات المتواصلة كل الأوراق، ولم يعد لديه سوى طلب الحماية من العالم المشغول بما يجري هناك في أفغانستان. (وإن كان من غير الطبيعي أن يكون هذا العجز مدعاة للتباهي في الخطاب الاعلامي الرسمي وشبه الرسمي، فضلاً عن الخطاب الدبلوماسي).

والحاصل أن عجز النظام العربي الرسمي الذي تجلى في صيف ١٩٦٧، سرعان ما تأكد في التعامل مع «ضباب عام ١٩٧١» ثم راح ينهار خطوة بعد أخرى، مروراً بوقائع ما جرى خلال غزو لبنان ثم في التعااطي مع أحداث غزو الكويت ومجريات حرب الخليج الثانية، وصولاً إلى المشهد الراهن بكل خطوطه وخيوطه المتناقضة والمتشابكة. والشاهد أن دائرة رد الفعل التي انحصرت داخلها حركة ذلك النظام راح قطرها يتناقص ويتآكل من الادانة والشجب والاستنكار إلى أنه نظام محايد لا يميل إلى أي من طرفي الصراع (الفلسطيني - الإسرائيلي) إلى وصف ما يجري في الاراضي المحتلة بالعنف في موقف لا يفتقر إلى الوضوح يساوي بين مقاومة شعب يرزح تحت الاحتلال وبين أروهاب قوات الاحتلال، حتى بلغ واحدة من ذراه المأساوية في الموقف من وقوع ياسر عرفات في الاسر، ثم في التصل الجماعي من سفينة الاسلحة ودرء «شبهة» العلاقة مع إيران.

#### تأملات في المشهد الراهن:

الارجح أننا لن نجد من ينكر حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بكل السبل والوسائل، بما فيها استخدام السلاح. ربما يطفو على السطح قدر من الخلاف حول توقيت وكيفية وحدود اللجوء إلى السلاح، لكن دون أن يمس الخلاف بالمبدأ ذاته. وبنفس القدر يبدو من المرجح أن احداً لا يستطيع أن ينكر حجم ترسانة السلاح الإسرائيلية والمتخمة باحدث انواع الاسلحة الأمريكية، والمفتوحة ابوابها على مصرعيها للاستخدام في مواجهة الشعب الفلسطيني، ثم ضد السلطة الوطنية ومؤسساتها وحتى بعض رموزها وممثليها. فإن هذا يعني بالضرورة أنه من حق الشعب الفلسطيني أن يكون لديه سلاحه، بصرف النظر الان عن كيفية وحدود وتوقيت استخدامه.

وإذا كانت إسرائيل «الدولة» بكل مؤسساتها العسكرية ومصانعها الحربية، لاتخجل من الاعلان عما تستورده من اسلحة أمريكية، فلماذا لا يكون من حق الفلسطينيين، حتى من باب لايغوزه الظلم والإجحاف، وهو باب المعاملة بالمثل بين المفتصب والمفتصب (بالكسر ثم الفتح على التوالي)، أن يحصلوا من مصادرهم على ما يحتاجونه أو ما قد يحتاجونه، من اسلحة؟.

ثم أنه إذا كان من المفهوم أن ينكر الفلسطينيون علاقتهم بسفينة الاسلحة اياها، فإن هذا قد يكون بهدف عدم الاعلان عن مصادر تسليحهم أو عدم كشف وسائل نقل السلاح... إلخ. وحتى لو اتفقنا على أن السلطة الفلسطينية ليس لها علاقة بالفعل بتلك السفينة، فقد كان من المفهوم أن يقتصر النفي على هذه الواقعة تحديداً وحصرًا دون أن يمتد ليشمل مبدأ الحصول على السلاح. ومن هنا فقد كان من المتوقع أن يبدأ الرد على «قنبلة» شارون باعتقال سفينة اسلحة في عرض البحر الاحمر بفضح القرصنة البحرية الإسرائيلية التي اسفرت عن التعرض لسفينة تسير في المياه الدولية، والهجوم عليها وتفتيشها واعتقالها، ثم التمسك بحق شعب يعانى من وطأة احتلال استيطاني نازي في الحصول على السلاح لمواجهة جيشاً استباح لنفسه مواجهة المدنيين بالديابات وقصف المنازل بالطائرات. إن «دولة» تفتصب اراضى وحقوق الغير، وتمارس مثل هذه القرصنة لا يحق لها أن تتهم «الغير» بممارسة الكفاح المسلح ضدها.

في المحصلة ورغم أن مواقف السلطة الفلسطينية امست منذ امد ليس قصيراً جزءاً عضوياً من مواقف النظام الرسمي العربي العاجز إلى حد الانهيار، إلا أنه يمكن القول إن التطورات الاخيرة وخاصة الاعتداءات على مؤسساتها واعتقال رئيسها، ثم تجاوب الفصائل الفلسطينية مع قرار وقف الاعمال المسلحة (حتى وإن ارتبط هذا الموقف بزم، وحتى لو بدا أن هناك نزوعاً نحو التحلل منه)، أقول إن هذه التطورات تفتح الباب من جديد امام السلطة الفلسطينية التي لم تصبح بعد دولة، للعودة إلى مواقع الثورة التي غادرتها، على الاقل كي تصبح في حل من «الالتزامات الدولية» التي يقال إنها تلقى بظلالها على سياسات الدول وتكبل حركتها. وإذا كان التزام الفصائل الفلسطينية بقرار وقف الاعمال الفدائية حفاظاً على الوحدة الوطنية. فإن الكيفية التي تعاطت بها إسرائيل مع هذه الفترة تحمل من المبررات الموضوعية ما يفترض أن يكون كافياً لدفع السلطة إلى مغادرة موقع «الدولة» الذي لم تصل إليه بعد، والعودة إلى مواقع الثورة التي غادرتها. إن الوحدة الوطنية تصبح بلا مضمون أو معنى إن هي افتقدت جوهرها واساسها الكفاحي على طريق انتزاع، وليس استرداد، الحقوق من غاصبيها.





## الصراع الديني - العلماني في إسرائيل وإيران ملامح التماثل والتباين

تميم هاني خلاف

الدينية وأن جميع العقائد الفلسفية والدينية ينبغي أن  
تجمد أو أن تحظى بقدر متساو من الاعتراف والتسامح»  
(١).

ويوضح أحد العلماء الآخرين - هو برايان ويلسون أن  
العلمنة Secularization هي «عملية تخفيض في  
الأنشطة والارتباطات وطرق التفكير الدينية، وتخفيض  
في المؤسسات التي تنشأ مرتبطة ب- أو ناتجة عن -  
عمليات أخرى متصلة بتغيير الهيكل الاجتماعي». (٢)

وقد استخدم علماء الاجتماع تعبير العلمانية في وصف  
العمليات التي تفقد خلالها السلطات الدينية قدرة التحكم  
في الساحة الاجتماعية سواء من حيث الموارد أو  
الأشخاص. وعلى النقيض من ذلك فإن الدولة الدينية  
Theocratic تقوم على أساس ما يسمى «التفويض

الإلهي» وتعتمد في تسيير حركة الناس والمؤسسات  
وصياغة النظم والقرارات على شرعية مستمدة من هذا  
التفويض ولا تكون معظم معايير الحكم والقياس في هذه  
الدولة الدينية مستمدة من الإرادة الجماهيرية وإنما من  
النصوص اللاهوتية وتفاسيرها الموكولة إلى علماء الدين.

وبالنسبة لحالتي إسرائيل وإيران فسوف نتناول  
بالمقارنة أولاً: أبرز ميادين الصراع بين القوي العلمانية  
والقوي الدينية في كل منهما وثانياً: أهم آليات وأدوات  
الصراع وثالثاً: رؤية الأطراف الخارجية ومعالجاتها  
المختلفة لهذا الصراع.

**أولاً: أبرز ميادين الصراع:**

يمكن لمراقبي التطورات السياسية والاجتماعية في كل  
من إيران وإسرائيل ملاحظة اشتراك المجتمعين في عدد  
من المجالات التي تحتدم عندها عملية الصراع بين القوي  
الدينية والقوي العلمانية. وفيما يلي أبرز تلك المجالات:

من المفارقات التي يلحظها المراقبون للتطورات  
السياسية والاجتماعية الحديثة في كل من إيران وإسرائيل  
أن مجتمعي الدولتين علي ما بينهما من خلافات  
واختلافات ظاهرة، يمران الآن بمرحلة دقيقة من مراحل  
الصراع بين الاتجاهات الدينية المتشددة والاتجاهات  
العلمانية الليبرالية. وتكاد تتماثل ديناميات الصراع بين  
هذين الاتجاهين في كلا البلدين بطريقة يمكن أن تدفع  
البعض على الأقل في مستوى التحليل النظري - إلى  
تصنيفهما بالمنظور السوسيوبوليتيكي في خانة واحدة.

وسوف نتناول أهم ملامح التماثل والتباين في ديناميات  
الصراع الديني/العلماني في كل من إسرائيل وإيران،  
وانعكاسات هذا الصراع على السياسات الخارجية لكل  
من الدولتين وعلى أوضاعهما الإقليمية والدولية. ونخلص  
إلى السيناريوهات المتوقعة لهذا الصراع في كلا البلدين  
على المدى المتوسط.

وقد يلزم قبل الدخول إلى هذه الدراسة المقارنة البدء  
بتحديد بعض المعايير الأساسية التي اصطلح علماء  
السياسة والاجتماع عليها في تعريف «العلمانية» وتعريف  
«الحكم الديني».

**مفهوم العلمانية ومفهوم الدولة الدينية:**

يتضمن جوهر «العلمانية» الفصل بين الدين والدولة  
وهو ما يعني أن تقوم الدولة بتأسيس سياساتها وتوجهاتها  
ونظمها العامة معتمدة على المصالح العامة والمواءمات  
العملية ويشير أحد التعاريف التي قدمها جورج جاكوب  
هولايوك «أن العلمانية هي مجموعة من القيم الاجتماعية  
النفعية، وهي البحث عن التطور الإنساني عبر العقل  
والعلم والتنظيم الاجتماعي، يعتقد هولايوك بأن الدولة  
في المفهوم العلماني ينبغي أن تكون محايدة في المسائل

## (١) النظام السياسي وفلسفة الحكم:

يواجه المجتمع الإيراني المعاصر صراعا حادا بين الاتجاه الذي يمثله الرئيس خاتمي الذي تولي السلطة في ١٩٩٧/٥/٢٣ م وبين اتجاهات المحافظين المواليين لفكر الزعيم الروحي خوميني مؤسس الدولة الإسلامية الإيرانية والتي يمثلها الآن مرشد الثورة آية الله خامنئي. فبينما يدعو الرئيس خاتمي إلى إقامة دولة المؤسسات وسيادة القانون وتشجيع قوي المجتمع المدني، يري المحافظون من اتباع مرشد الثورة خامنئي أن أساس الحكم ينبغي أن يظل وفقا لمبدأ ولاية الفقيه ولا يحدث أي اعتماد للسلطة من غير مصادر هذه الولاية الفقهية التي يلزم استمرارها طالما استمر غياب الأمام المعصوم.

وفي إطار هذا الصراع يتبين أن مصدر السلطات في الدولة مختلف عليه فهو في رأي التيار الانفتاحي «الشعب» الذي يحق له اختيار القائد والحكومة وهو في رأي التيار المحافظ «الله» وقانونه الإلهي.

ورغم أن تيار الرئيس خاتمي لم يذهب أبدا فيما طرحه حتى الآن من أفكار سياسية إلى الدعوة القاطعة إلى تحجيم عمل المؤسسة الدينية إلا أن تحركاته السياسية وقراراته تؤدي بالتحتمية إلى التحجيم لسلطات المؤسسة الدينية وحصر دائرة عملها في حدود أقل مما يراه أصحاب اتجاه الدولة الدينية.

ويظهر نفس هذا الصراع في إسرائيل بين الأحزاب الدينية من ناحية والأحزاب اليسارية من ناحية أخرى. بل ويزيد على ذلك أن هناك داخل الفئات الدينية الأكثر تشددا من لا يعترف أساسا بالدولة الإسرائيلية كجماعة «حراس المدينة» (Natore Karta) التي تري أن إنشاء الدولة في عام ١٩٤٨ لم يكن عملا ربانيا وإنما هو عمل سياسي يستبق الإرادة الإلهية حيث أن الدولة الإسرائيلية المنصوص عليها في التوراة لم تتوافر الشروط الريبانية لإقامتها بعد، (٢).

وبصرف النظر عن هذا الخط الأرثوذكسي المغالي في التطرف الديني، فالملاحظ أن قوة الأحزاب الدينية التقليدية قد زادت في إسرائيل مع بدايات التسعينات. «فبعد أن استقرت القاعدة الانتخابية للأحزاب الدينية طوال الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٩٢ على مل يتراوح بين ١١٪ : ١٦٪ من جملة الأصوات الصحيحة، شهدت انتخابات ١٩٩٦ تحولا كبيرا لصالح الأحزاب الدينية إلى وضع يمكن معه وصف ما حدث على أنه بداية مرحلة جديدة في حياة الأحزاب الدينية في إسرائيل حيث قفزت نسبة الأصوات التي حصلت عليها هذه الأحزاب مجتمعة إلى ١٩٪ من جملة الأصوات الصحيحة» (٤) ويعتبر دخول الأحزاب الدينية في حكومة باراك عقب انتخابه رئيسا للوزراء في مايو ١٩٩٩ نقطة تحول تاريخية أخرى في الحياة السياسية الإسرائيلية حيث قفز عدد مقاعد حزب شاس الديني في الكنيست الإسرائيلي من ١٠ مقاعد إلى ١٧ مقعدا مما يؤكد على تنامي قوة الأحزاب الدينية التقليدية

## في إسرائيل.

## (٢) الصراع الديني/العلماني حول مفهوم القضاء:

تتشترك القوي العلمانية في إسرائيل مع القوي الليبرالية في إيران في موقف مشترك إزاء النظام القضائي حيث يتفق أصحاب هذا الاتجاه في كلا البلدين تقريبا على ضرورة استقلال السلطة القضائية عن نفوذ السلطة الدينية أو السلطة التنفيذية. ويعارض أصحاب هذه الاتجاهات في إيران أي توسع في صلاحيات محاكم رجال الدين التي أنشئت عام ١٩٨٦ بأمر من الإمام الخميني وكرد على استمرار وجود تلك المحاكم أنشئت تحت قيادة الرئيس خاتمي محاكم متخصصة للصحفيين في جميع المحافظات الإيرانية حتى لا يحاكموا أمام المحاكم الشرعية أو العادية. وفي إسرائيل تسعى الكثير من فصائل حزب العمل الإسرائيلي وحزب راكاح وأحزاب الأقلية العربية والأقلية الدرزية في إسرائيل إلى تعديل النظام القائم على نحو يقلل من الاعتبار الدينية والتوارثية فيه.

ويحاول التيار المتشدد في إسرائيل تكريس هذا الطابع الديني للمحاكم وسلطة القضاء الإسرائيلي. وقد تظاهر ٢٥٠ ألفا من غلاة المتشددين اليهود بشوارع القدس في عام ١٩٩٩ للهجوم على المحكمة العليا الإسرائيلية احتجاجا على تدخلها في أمور دينية ليست من اختصاصها، في الوقت الذي قامت فيه مجموعة من العلمانيين بمظاهرات عكسية في نفس اليوم للتغطية على الترويج الإعلامي الذي حظيت به المظاهرة الكبيرة للقوي الدينية.

## حدود المشاركة والتعبير السياسي والحريات

يشهد المجتمع الإيراني في الآونة الأخيرة تصاعد التيار الداعي إلى تعددية الآراء وإتاحة الفرصة أمام التعبير السياسي الحر طالما ظلت هذه التعددية وهذا التعبير الحر في إطار احترام القيم والشرعية الإسلامية. بينما يذهب أنصار الفكر الديني الجامد في إيران إلى ضرورة التشدد مع كل من يجرؤ على طرح معالجات ومفاهيم جديدة. وهم يعتبرون أن السياسة الانفتاحية التعددية التي يحاول الرئيس خاتمي إرسائها تتيح الفرصة للكثيرين من غير المؤهلين للتعدي على قيم أساسية في المجتمع. وقد وصل الأمر بهذا التيار المتشدد إلى توجيه اتهامات خطيرة بالزندقة إلى الزعيم الإصلاحي عبد الله نوري - وزير الداخلية السابق حيث تم إحالته للتحقيق أمام محكمة خاصة من رجال الدين بتهمة بلغت ٤١ تهمة من بينها التشكيك في مبادئ الإسلام، والانشقاق الديني والسياسي، وإهانة الإمام الراحل آية الله الخميني، والدعوة لإقامة علاقات بين إيران وعدوها الأول الولايات المتحدة.

أما في إسرائيل فيبدو أن الأمر أقل حدة وعنفا فيما يتعلق بالحجم المتاح من حرية التعبير والانتقاد، حيث يحظى أصحاب كل من التيارين العلماني والديني بنفس القدر من

حرية التعبير والنشاط السياسي إلا أن الأمر تحكمه أيضا في النهاية خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها ومن أهمها قدسية الروح الإسرائيلية، وأرض الميعاد وأسبقية الاعتبار الأمنية وأساطير الهولوكوست - ومركزية القدس في التاريخ اليهودي.

#### (٤) السياسة الخارجية والصراع الديني - العلماني:

انعكست الصراعات بين العلمانيين والقوي الدينية في مجال السياسة الخارجية. ففي إيران يركز التيار الإصلاحي الليبرالي علي توسيع قاعدة المنافع الاقتصادية والسياسية للدولة الإيرانية في الخارج، وتنشيط وتجميل وجهها الدبلوماسي، والعمل علي تعزيز قواتها وإمكاناتها العسكرية والاقتصادية والاستراتيجية. بينما يركز أصحاب التيار الديني علي مبدأ تصدير النموذج الإيراني في الحكم الإسلامي إلى غيره من دول وشعوب، والتركيز علي دعم حركة الدعوة الإسلامية في الخارج، وتطوير العلاقات الخارجية للدولة الإيرانية بمقارنة ما يجري من تطوير مقابل في فهم الأطراف الخارجية للحضارة الإسلامية والقيم الإسلامية.

وفي إسرائيل يوجد أيضا نفس الاتجاهين فالأحزاب الدينية تركز في برامج سياستها الخارجية وفي منهج عملها علي ضرورة تجميع يهود العالم في أرض الميعاد، الأمر الذي يترجم في محيط السياسة الخارجية بتشجيع الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، والتوسع في المستوطنات اليهودية، واستبعاد التفاوض أو حتى الحديث عن أي طابع غير يهودي لمدينة القدس، بينما يري أصحاب التيارات العلمانية في إسرائيل أن خدمة المصالح الإسرائيلية والشعب الإسرائيلي تتحقق أساسا من خلال سياسة خارجية واقعية تتفاعل مع المحيط الإقليمي لإسرائيل أولا بمنطق التصالح والتوفيق، وتركز علي أهمية توسيع المصالح الاقتصادية والتجارية لإسرائيل كأولوية متقدمة ويرى بعض أنصار هذا التيار أن أهم أدوات السياسة الخارجية الإسرائيلية الناجحة هي السياحة والتعاون الفني، ونقل التكنولوجيا، والتصدير والاستيراد.

#### ثانياً آليات وأدوات الصراع بين القوي الدينية والقوي العلمانية:

ونعني بها القنوات والأدوات التي تعمل في إطارها مختلف القوي العلمانية وأصحاب التيارات الدينية والتي يظهر من خلالها أيضا مظاهر الاحتكاك بين تلك القوي. ومن بين تلك القنوات سوف نركز علي النشاط الحزبي والنقابي، وعمليات الانتخابات، ومنابر الإعلام والصحافة، والمناهج التعليمية.

#### (١) التنظيمات السياسية والنقابية

برغم أن القوي الدينية التقليدية في إيران ظلت وما تزال تحمل في أدبياتها السياسية النظرية عددا من المقولات الرافضة لفكرة التعددية الحزبية، والديموقراطية بالمفهوم المتعارف عليه في التجارب الغربية، لوحظ أن هذه القوي الدينية المحافظة أخذت

تستخدم في ممارساتها السياسية نفس الآليات التي تستخدمها القوي الليبرالية المناوئة وهي الانضواء الحزبي، والانتخابات، والتحالفات السياسية والتظاهر، وأساليب الاعتصام، والحملات الدعائية وغير ذلك.

وتوجد داخل التيار الديني المحافظ في إيران، عدة تنظيمات منها جمعية العلماء المناضلين (روحانيات) - (رابطة علماء الدين) - (جمعية الائتلاف الإسلامي) - (جمعية حراس مبادئ الثورة) وأخيرا (حزب الله)، بينما يوجد في مقابل هذا عدد من التنظيمات القوية التي تجمع أنصار التيار الإصلاحي وأهمها: (حركة كوادر البناء) - (رابطة العلماء المجاهدين) - (منظمة مجاهدي انقلاب إسلامي) - (منظمة الحجية) - (حركة تحرير إيران) - (منظمات الطلبة الطلابية) - (٥) وهذه المنظمات الأخيرة تعمل علي تعديل الدستور الإيراني، والسعي من أجل حماية حقوق المواطنين، وإزالة الإجراءات التمييزية ضد المرأة واستقلال القضاء واستعادة هيئته. وفي إسرائيل تمارس القوي العلمانية والقوي الدينية صراعاتها من خلال عدة أحزاب ومنظمات سياسية. ومن بين أهم الأحزاب الدينية حزب شاس، وحزب المفدال، وحزب يهودت هاتوراه. ويلاحظ مع ذلك عدم وجود حزب سياسي رسمي علماني يستهدف بوضوح فصل الدين عن الدولة. حيث كانت مطالب العلمانيين تقدم من خلال الأحزاب اليسارية التقليدية كحزب العمل وحزب كتلة ميريتس وحركة السلام الآن. أو من خلال نقابة عمال إسرائيل «الهستدروت».

وتعمل هذه القوي السياسية الإسرائيلية - سواء العلمانية أو الدينية - علي اكتساب الشعبية من خلال العمليات الانتخابية والتحالفات السياسية. ويعتبر دخول الأحزاب الدينية إلى الائتلاف الحكومي مع انتخابات الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٩٦ ودخول الأحزاب الدينية في حكومة باراك في انتخابات مايو ١٩٩٩ نقطة تحول تاريخية هامة في الحياة السياسية لإسرائيل، وقد أدت - علي مستوى النتائج إلى شلل شبه تام في آليات السياسة الخارجية الإسرائيلية بل وحتى في آليات الاقتصاد الإسرائيلي وبرامج التنمية الداخلية.

#### (٢) الأداة الإعلامية في الصراع

استخدمت الصحف والمطبوعات كوسيلة من وسائل الصراع بين القوي الدينية والقوي الإصلاحية الليبرالية في كل من إيران وإسرائيل. ففي إيران شن المحافظون حملات عنيفة علي أنصار خاتمي حيث تم إغلاق عدد من الصحف الناطقة باسمهم كما تم تعديل قانون المطبوعات، بالإضافة إلى محاولة إقالة وزير الثقافة عطاء الله مهاجراني. في حين راحت الدبلوماسية الإيرانية في عهد خاتمي تمارس أدوارا إعلامية وثقافية في العالم الخارجي استخدمت فيها العروض الفنية والموسيقية، والألعاب الرياضية وغير ذلك من وسائل الدعاية الحديثة لصورة إيران الجديدة.



وفي إسرائيل ، لوحظ أن الأداة الإعلامية قد استخدمت أيضا في الصراعات الفكرية بين قوي اليمين الديني المتشدد والقوي العلمانية حيث ظهرت صحف ومجلات وبرامج إذاعية متخصصة في نشر الفكر الديني وشرح الجوانب المعيشية والقانونية ذات الصلة بالدين كموقع المرأة، والخدمة العسكرية، والمساواة بين المهاجرين ، ومجلات ذات طابع علماني خالص تتناول تساؤلات خطيرة حول صلاحية بعض المفاهيم الدينية في الحياة المعاصرة، كما طرحت بعض الدوريات صورا سلبية لبعض رجال الدين وأعضاء الأحزاب الدينية تتضمن فضائح سلوكية وتناقضات مستمرة.

### (٢) الأداة التعليمية والمناهج الدراسية:

شهدت إسرائيل العديد من الخلافات بين القوي العلمانية والقوي الدينية حول مسائل التعليم، ففي أول تشكيل حكومي لإسرائيل عام ١٩٤٩ لم يعين وزيرا للتعليم والثقافة بسبب الخلاف حول فلسفة التربية والتعليم. وفي عام ١٩٥٠ اندلعت أزمة حادة بين العلمانيين والمتدينين حول "قص سوائف الطلاب وضفائر البنات بالقوة". وفي نفس الوقت تقريبا اتهمت القوي العلمانية، القوي الدينية بمحاولة فرض تفاسير وفقرات دينية معينة علي أبناء المهاجرين اليهود في معسكراتهم. وقد شكلت لجنة للتحقيق في هذه الاتهامات انتهت إلى أن النزاع بين المتدينين والعلمانيين ليس صراعا نزيها (٦).

وحتى اللحظة الراهنة هناك صراع دائم بين نفس هذه القوي حول نظام التعليم في إسرائيل حيث يتهم حزب المجدال الحكومة بالعمل علي إضعاف التعليم الديني الرسمي، وتتهم الأحزاب الدينية الأخرى الحكومات المتعاقبة بأنها تهمل التعليم الديني المستقل وتقلص ميزانيته. وتشهد إيران صراعا مشابها بين الأصوليين من جهة والمعتدلين من جهة أخرى فيما يتعلق بالفلسفة التعليمية والمناهج الدراسية ، فبينما يرى الأصوليين أن تكريس التعليم الديني والمناهج الإسلامية بالمدارس والجامعات (٢٧ جامعة بإيران ١٥ منهم بطهران) (٧) و أساس التعليم ، إلا أن المعتدلين يرون أن الانفتاح على العالم والتعرض لأساليب التعليم الحديثة والثقافات المختلفة هو أمر ضروري .

### ثالثا : رؤية الأطراف الخارجية للصراع القائم في إيران وإسرائيل

يمكن للمراقب ملاحظة اختلاف النظرة الأجنبية Foreign Perception إلى الطابع الديني والطابع العلماني في كل من إسرائيل وإيران بحسب المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي تربط بين هذه الأطراف الخارجية وكل من الدولتين ، فالدول الغربية ذات الأصول الحضارية القائمة علي التراث المسيحي لا يهتمها كما يبدو متابعة الصراع القائم في إسرائيل بين المتدينين المحافظين والعلمانيين الليبراليين ولكنها تهتم اهتماما شديدا بمتابعة ورصد تطورات

الصراع الديني العلماني في إيران بل وتقوم الدول الغربية في بعض الأحيان بأنشطة وتحركات تدعم قوي التيار الإصلاحية والليبرالي في إيران.

### خلاصة:

من مجمل العرض السابق يمكن استخلاص عدد من الملاحظات التي يتصل بعضها بمستقبل "وضعية الدين" في خريطة الحياة السياسية والاجتماعية لكل من إسرائيل وإيران.

والملاحظة الأولى: أن إيران لا تشهد في الواقع صراعا بين القوي الدينية والقوي العلمانية بالمعنى المحدد لمفهوم العلمانية. وإنما ما يحدث في إيران هو صراع بين الدينين والأصوليين من جهة والقوي الانفتاحية والليبرالية من جهة أخرى. فكلتا المجموعتين تؤمن بالدين الإسلامي كأساس للحياة البشرية ولكن تختلف درجات التحرر بحسب الموقف من السلطة والقوة في القيادة. في حين تتبلور بوضوح الطبيعة العلمانية في المجتمع الإسرائيلي.

والملاحظة الثانية: أن التطورات التي تشهدها كل من إيران وإسرائيل لها انعكاسات مباشرة علي التوجهات العامة السياسية والاستراتيجية لبعض الدول المجاورة ، نظرا للوضع الإقليمي الذي تتمتع بهما الدولتان ونفوذهما علي مجريات الأمور بالشرق الأوسط.

والملاحظة الثالثة: إن المتطرفين من كلا الفئتين العلمانية والدينية لا يملكون رصيذا طويلا في الحياة السياسية حيث يميل أغلب أفراد الشعب في البلدين إلى الاعتدال والتوازن بين التأكيد علي الهوية الدينية واحترامها من جهة ومواكبة التوجهات العالمية من جهة أخرى.

### المراجع

عبد الفتاح محمد ماضي. الدين والسياسة في إسرائيل ، مكتبة مديولي - القاهرة ، ١٩٩٩ .

د . إيمان حمدي (ترجمة صالح عزب) معسكر السلام الصهيوني. دار الأمين للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٩٧ .

عبد الوهاب المسيري. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ، ١٩٧٥ .

هاني خلاف وأحمد نافع. الوطن العربي - قضايا مستقبلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ، ١٩٩٩ .

فرحات حسان الدين . "إطلاق الحريات ودولة المؤسسات والتنمية - قضايا الخلاف الحاد بين المعتدلين والمتشددين". الأهرام ٢٠/١٠/١٩٩٩ .

باهر شوقي. "معارك الإصلاحيين الجدد في إيران" ملف الأهرام الاستراتيجي. السنة الرابعة العدد ٤٥ - ديسمبر ١٩٩٨ .

مصطفى نبيل. "إيران داخل الثورة". المصور ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩ - ص ٢٤٠

محمد الحسيني. "المحافظون في سباق خاسر مع الزمن". الأهرام العربي ٩/١٠/١٩٩٩ .



## الموساد وبن لادن

محمد البحيري

"هذه أميركا أصابها الله سبحانه وتعالى في مقتل من مقاتلها، فدمر أعظم مبانيها .. أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد لن تحلم أميركا ولا من يعيش في أميركا بالأمن قبل أن نعيشه واقعا في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد" .. جاءت هذه الكلمات علي لسان أسامة بن لادن، في بيانه الذي أذاعه في السابع من شهر أكتوبر الماضي، لتسلط الأضواء من جديد علي العلاقة التي تربط بين ما يدور في أفغانستان من جانب، وما يدور في منطقتنا العربية من جانب آخر، وفي القلب منها القضية الفلسطينية.

ويبدو أن هذه الكلمات قد جاءت في وقتها المناسب لتؤدي دورا ما، كان إيجابيا في معظمه للقضية الفلسطينية بشكل خاص، فالرعب يسيطر على الأمريكيين من جراء صدمة أحداث ١١ سبتمبر، التي لم تنته حتى الآن ولن تنته على المدى المنظور، وما صاحب ذلك من موجة من التساؤلات الأمريكية عن سبب كراهية العالم للولايات وخاصة العرب والمسلمين، وهو ما تجلى في مظاهر الفرح والغبطة الشاملة على المستوى الشعبي على الأقل!!)، وسارعت قوات الاحتلال الصهيوني لتصعيد عمليات القمع والإبادة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل مستغلة انشغال العالم بالنظام العالمي الجديد الذي نشأ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. في هذا الجو المشحون بالفوضى "المنظمة"، جاءت كلمات بن لادن لتجيب

على أسئلة الأمريكيين وتزيل اندهاشهم، فيقول لهم أن سبب ما حدث في واشنطن ونيويورك، بكل فظاعته، هو الموقف الأمريكي من القضايا العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية. فهو يشير بكلماته إلى ما يحدث في الأراضي الفلسطينية المحتلة ليلفت انتباه الرأي العام العالمي إلى ما يمارسه الكيان الصهيوني من مذابح وتدمير هناك، الأمر الذي أخرج أولئك الجالسين في البيت الأبيض، وأثار حفيظتهم على حلفائهم في تل أبيب، لدرجة أن الرئيس الأمريكي بوش الابن قال في جلسة مغلقة عن السفاح الإسرائيلي آريئيل شارون وزمرته في الحكومة الإسرائيلية، فليذهبوا إلى الجحيم، بل وغير عن غضبه عليهم بعبارة المفضلة "Fuck them"، حسبما ذكرت صحيفة معا ريف الإسرائيلية!!.

وقد سارعت الإدارة الأمريكية إلى الخروج من هذا المأزق، عبر عدة إجراءات، لعل أبرزها اصطناع حملة إعلامية ضد شارون وحكومته، وليس ضد "إسرائيل"، واصطناع حملة إعلامية أخرى موازية لترويج الخطاب الأمريكي المؤيد لإقامة دولة فلسطينية مستقلة، دون جديد في الشكل أو المضمون، بهدف ضمان استمرار الدول العربية والإسلامية تحت عباءة ما يسمى "التحالف الدولي ضد الإرهاب"، والإيحاء لشعوب هذه الدول بأن الولايات المتحدة قررت فجأة الوقوف إلى جانب الفلسطينيين حتى يحصلوا على حقوقهم المسلوبة من الكيان الصهيوني.

لا شك أن كل ذلك يدفعنا إلى تناول العلاقة التي تربط بين أسامة بن لادن والقضية الفلسطينية، وكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية من قريب أو من بعيد، يمس الأمن الإسرائيلي وأجهزته المختلفة، وأولها "الموساد".

لقد كان أسامة بن لادن وجهاز الموساد الإسرائيلي هما الجهتان اللتين حظيتا بأكبر قدر من الاتهامات بالمسؤولية عن أحداث "١١ سبتمبر" في واشنطن ونيويورك، وكان لدى صاحب كل اتهام ما يكفى من الشواهد للتدليل على صحة اتهامه، وأن كان اتهام بن لادن قد حظي بأكبر قدر من الاهتمام، لكونه جاء ملائماً مع النغمة التي تم فرضها على آذان الرأي العام العالمي عنوة، عبر الصراخ المستمر والمدوي من أول لحظة في وسائل الإعلام - التي يسيطر اليهود على معظمها - بمسؤوليته عن الحادث، دون أن يكون هناك دليل واحد يؤكد هذا الاتهام.

بل أن مسؤولاً في حزب العمال البريطاني قال في إحدى اجتماعات الحزب أن الأدلة التي قدمتها واشنطن لإقناع لندن للذهاب معها في الحرب ضد "الإرهاب" في أفغانستان، لا تكفى لإحالة أسامة بن لادن إلى المحاكمة، وليس لإدانته!!

الفريق الذي يتبنى اتهام بن لادن بارتكاب أحداث "١١ سبتمبر"، يستندون إلى عدة أمور، لعل أهمها صحيفة سوابقه، في كينيا وتنزانيا واليمن، وأن طبيعة العمليات نفسها تطلب تنفيذها مجموعة من "الانتحاريين" الذين يتوافرون فقط لدى الحركات والتنظيمات "الإسلامية" وعلى رأسها تنظيم "القاعدة" الذي يرأسه بن لادن، وما إلى ذلك مما يتكرر الحديث عنه ليل نهار.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك، أن رجل الأعمال المليونير محمد عوض بن لادن، والد أسامة، لقي مصرعه عام ١٩٦٨ عندما اصطدمت طائرته المروحية بجبل الطائف في المملكة العربية السعودية، وكان أسامة يبلغ من العمر تسع سنوات، وبعد ذلك تولى الشقيق الأكبر لأسامة مسؤولية إدارة أعمال الوالد التي كانت تقدر بمئات الملايين من الدولارات حسبما ذكرت صحيفة واشنطن بوست الأمريكية، وقد لقي سالم هو الآخر مصرعه عندما تحطمت طائرته الخاصة عام ١٩٨٨ في تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية. وهنا يمكن الادعاء بأن الفكرة الجهنمية في استخدام الطائرات المدنية كقنابل متنقلة، واستخدامها في عمليات فدائية أو "انتحارية"،

قد طرأت في ذهن أسامة بفعل فقد لآبيه وشقيقه الأكبر في حادثتي طيران، نتيجة اصطدام طائرتيهما بجسم صلب أدى إلى تحطمهما!!

أسامة بن لادن تصفه المخابرات المركزية الأمريكية "CIA" بأنه أبو الإرهاب، وتصفه المباحث الفيدرالية الأمريكية "FBI" بأنه العدو رقم واحد للعالم، وتصفه المخابرات المصرية بأنه "أخطر متطرف"، وتقول عنه المخابرات الإسرائيلية "الموساد" أنه مطلوب بأي ثمن!! لكن ما هي علاقة هذا الرجل الموضوع على رأس قائمة المطلوبين لدى أجهزة الأمن والمخابرات في أكثر من خمس وعشرين دولة، بالقضية الفلسطينية؟ وهل حقاً لجأ لاستغلالها فقط حتى يحظى بتعاطف الشارع العربي والإسلامي، على غرار ما فعل الرئيس العراقي صدام حسين في حرب الخليج الثانية؟.. خاصة بعد أن وصل التعاطف الشعبي معه إلى الحد الذي دفع العديد من وسائل الإعلام والحركات الشعبية، لاسيما الإسلامية منها، إلى أن تصفه بأنه صلاح الدين الجديد الذي جاء في العصر الحديث لرفع الراية الإسلامية من جديد!!

ميخائيل بولي، باحث ألماني متخصص في علم الإغراق والاثنيات، ويعمل بالجامعة الحرة أو المفتوحة في برلين بألمانيا، وقد تابع الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتي طوال عشر سنوات، وزار أفغانستان ١٢ مرة خلال الحرب، وقد ألف كتاباً عن أسامة بن لادن، بالمشاركة مع باحث آخر يدعى "خالد دوران". وقد حمل هذا الكتاب عنوان "أسامة بن لادن والإرهاب الدولي"، وكان أكثر الكتب مبيعاً في معرض فرانكفورت للكتاب في العام الماضي، فبعد يومين فقط من بدء المعرض نفذت كل نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب!!

وقد أوضح ميخائيل بولي في حديث لصحيفة معاريف الإسرائيلية أجرى مؤخراً، علاقة أسامة بالقضية الفلسطينية، لقد كانت والد أسامة فلسطينية، ولاشك أنها أشبعته بالكرهية ضد "إسرائيل" وأرضعته هموم النكبة الفلسطينية، الأمر الذي جعل أسامة يضع القضية الفلسطينية نصب عينيه، كما أنه نشأ لفترة عند أخواله في سوريا وتزوج من إحدى بناتهم هناك. ويقول "بولي": لا شك أن القضية الفلسطينية يرتبط بأمة، ولكنه يرتبط أيضاً بمراكز القوى الكثيرة التي كان يشغلها الفلسطينيون في المملكة العربية



السعودية خلال السبعينات والثمانينات، فكل قيادات الجيش والشرطة، وكذلك الكثير من المهندسين والمدرسين في السعودية، كانوا من الفلسطينيين، وقد تم الإطاحة بمعظمهم بعد أن أعلن الفلسطينيون تأييدهم لصدام حسين في حرب الخليج الثانية، وقد حل محلهم الآن باكستانيون. ويتابع "بولي" حديثه قائلاً: لقد أثارت القضية الفلسطينية لدى بن لادن عقب غزو لبنان. لقد مر بن لادن بنقطة تحول كبيرة عام ١٩٧٩، ففي هذا العام قامت مصر بالتوقيع على اتفاق سلام مع "إسرائيل"، واندلعت الثورة الإسلامية في إيران لتطيح بالشاه، وقام الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان. بعد ذلك خرج المليونير الشاب إلى العاصمة الأفغانية كابول في مهمة كلفه بها الأمير تركي الفيصل رئيس المخابرات السعودية، الذي أقيل مؤخراً من منصبه بسبب هذه العلاقة التي تربطه بين لادن، وبدأ أسامة وقتها في جمع وتوزيع الأموال والتبرعات على المجاهدين الذين كانوا يحاربون الجيش الأحمر. نقطة التحول الثانية التي مر بها بن لادن في حياته كانت عام ١٩٩١، عندما تمركزت القوات الأمريكية في السعودية خلال حرب الخليج الثانية، وبعدها طبعاً، حيث دعا بن لادن إلى إسقاط حكام بلاده الذين "يدنسون الأماكن المقدسة بالأمريكيين". بعد ذلك اضطر أسامة لترك السعودية، ووجد ملاذاً له لدى صديقه حاكم السودان في ذلك الوقت حسن الترابي. وبعد الحادث الأول في أبراج مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٢ أسقطت السعودية جنسيتها عنه، ونحن الضغوط الأمريكية خرج أسامة بن لادن من السودان مع أسرته ومجموعة من الأفغان العرب في مايو ١٩٩٦ من السودان إلى قندهار في أفغانستان وبنى هناك فيلا فاخرة، وانفق ملايين الدولارات على الطرق "والأنفاق" هناك. ويقول "بولي" أن أكثر الناس تأثراً على أسامة بن لادن شخصان، هما الشيخ عبد الله عزام والطبيب المصري أيمن الظواهري.

عبد الله عزام من مؤسسي حركة حماس الفلسطينية، وهو فلسطيني من الأردن، حضر بن لادن إلى باكستان وساعده في إقامة شبكة من الإسلاميين، وهو منظم ممتاز، وخطيب بليغ، ذكي جداً، وله سلطات كبيرة في حركة حماس الفلسطينية، وقد تعاون الاثنان طوال سنوات حتى دب الخلاف والصراع بينهما. فقد كان عزام يريد تحرير أفغانستان أولاً كي تكون قاعدة للصراع

والنضال ضد إسرائيل، في حين كان بن لادن يريد العمل على كل الجبهات في وقت واحد. وحتى اليوم لم يتضح من هو المستول عن تصفية عزام بسيارة ملغومة عام ١٩٨٩ بعد وقت قصير من بدء الخلاف بين الاثنين.

نخرج من ذلك إلى أن أسامة بن لادن يرتبط بشكل ما بالقضية الفلسطينية، أكثر مما كان معلوماً للكثيرين، الأمر الذي يفسر انزعاج إسرائيل وأجهزتها من أي شيء يتعلق أو يرتبط باسم هذا الرجل.

لذلك لجأت المخابرات الإسرائيلية "الموساد" إلى القيام بعدة محاولات لاختراق التنظيم الذي يرأسه بن لادن، بل وحاولوا قتاله أكثر من مرة، فيقول الباحث الألماني "ميخائيل بولي" في حديثه لصحيفة معارف الإسرائيلية أن كل المحاولات التي بذلت لزرق عملاء أو جواسيس في تنظيم القاعدة باءت بالفشل، لأن بن لادن يحسن اختيار رجاله جيداً بشكل يصبح من المستحيل معه تجنيد أي منهم. وفي عام ١٩٩٨ قصف الأمريكيين معسكرات التدريب للطالبان، لأنهم علموا أن بن لادن في طريقه إلى أحد هذه المعسكرات، قامت الولايات المتحدة بإبلاغ باكستان قبل الهجوم بساعتين، وقد اكتشف بن لادن خطة الهجوم الأمريكي قبل تنفيذه بنصف ساعة، فعادت القافلة التي سافر فيها إلى حيثما أتت.

بل ويقول "بولي" في كتابه "أسامة بن لادن والإرهاب الدولي" أن المخابرات الإسرائيلية "الموساد" حاولت اغتيال بن لادن في عام ١٩٩٦ أثناء وجوده في السودان، ولكنها فشلت، وأن أسامة قد أصيب في هذه المحاولة بإصابات بالغة في كتفه وظهره. وحسب المصدر نفسه فإن بن لادن سافر من الخرطوم إلى لندن للعلاج من الإصابة باعتبار أن لندن إحدى القواعد التي ينطلق منها تنظيم "القاعدة" إلى أوروبا. والمثير للدهشة أن بن لادن أجرى علاجه في أحد مستشفيات لندن بعلم وموافقة الحكومة البريطانية.

و ينتهي الباحث الألماني إلى أن الموساد تضع بن لادن نصب عينيه، وبالمناسبة فإن إسرائيل أرسلت مراسلاً تليفزيونياً - كان يعمل في البداية في باكستان - إلى مناطق التحالف الشمالي المعارض لطالبان، وهو يث رسالة يومية من هناك عبر الأقمار الصناعية على الهواء مباشرة والمؤكد على حد قول الصحيفة الإسرائيلية أن الموساد تستعين به. وكانت مجلة دير شبيجل قد نشرت مؤخراً أن

عملاء الموساد يتدربون في صحراء النقب على عملية كوماندوز لاختطاف بن لادن أو تصفيته جسدياً.

ولإدراك مدى القلق الأمني الإسرائيلي من بن لادن ومدى قدرته على تنفيذ عمليات داخل "إسرائيل" نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٠٠١/١٠/١٢) مقالة للكاتب الإسرائيلي "بن كسفيت" قال فيها: لقد نجح أسامة بن لادن فيما فشل فيه الكثيرون من قبله، فالشبابك والموساد يعملان منذ العملية المقلقة في الولايات المتحدة، وبتعاون كامل في هيئة قيادية مشتركة، كتفا لكتف، ورأساً لرأس من أجل كشف النقاب عن خلايا إرهابية مماثلة في منطقتنا، وفي محاولة منهما لمساعدة الأمريكيين. في هذه المرحلة مازالت قدرات أسامة بن لادن للتحرك هنا (في إسرائيل) غير واضحة بعد، وليس واضحاً إذا كان لديه عملاء واتباع في إسرائيل. الأمر المعروف هو أن تنظيمه هو التنظيم الأكثر خطورة وتطوراً على مدى التاريخ. كل عضو فيه تقريباً يمكن أن يعتبر قبلة موقوتة، الجميع يعرفون المهمة ومشبعون بالعقيدة. مجرى العملية مخطط سلفاً وبشكل متقن. كل الخطط والمؤامرات أعدت منذ مدة وهي تخرج إلى حيز التنفيذ بشكل أوتوماتيكي. وكل هذا يحول الملاحقة الحالية لتحركات التنظيم إلى مسألة لا داعي لها، ولا حاجة لإرسال التعليمات أو إعداد الخطط حتى تحدث عمليات أخرى هنا أو هناك. كل شيء معد ومخطط ومحفوظ عن ظهر قلب، الجميع أذكياء مدربون في طور السكون بانتظار اللحظة الملائمة القادمة. ثم يتابع بن كسفيت قائلاً: وهذا لا يعني أنه لا توجد استجابة، وأن الوقت يضيع سدى. بالإمكان اكتشاف حركة الأموال (الأذرع الأمنية تعكف على ذلك الآن)، وبالأمان الإمساك بالعملاء الساكنين الرابضين، بالإمكان تشديد الإجراءات المعمول بها والتقليل من الحرية الفردية المطلقة والسيادة الشاملة لسلطة القانون خصوصاً في أمريكا من أجل الحفاظ على حياة الناس. قد يكون ذلك متأخراً جداً، فبن لادن وزع اتباعه في عشرات الدول، والمنظمة التي شكلها غير قابلة للاختراق تقريباً وهي منيعة تقريباً على المتابعة والتصنّت، هذه المنظمة شكلت وزرعت في الميدان وأعدت

ودربت خلال سنوات طويلة من العمی والحمافة والسذاجة، خصوصاً من جانب الولايات المتحدة وأوروبا!!.

هكذا يبدو الهلع الإسرائيلي من بن لادن خاصة مع نشر أنباء عن سعيه لامتلاك أسلحة متطورة ونووية وجراثومية، مثلما فعلت صحيفة معاريف الإسرائيلية حين ذكرت أن بن لادن قام العام الماضي بمحاولة فاشلة لتهريب غواصة حديثة من الولايات المتحدة.

وكتب "إسحاق بن حورين" في معاريف (٢٠٠١/١٠/١١) أن الحكومة الإسرائيلية تبحث ما أثارتها المباحث الفيدرالية الأمريكية من ضرورة عدم بث أحاديث تليفزيونية لاسامة بن لادن أو أعضاء حركة طالبان، لأنها قد تحتوي على إشارات معينة تكون في حقيقتها تعليمات صادرة لأعضاء تنظيم القاعدة في كل أنحاء العالم لتنفيذ عملية ما في توقيت محدد. بل أن أعضاء الحكومة الإسرائيلية من اليمينيين أكدوا على ضرورة التعلم من الأمريكيين وإلزام وسائل الإعلام الإسرائيلية بعدم بث أحاديث أو إجراء لقاءات تليفزيونية مع متحدثين فلسطينيين، خوفاً من قيامهم بنقل رسائل سرية إلى "الانتحاريين" عبر أحاديثهم هذه.

ويبدو أن السلطة الفلسطينية أرادت اللعب على هذا الوتر لصالحها، حيث كتب الإسرائيلي "عكيفا الدار" في صحيفة هآرتس الإسرائيلية (٢٠٠١/١٠/٢٠) أن قادة السلطة الفلسطينية قالوا للأمريكيين أنهم قلقون من التنامي السريع لخلايا "القاعدة" التي لا يوجد لعرفات أي تأثير أو سلطة عليها في الضفة الغربية، وأن المقربين من عرفات يحذرون من أن اتباع بن لادن سيجعلون إسرائيل تشتاق إلى حماس!!.

البعض يرى أن الموساد عندما فشل في تصفية بن لادن، لجأ إلى ترتيب عمل معين لضرب أكثر من عصفور بحجر واحد، وكان هذا الحجر هو ضرب واشنطن ونيويورك في أحداث "١١ سبتمبر!!". وعليك أن تسأل من هو المستفيد مما حدث حتى تصل إلى الفاعل، والهدف هو إفساد العلاقات الأمريكية العربية، وحث الولايات المتحدة على التدخل المباشر وبقوة وعلى الملأ للقضاء على أسامة بن لادن وتنظيمه "القاعدة".

وأصحاب هذه النظرية يستشهدون على ذلك بما فعله الموساد من قبل من ضرب المصالح الأمريكية في المنطقة منذ الخمسينيات (ما يعرف بفضيحة لافور ) ، فضلا عن وجود شواهد ووقائع عديدة تشير-إن لن تؤكد- على وجود أصابع الموساد الإسرائيلي، إلا أن هذه الشواهد تم طمسها عمدا لصالح الحملة الموجهة بانتظام ضد العرب والمسلمين عموما، وبن لادن و"القاعدة" خصوصا. كشف مصدر في المخابرات العسكرية الأمريكية - حسبما ذكرت صحيفة الأهرام ويكلي (٩/٢٧-٢٠٠١/١٠/٢) عن وجود مذكرة داخلية في الجهاز تشير إلى وجود علاقة لجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد بهجمات مركز التجارة العالمي والبنيتاجون.

وقد اتخذت هذه النظرية أبعادا جديدة بعد أن ذكرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن الموساد حذر الـ CIA الأمريكي من عمل إرهابي وشيك سينفذه بن لادن في الأراضي الأمريكية، وأن وفدا من كبار الضباط في الموساد الإسرائيلي سافروا إلى واشنطن في شهر أغسطس لتحذير المخابرات الأمريكية والمباحث الفيدرالية من وجود خلية إرهابية مكونة من مائتي شخص تخطط لتنفيذ عمل إرهابي كبير في الولايات المتحدة، إلا أن مسؤولين أمريكيين نفوا هذه التقارير.

رسالة إلكترونية وصلت عبر شبكة الإنترنت إلى المباحث الفيدرالية الأمريكية ذكرت أن الموساد نبه على كل الإسرائيليين العاملين في مركز التجارة العالمي وعددهم ٤٠٠٠ إسرائيلي بضرورة عدم الذهاب إلى العمل في يوم الحوادث (١١ سبتمبر)، إلا أن إسرائيل ردت على ذلك بأن ١٤٠ إسرائيليًا لقوا حتفهم تحت أنقاض مركز التجارة.

صحيفة ידיעות احرونوت الإسرائيلية ذكرت أن رئيس المخابرات الإسرائيلية، قبل أسبوع من الحادث، منع رئيس الوزراء الإسرائيلي اريئيل شارون من السفر لالقاء كلمة في حفل يهودي لجمع التبرعات لصالح إسرائيل كان من المفترض إقامته في نيويورك يوم ١١ سبتمبر، ولم يبد رئيس المخابرات أي أسباب لقراره هذا، وبالفعل لم يسافر شارون.

صحيفة هاآرتس الإسرائيلية ذكرت أن الشرطة الفيدرالية الأمريكية FBI اعتقلت خمسة

إسرائيليين كانوا يعملون في شركة نقل يمتلكها إسرائيلي في مدينة نيوجرسي القريبة من نيويورك للاشتباه بعلاقتهم بالتفجير الذي وقع في مركز التجارة العالمي في نيويورك. حيث كانوا يقومون بتصوير انهيار برج مركز التجارة العالمي في نيويورك بكاميرا فيديو، وكانوا يصرخون في بهجة وسعادة غامرة. وكشفت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية النقاب عن أن الـ FBI حققت مع الإسرائيليين الخمسة بشكل مطول استمر ثلاثة أيام لاشتباهم في أنهم عملاء للموساد الإسرائيلي، وتم اعتقالهم بعد أربعة ساعات من وقوع التفجير في نيويورك أثناء قيامهم بالتصوير من علي سطح مبني الشركة. ونقلت الصحيفة عن أحد المعتقلين الذي تمكن من الاتصال بوالدته بعد السماح له بذلك قوله : أنه جري تعذيبه في دهاليز الـ FBI وتم التحقيق معه لمدة ١٤ ساعة متواصلة، خصوصا للاشتباه بانتمائه لجهاز الموساد الإسرائيلي بعد ان تبين أن لديه جنسية دولة أوروبية أخرى إلى جانب جنسيته الإسرائيلية.

صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٠٠١/١١/١) نشرت خبرا مفاده أن المباحث الفيدرالية الأمريكية تطارد الآن ستة أشخاص يحملون جوازات سفر إسرائيلية، لاتهامهم بحيازة صور لمفاعلات نووية في الولايات المتحدة الأمريكية. ووفقا لما أوردته عدد من وسائل الإعلام الأمريكية تم إلقاء القبض على الأشخاص الستة، وجري تفتيشهم من قبل الشرطة، ورغم حيازتهم لهذه الصور تم إطلاق سراحهم، وعندما علم وزير العدل الأمريكي جون أشكروفت بذلك مؤخرا، انفجر غاضبا وأصدر تعليمات عاجلة بضرورة سرعة القبض على هؤلاء الإسرائيليين الستة. وهذا ما دفع الإدارة الأمريكية إلى إعلان حالة الطوارئ القصوى تحسبا لوقوع عملية إرهابية ضخمة خلال الأيام القريبة، وفقا لما أوردته وكالة الأنباء الأمريكية "نايت رايدر".

بعد كل ذلك ألا ينبغي التفكير في دور الموساد الإسرائيلي في أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي يؤكد الجميع على أنها تسببت في وضع نظام عالمي جديد، وأصبح التاريخ العالمي ينقسم إلى فترتين تاريخيتين ن ما قبل ١١ سبتمبر، وما بعده .!



تجدر الإشارة في النهاية إلى وجود الكثير من المعلومات والأنباء والتي لا يبدو واضحاً ما هو المقصود من ورائها في حالة صحتها، فعلى سبيل المثال، ذكرت صحيفة لوفيجارو الفرنسية ومحطة راديو فرانس انترناسيونال الإذاعية أن أسامة بن لادن التقى في شهر يوليو الماضي بضابط من جهاز المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه). وذكر التقرير أن بن لادن وصل إلى دولة الإمارات العربية المتحدة كي يتلقى العلاج من مرض الكلى الذي يعاني منه. وفور وصوله إلى دبي في الرابع من يوليو، تم إدخاله إلى المستشفى الأمريكي الموجود في دبي. وقد تم علاجه في قسم الدكتور "تاري كالفاي"، وخرج من المستشفى بعد عشرة أيام، في الرابع عشر من يوليو. وخلال علاجه زعم التقرير الفرنسي أن بن لادن التقى مع ضابط من الـ سي آي إيه الأمريكي. وقد نسبت هذه المعلومة إلى مصادر موثوق بها. وقد ذكرت هذه المصادر أن رجل المخابرات الأمريكية غادر دولة الإمارات العربية بعد يوم من مغادرة بن لادن. وذكر أيضاً أنه قد سبق إرسال جهاز متنقل لغسيل الكلى إلى مقر إقامة بن لادن في أفغانستان، وذلك لعلاج بن لادن من التهاب الكلى المزمن الذي يعاني منه.

الدكتور كالفاي رفض الرد أو التعليق على هذه التقارير. وفي ٢١ أكتوبر الماضي أصدر المسؤولون

بالمستشفى الأمريكي في دبي بياناً رسمياً نفوا فيه ما ورد في ذلك التقرير. وأكد البيان علي أن هذا الكلام خاطئ ولا أساس له من الصحة.

هل يمكن الخروج من هذا الخبر باحتمال وجود علاقة للمخابرات الأمريكية بما جري في الحادي عشر من سبتمبر من أجل تنفيذ مخطط عالمي يكون هدفه سيطرة الولايات المتحدة علي منطقة وسط آسيا، بما تمثله من ثروات طبيعية أهمها البترول، وموقع استراتيجي خطير، يجعلها علي أبواب روسيا والصين، وقريبة تماماً من باكستان التي يسعى الأمريكيون لخلق أنيابها النووية التي وصفت ذات يومية بأنها قبلة نووية إسلامية؟

أيضاً فقد ذكرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية خبراً حول وجود علاقات صداقة قوية بين إسرائيليين وأشقاء أسامه بن لادن فتقول الصحيفة أن عبد الله بن لادن، ٢٥ سنة، شقيق أسامة، حصل علي درجة الدكتوراه في القانون من جامعة بوسطن منذ عدة سنوات، وأنه خلال دراسته أقام علاقة صداقة مع عدد من الإسرائيليين، كان منهم الدكتور "إيلي بوكشان" الذي يقوم اليوم بتدريس القانون في جامعة تل أبيب وكلية ريخمان، والدكتور "ايل جاروس" الذي يقوم هو الآخر بالتدريس في جامعة تل أبيب.

## مستقبل الهجرة إلى إسرائيل وخطة المليون مهاجر الجديدة !

أحمد السمان

قامت إسرائيل على موجات متتالية من الهجرة وكما يقول جون لافين في كتاب "العقلية الإسرائيلية" أن إسرائيل تحتاج دائما لمهاجرين من أي مكان يمكن أن يوجد فيه يهود الشتات"، فمُنذ إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ حتى الآن هاجر إلى إسرائيل قرابة الثلاث ملايين يهودي منهم مليون خلال الفترة من عام ١٩٩٠ حتى عام ٢٠٠٠ فقط.

ويوجد سببان رئيسيان للهجرة كما توضح الدراسات الاسرائيلية:

١ - أسباب اقتصادية: هروبا من أوضاع اقتصادية سيئة ورغبة في تأمين مستقبل أفضل للأطفال.

٢ - الرغبة في جمع شمل العائلات المتفرقة نتيجة هجرة بعض أبنائها

ولا تعد الدوافع الدينية سببا جوهريا في الهجرة، فبمقتضى قانون حق العودة الذي تم تعديله عام ١٩٧٠ بحيث تمنح الجنسية الإسرائيلية لغير اليهودي إذا كان أحد أجداده يهوديا، وهو ما سمح لمئات الآلاف بالهجرة إلى إسرائيل للحصول على الجنسية الإسرائيلية ببساطة لأن أحد أجدادهم كان يهوديا، وهو الأمر الذي ترتب عليه أن معظم المهاجرين إلى إسرائيل في الموجه الأخيرة (١٩٨٩ - ١٩٩٩) من غير اليهود، فقد ذكر المتحدث الرسمي الأسبق باسم الكنيسة عام ١٩٩٥ أن من ٤٠ إلى ٥٠% من المهاجرين من الاتحاد السوفيتي الأسبق ليسوا يهودا وهو عدد يتراوح بين ١٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف، وفي عام ١٩٩٧ صرح وزير المالية الإسرائيلي ياكوف

نومات أن ٢٠٠ ألف من المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي ليسوا يهودا، وفي هذا السياق نشرت صحيفة هاآرتس في أغسطس ١٩٩٧ أن ٣٥% فقط من المهاجرين الروس هم من يعتنق الديانة اليهودية. وذكر لان لوستيل أستاذ العلوم السياسية بجامعة بنسلفانيا في مجلة "ميدل ايست جورنال" في عددها الصادر عام ١٩٩٩ أن السبب الرئيسي لقبول مهاجرين غير يهود إلى إسرائيل هو الحيلولة دون إعادة الضفة والقطاع إلى الفلسطينيين من خلال النشاط الاستيطاني المكثف، وعدم تحقيق تسوية سلمية مع الفلسطينيين تتضمن إعادة الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث أكد آريئيل شارون في حديث لصحيفة الجيروزاليم بوست بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠٠١ أن جلب هؤلاء المهاجرين الجدد يجب أن يكون على قمة الأولويات لكل إسرائيلي مشيرا إلى أن حكومته ستسعى لجلبهم من الجاليات اليهودية الكبيرة الموجودة في فرنسا والأرجنتين وأوكرانيا والبرازيل والمكسيك وبعض دول أمريكا اللاتينية. ويأتي هذا الإعلان في الوقت الذي تتصاعد فيه الانتقادات الدولية للنشاط الاستيطاني الإسرائيلي الذي زاد في الفترة الأخيرة، كما جاء الإعلان عن هذه الخطة الجديدة ليؤكد نوايا إسرائيل في عدم التخلي عن مستوطناتها في الضفة والقدس عن طريق توطين المهاجرين الجدد بأراضي الشعب الفلسطيني مما يجعل الأمر أكثر صعوبة لأي حكومة إسرائيلية أن تتخلى عن أي من هذه الأراضي لدولة فلسطينية، خاصة أن المليون مهاجر الذين استقبلتهم

إسرائيل خلال العقد الماضي واغلبهم من دول الاتحاد السوفيتي تم توطينهم بشكل أساسي في الضفة الغربية والقدس الشرقية وفي هذا الصدد يقول "جون كويجلي" في كتابه الهجرة السوفيتية إلى إسرائيل وسلام الشرق الأوسط "الصادر عام ١٩٩٧": أن عددا كبيرا من اليهود الروس الذين وصلوا إلى إسرائيل تيقنوا أنهم كانوا بمثابة أداة للحكومة الإسرائيلية التي أرادت إحداث توازن ديموغرافي في الضفة والقدس لليهود على حساب الفلسطينيين". كما تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى وجود ٢٣١ مستوطنة في الضفة الغربية و٢٩ في القدس الشرقية حسب تقديرات أغسطس ١٩٩٩.

ونظرا لخطورة ما أعلنه شارون فإننا نستهدف في هذه الرؤية الإجابة عن السؤال التالي: هل يمكن أن يهاجر من الدول التي أشار إليها شارون في حديثه مليون يهودي إلى إسرائيل؟ وللإجابة على هذا التساؤل سنقوم بدراسة أوضاع اليهود في تلك الدول واحتمالات الهجرة منها.

#### فرنسا:

يبلغ عدد اليهود الفرنسيين ٦٠٠ ألف يعيش ٢٥٠ ألف منهم في العاصمة باريس، بينما يتواجد في مارسيليا ٧٠ ألف وفي ليون ٢٥ ألف، ووجود اليهود في فرنسا يعود إلى القرن الرابع الميلادي، وبعد طردهم من المملكة الفرنسية في أواخر القرن الرابع عشر لم تتمكن الجالية اليهودية من لم شملها إلا بعد الثورة الفرنسية بأفكارها التحررية حيث أصبح اليهود مواطنين بموجبها كما ساعدت الحرب العالمية إلى حد ما على تطبيع وضع اليهود في فرنسا.

وللطائفة اليهودية تأثير سياسي كبير في فرنسا حيث ظلت تثير قضايا الهولوكوست ودور المسؤولين الفرنسيين فيها طوال الثمانينات، وفي التسعينات ظهرت نتائج حركتهم حيث اعتذر الرئيس الفرنسي جاك شيراك لأول مرة علنا بالنيابة عن الشعب الفرنسي عن مذابح الهولوكوست، واعترف بخطأ الأمة عن الأحداث التي وقعت ما بين عامي ١٩٤٠ و١٩٤٤ حيث أرسل ٧٥ ألف يهودي فرنسي إلى معسكرات الموت، بل وأجرت السلطات الرسمية تحقيقات مع بعض المسؤولين الفرنسيين عن دورهم في إرسال اليهود إلى معسكرات الموت حيث تم الحكم على بعضهم بالسجن، وفي إطار سعي اليهود للحصول على تعويضات عن ممتلكات هؤلاء اليهود وأرصدتهم المالية أنشأت الحكومة الفرنسية عام ١٩٩٦ لجانا خاصة للتحقيق في مصادرة ممتلكات اليهود وتقدير التعويضات اللازمة.

وتتشر المدارس ودور الحضانة اليهودية في

مراكز تجمعاتهم حيث يتلقى ٤٠٪ من الطلاب اليهود في فرنسا تعليمهم في مدارس يهودية، وتوفر معظم الجامعات الفرنسية أقساما خاصة للدراسات اليهودية، ونظرا لانشغال اليهود في الحياة الاقتصادية الفرنسية لا تضم التجمعات والجمعيات اليهودية سوى ٤٠٪ فقط من اليهود الفرنسيين كأعضاء فيها. يقول "جان شارل زريب" المسئول عن قطاع الشباب التابع للصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد أن نصف اليهود الفرنسيين لم تعد تربطهم أية صلة بالطائفة اليهودية، والربع الثالث يتصلون بها للرسميات (حالات الانجاب والوفيات) والربع الأخير يكمن داخله التشدد الموجود في الطائفة والناتج عن وجود أغلبية من السفارديين القادمين من المغرب العربي حيث يمثل السفارديين ٩٠٪ من تلاميذ المدارس اليهودية الموجودة في فرنسا.

ونظرا للأوضاع الاقتصادية المتميزة التي يعيش في ظلها اليهود في فرنسا فإن عدد اليهود الذين هاجروا من فرنسا إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨ لا يتجاوز ٢٤ ألف يهودي بينما استقبلت فرنسا أضعاف هذا العدد من اليهود المصريين والمغاربية حيث استقبلت من مصر فقط عشرة آلاف يهودي عام ١٩٥٥، وتلتزم الطائفة اليهودية باتفاق يصفه عمانويل هيمن في كتابه "في عقر ديار التطرف اليهودي" بأنه اتفاق ضممني رضائي بمساندة الحكومة الإسرائيلية المنتخبة ديمقراطيا ومؤازرتها في جهود بناء هذه الدولة وانجازاتها.

#### أوكرانيا:

يتراوح عدد اليهود في أوكرانيا حاليا ما بين ٢٥٠ و٢٢٥ ألف وهي بذلك تحتل المرتبة الخامسة عالميا في عدد اليهود المقيمين بها والثالثة على مستوى أوروبا، وإن كان من المتوقع أن تتأخر هذه المرتبة كثيرا نظرا لضخامة حجم الهجرة من أوكرانيا إلى إسرائيل، موزعين كالاتي: ١١٠ ألف يهودي في كييف العاصمة و٦٠ ألف في دنيروبتروفيش و٤٥ ألف في خاركوف.

كان عدد اليهود عام ١٩٩٠ في أوكرانيا ٤٥٤ ألف هاجر منهم إلى إسرائيل قرابة ٢٠٠ ألف، ويتناقص سنويا عددهم بمعدل ١٠٪ حيث يهاجر سنويا ما بين ٢٥ إلى ٣٥ ألف يهودي يتوجه منهم إلى إسرائيل ٢٥ ألف والباقي يهاجر إلى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

تنظر إسرائيل إلى أوكرانيا باعتبارها مركزا هاما لجذب المهاجرين الجدد، ولديها تواجد قوى ومكثف فبالإضافة إلى سفارتها هناك أربع مكاتب قنصلية



في المدن الهامة و٧٥ مكتبا في مراكز تواجد اليهود وفي المطارات، وهدف هذه المكاتب الأساسي هو تسهيل هجرة اليهود إلى إسرائيل، كما يوجد في أوكرانيا العديد من المنظمات الرئيسية ولكنها تعمل بشكل أساسي تحت مظلة منظمتهان يهوديتان رئيسيتان وهما اتحاد المنظمات والهيئات اليهودية في أوكرانيا (AJOCU) والمجلس اليهودي لأوكرانيا (JCU)، وهدفهما الأساسي هو تسهيل الهجرة، وفي ظل هذا النشاط المحموم يتوقع أن يستنفذ عدد اليهود في أوكرانيا خلال عقد واحد من الزمان.

ولا يعد النشاط الإسرائيلي في أوكرانيا هو السبب الرئيسي للهجرة فهناك الأوضاع الاقتصادية السيئة حيث دخل الفرد أقل من ٦٠٠ دولار كما وصل معدل التضخم إلى ٢٥٪ عام ٢٠٠٠ بالإضافة إلى استئراء الفساد وتدهور الخدمات، كما يعد تصاعد نشاط التيارات اليمينية والاحزاب القومية والحركات النازية أحد أهم عوامل الضغط لتشتيط هجرة اليهود حيث تطالب هذه الحركات اليمينية وعلى رأسها الحزب القومي الاشتراكي النازي بطرد اليهود وكذلك الروس البالغ نسبتهم ٢٣٪ من عدد السكان حتى تصبح أوكرانيا دولة قومية خالصة.

ونظرا للعوامل السابق الإشارة إليها فمن المتوقع أن يهاجر من أوكرانيا وحدها نحو ٢٠٠ ألف يهودي حيث يرفض كبار السن الذين يبلغ عددهم ما بين ٥٠ إلى ٧٥ ألف مغادرة البلد التي أمضوا فيها حياتهم. ويتعرض المهاجرون من أوكرانيا لاختبارات صحية خاصة في (بيير سبع) بمجرد وصولهم إلى إسرائيل حيث وجد أن ١٤٠ ألف من المهاجرين إلى إسرائيل من روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا قد تعرضوا للاشعاع من حادث تشيرنوبل وما زالوا يعانون من بعض أعراضه.

#### الأرجنتين:

يبلغ عدد اليهود في الأرجنتين ٢٣٠ ألف وهي بذلك الجالية الأكبر في كل أمريكا اللاتينية يوجد منهم في العاصمة بيونس آيرس وحدها ١٨٠ ألف وأغلبيتهم من اليهود الاشكناز، كما يوجد في العاصمة ٥٠ معبدا يهوديا كما أقاموا متحفا يهوديا ولديهم عدد كبير من المدارس الدينية اليهودية والمستشفيات الخاصة والمطاعم التي تقدم الطعام اليهودي "الكوشير"، كما يصدر عدد من الصحف الشهرية، وللأرجنتين علاقات دبلوماسية مع إسرائيل منذ عام ١٩٤٩، كما هاجر منها إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨ إلى ١٩٩٨ حوالي ٧٥ ألف يهودي.

يلعب يهود الأرجنتين دورا مؤثرا في الحياة الاقتصادية والسياسية ولديهم العديد من التنظيمات

المؤثرة في الحياة السياسية في البلاد وأكبر هذه التنظيمات منظمة (داجا) Delegation of Argentine Jewish Associations وهي الجناح السياسي لكافة التنظيمات

اليهودية وتضم أغلبية السياسيين اليهود الذين بلغ تأثيرهم الكبير في الحياة السياسية حد تعيين عدد منهم في الوزارات الحساسة كما تعهد لهم الرئيس الأرجنتيني الأسبق كارلوس منعم بمساندة اليهود ومكافحة العداء للسامية كما أصدر البرلمان الأرجنتيني قانونا عام ١٩٨٨ يجرم العداء للسامية، أما الرئيس فرناندو ديلازا الذي تولى السلطة في ديسمبر ١٩٩٩ فقد أعلن فور توليه السلطة التزامه بمحاربة كافة مظاهر العداء للسامية وتكثيف التحقيقات في حادث تفجير السفارة الإسرائيلية عام ١٩٩٢ والمركز اليهودي ١٩٩٤ وهما الحادثان اللذان اعتبرهما اليهود نموذجا لتصاعد العداء للسامية في الأرجنتين الذي اتخذ اشكالا عدة بدءا من مقاطعة المراكز التجارية اليهودية وصولا إلى الاعتداء على اليهود ومقابرهم ومراكز تجمعاتهم وكتابة الشعارات المعادية مثل (الهولوكوست اختراع يهودي)، كما ينظر اليهم المجتمع الأرجنتيني برؤية حيث ذكرت صحيفة لا ناسيون في يناير ١٩٨٦ أن مئات من اليهود قد أقاموا معسكرات في جنوب الأرجنتين لدراسة المناخ والموارد المتاحة استعدادا لإقامة مستوطنات اسرائيلية خلال ١٠ سنوات، ومما ساعد على تصاعد العداء لليهود في الأرجنتين الأوضاع الاقتصادية السيئة والتضخم وانتشار البطالة في ظل سيطرة اليهود على النواحي الاقتصادية المؤثرة وخاصة النشاط التجاري الذي تعرض لهزة كبيرة نتيجة انتشار سلاسل المحلات التجارية العالمية الكبيرة في الأرجنتين حيث تقول مجلة (جويش بوليتين) أن ٥٠ ألفا من أصحاب المتاجر الصغيرة من اليهود قد أغلقوا متاجرهم بعد انتشار هذه المحلات في البلاد.

#### الدول الأخرى :

تأتي البرازيل في مقدمة الدول المستهدفة استقبال مهاجرين جدد منها حيث يبلغ عدد اليهود ١٢٠ ألف يعيش في ساو بالو ٦٠٥٠٠ وفي ريو دي جانيرو ٤٠ ألفا ويندرج اليهود تحت تنظيم رئيسي هو (CO-NIB) الذي يضم في عضويته ٢٠٠ منظمة ومؤسسة يهودية ويدير عددا كبيرا من المستشفيات والمدارس اليهودية، كما يمتلك اليهود عددا من الصحف والمجلات، ويتمتع اليهود في البرازيل بأوضاع اقتصادية متميزة ولا توجد مظاهر واضحة للعداء للسامية وهما الأمران اللذان تمثلا في قلة

عدد المهاجرين إلى إسرائيل ف منذ عام ١٩٤٨ لم يتجاوز عددهم ٨١٠٢ يهودي.

أما في جنوب أفريقيا فيبلغ عدد اليهود ٩٢ ألف ينتمون إلى أصول اشكنازية يتمركز ٥٥ ألف منهم في جوهانسبرج و ١٥ ألف في كيب تاون، والمنظمة الرئيسية لليهود في جنوب أفريقيا تسمى (SAJBD) وما زالت المراكز الصهيونية قوية وتقوم بأنشطة مؤيدة لإسرائيل ورغم نزوح ٥٠ ألف يهودي من جنوب أفريقيا منذ عام ١٩٧٠ إلا أنه لم ينتقل إلى إسرائيل سوى ١٦٢٠٠ فقط.

ويوجد في المكسيك ٤٠٧٠٠ يهودي يتركز في العاصمة مكسيكو سيتي وحدها ٢٧٥٠٠ التي يوجد بها ٢٢ معبدا، واليهود منقسمون بالتساوي بين السفارديم والاشكناز ويندرج اليهود تحت أربع لواءات منظمات يهودية أهمها الاتحاد الصهيوني (WIZO) وهذه المنظمات تنسق الأنشطة السياسية وتمارس عملية مراقبة العداء للسامية، كما يوجد في المكسيك ١٦ حركة شبابية تنظم رحلات سنوية لإسرائيل حيث يزورها سنويا ٢٠٠٠ من أعضاء هذه المنظمات، كما تعد لجنة التعليم المظلة التي تجمع الأنشطة التعليمية والثقافية لليهود حيث يتلقى ٨٠٪ من يهود المكسيك تعليمهم بها ولا يوجد عنف موجه ضد اليهود أو عداء للسامية، كما أن أوضاعهم الاقتصادية متميزة وهو ما انعكس في قلة الهجرة منها إلى إسرائيل ف منذ عام ١٩٤٨ لم يهاجر من المكسيك إلى إسرائيل سوى ٢٢٠٠ يهودي فقط.

وفي أورجواي، يعيش ٢٢ ألف يهودي أغلبهم في العاصمة مونتفيدو. وكانت أورجواي محطة انتقال لليهود إلى البرازيل والأرجنتين ويوجد بها ٦٠ منظمة يهودية أهمها منظمة "المجتمع اليهودي" ويمارسون عباداتهم من خلال ١٥ معبدا منتشرين في العاصمة التي يوجد بها ٤ مدارس يهودية، ولم يهاجر إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨ سوى ٦٨٥٠ فقط.

وفي بنما يوجد ٧٠٠٠ يهودي تتميز أوضاعهم الاقتصادية بالاستقرار ولم يهاجر منها منذ ٤٨ سوى ١٨٠ شخص، وهو النموذج المتكرر في كل دول أمريكا اللاتينية، بل إن دولة مثل كوستاريكا التي يوجد بها ٢٥٠٠ يهودي لم تحدث حالة هجرة لأي يهودي منها إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨.

#### الخاتمة:

إن دراسة الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي يتمتع بها اليهود في الدول التي ذكرها شارون تجعلنا نخرج بعدد من المؤشرات التالية:

١ - لم تكن فرنسا - التي يوجد بها أكبر عدد من اليهود - بلدا طاردة بل هي دولة جاذبة للمهاجرين وبالنسبة للهجرة منها إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ لم يهاجر سوى ٢٤ ألف يهودي بمتوسط ٦٨٠ مهاجر سنويا وهو متوسط من غير المتوقع تجاوزه سنويا.

٢ - دول أمريكا اللاتينية وخاصة البرازيل والمكسيك وفنزويلا وأورجواي بالإضافة إلى جنوب أفريقيا ينعم فيها اليهود بأوضاع اقتصادية متميزة ويحتكرون قطاعات تجارية معينة ولا يواجهون بحركات معادية للسامية ومعدلات الهجرة منها إلى إسرائيل متدنية جدا ولا يتوقع أن ترتفع هذه المعدلات.

٣ - الأرجنتين بشكل عام لم تكن طاردة لليهود ولكن مع تدهور أنشطة بعض اليهود التجارية وسوء أوضاعهم الاقتصادية من المتوقع أن يهاجر إلى إسرائيل من الأرجنتين خلال الأعوام العشر القادمة من ٥٠-١٠٠ ألف يهودي.

٤ - لا شك أن أوكرانيا سوف تكون منجم الذهب بالنسبة للهجرة إلى إسرائيل حيث يهاجر إليها سنويا ٢٥ ألف يهودي وهو الأمر المتوقع استمراره في ضوء تصاعد الشعور القومي وتدهور الأوضاع الاقتصادية والنشاط الإسرائيلي المكثف لاستقبال اليهود منها.

من استعراض مؤشرات أوضاع اليهود في الدول محل الدراسة والجهود الإسرائيلية المبذولة لجذبهم فمن المتوقع ألا يهاجر إلى إسرائيل أكثر من ٢٥٠ ألف يهودي من هذه الدول خلال الأعوام القادمة، وهو أمر تعلمه القيادات الإسرائيلية جيدا وبالتالي يبقى السؤال الهام: علي أي أساس يتحدث شارون عن تخطيط إسرائيل لاستقدام مليون مهاجر يهودي في العشرة أعوام المقبلة؟ هل ستسمح إسرائيل بهجرة كل من يدعي أنه يهودي إلى فلسطين؟

وهل سيكون هذا التساهل في تعريف اليهودي من أجل ضمان السيطرة علي الأراضي الفلسطينية ومنع الخروج منها مستقبلا؟

سؤال نترك الإجابة عليه للمستقبل.

مطالع الاحرام بكوريش القليل







## مختارات إسرائيلية

### النشاط والأهداف

أنشئ المركز في عام ١٩٦٨ كمركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعي العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الراى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضاً بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

### الدوريات والمطبوعات:

- التقرير الاستراتيجى العربى: تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى إصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- كراسات استراتيجية: سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- الكتب والكتيبات: أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- «ملف الأهرام الاستراتيجى» شهرياً باللغة العربية. اعتباراً من يناير ١٩٩٥
- «مختارات إسرائيلية» شهرياً باللغة العربية. اعتباراً من يناير ١٩٩٥

### عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).